الحرب عبر التاريخ



الجزء السادس

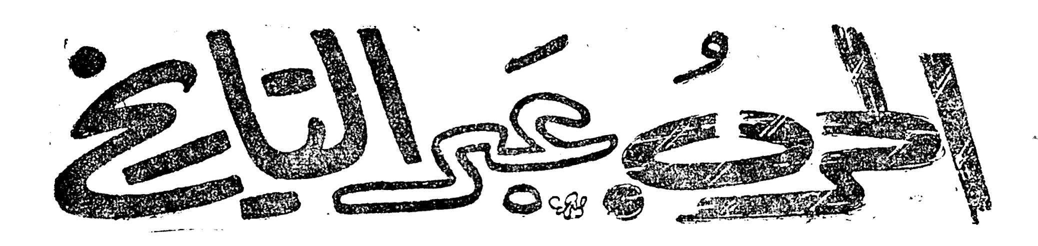
تأليف الفيلد مارشال

مونتجـــمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر

مكتبة الأنجلو المصرية



AHISTORY OF WARFARE

الجزء السادس

تأليف

الفيلد مارشال فيكونت مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر

رئيس مادة التاريخ العسكرى بالكليات العسكرية
وحاصل على جائزة الموضوعات العسكرية
فى عيد العلم العاشر والحادى عشر

التصديق بالنشر

خطاب رقم ن / م ث / ٦ / ١ / ٢٠٢١

الفهرس

تابــع الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل العشرون : الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) . .	٦٥٢
* حرب لأنهاء الحرب	٦٥٢
* خطة شليفن	٦٥٦
* غاز المستردة	٦٧٢
* صرخات الموتى الأخـــيرة	٦٧٤
* حروب الغواصـات	٦٨٦
* التخبط الروسى	٦٨٩
* القطار المغلق المتجه إلى روسيا	٦٩٣
* مصطفى كمال أتاتورك	٦٩٥
* لورانس والعرب	٦٩٦
* اليوم الأسود للجيش الألمانى	٧٠٤
الخرائط :	
* اللوحة رقم ٤٠ : وسط أوروبا فى القرن ١٩ . .	٦٠٥
* اللوحة رقم ٤١ : معركة جرافيلوت ـ سانت بريفات .	٦١٠
* اللوحة رقم ٤٢ : الحرب الأهلية الأمريكية . .	٦١٩
* اللوحة رقم ٤٣ : البلقان (١٨٧٦ — ١٨٧٨) . .	٦٤٠
* اللوحة رقم ٤٤ : الحرب الروسية اليابانيـة ١٩٠٤ .	٦٤٤
* اللوحة رقم ٤٥ : خطة شليفن والجبهة الغربية . .	٦٥٥
* اللوحة رقم ٤٦ : معركة تاننبرج	٦٦٠
* اللوحة رقم ٤٧ : الحرب فى شرق وجنوب شرق أوروبا.	٦٦٦
* اللوحة رقم ٤٨ : الحرب فى الشرق الأوسط . .	٦٩٩

الفصل الثامن عشر

بدايات الحرب الحديثة

أعمدة المجتمع الجديد

وصلنا الآن فى دراستنا للحرب إلى المرحلة التى أصبحت الحرب فيها مهنة إحتراف ومعقدة بدرجة كبيرة . ومع حلول القرن ١٩ بدأت الدلائل تشير إلى إزدياد حدة الحرب وتأثيرها المتزايد على المجتمع . وقد أدت الثورة الصناعية والكثافة السكانية أن المجتمعات نظمت نفسها من الناحية الحربية وبطريقة أكثر تكاملا ، وأصبحت الجيوش مجهزة وأسلحة أكثر قوة عما قبل .

وقد تطور هذا النوع من الحروب بشكل رئيسى بأوروبا وأمريكا ، إلا أنه إنتشر بنفس الشكل بعد ذلك فى جميع بقاع العالم . وفى الواقع شهدت الفترة من ١٨١٥ — ١٨٤٨ سلام نسبى فى أوروبا . وعلى أى حال ، فقد حدثت خلال هذه الفترة تطورات عامة أثرت تأثيراً مباشراً على ظهور الحرب الحديثة . وبدأت الأفكار الإستعمارية والقومية تقوى ، كما إنبثقت التغييرات الثورية فى الجيوش والمعدات مع كبر التعداد السكانى وظهور الوسائل الفنية الجديدة فى الصناعة . وأدت وسائل المواصلات الجديدة إلى زيادة سرعة تقدم الحياة بشكل شامل . وظهر المفكرون العسكريون والسياسيون والذين إستغلوا هذه العوامل بعد أن وضعوا لها مختلف التفسيرات والمبررات . وقبل عام ١٨٤٨ لم تكن هذه التطورات سوى أفكار تجريبية ، إلا أن جرب الكثير منها فى القتال الذى دار فى السنوات العشر اللاحقة تقريباً . وأخيراً حددت الوسائل الجديدة والتى استخدمت فى الصراعين الرئيسيين الكبيرين اللذين حدثا فى القرن ١٩ وهما الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ — ١٨٦٥) والحرب الفرنسية — البروسية (١٨٧٠ — ١٨٧١) الطريق إلى ما هو محتمل

حدوثه فى الصدام بين القوى الكبرى ، وهو الإحتمال الذى تحول إلى حقيقة فى النصف الأول من القرن ٢٠ .

وربما كانت أكثر الجذور الإجتماعية أهمية فى التطورات الجديدة هى الزيادة فى تعداد السكان . ففى الفترة من ١٧٥٠ — ١٨٠٠ زاد سكان أوروبا من ١٤٠ مليون إلى ١٧٠ مليون ، وفى عام ١٨٥٠ وصل تعداد سكان أوروبا إلى ٢٧٤ مليون . وفيما بين عامى ١٨٣٠ و ١٨٧٠ زاد التعداد بنسبة ٣٠ ٪ . وفرضت هذه الزيادة الهائلة من السكان ضغوطاً كبيرة على الحياة الوطنية ، وتواجد سيل متدفق من الهجرات إلى خارج أوروبا ، غربا إلى أمريكا الشمالية حيث وصل التعداد إلى ثلاثة أضعافه بين عامى ١٨٣٠ ، ١٨٧٠ وشرقا إلى آسيا ، وبدون شك قللت هذه الهجرات من التوتر فى أوروبا ولكن من ناحية أخرى أعطت حافزاً للاستعمار . أما الأعداد التى بقيت فى أوروبا فقد وفرت الأيدى العاملة للمصانع الجديدة . وجاء الإنتاج الضخم لهذه المصانع ليحدث تطوراً ثورياً فى صناعة السلاح ، وبالإضافة إلى ذلك توفر عدد كبير من الرجال الصالحين للتجنيد حيث قبل وأقر مبدأ التجنيد العام . ولم يكن تزايد أعداد المجندين بالأمر الهين والسهل لأنه خلق معه مشاكل فى النقل والإمداد وأيضاً فى التحرك التكتيكى للجيوش ، أضف إلى ذلك تزايد تأثير ونفوذ الرأى العام فى تصريف وإدارة الأمور ، والذى برز كعامل جديد تعين على القادة العسكريين والسياسيين أن يضعونه فى حسبانهم . وقد وفر السلم النسبى فى أوروبا بين عامى ١٨١٥ ، ١٨٤٨ الفرصة لأن تحل الأمور سلمياً . وكانت أوروبا تحكم بواسطة حكام محافظين وخاصة مترنيخ (النمسا) والذى تآمر ليحافظ على التسوية الدبلوماسية التى وصل إليها مؤتمر فينا ، وليخمد شعلة القومية والحرية والتحول الإجتماعى . وكان الشاغل الأول للدول الكبرى هو تطوير صناعتها وتجارتها ، وحلت التجارة الحرة محل النظام التجارى المركنتلى [1] فى الشئون الإقتصادية .

وبدا أن مصالح جميع الشعوب المادية تتطلب المعايشة السلمية مع بعضها . وتميزت

---

(١) نظام إقتصادى نشأ فى أوروبا خلال أضمحلال الإقطاع لتعزيز ثروة الدولة عن طريق التنظيم الحكومى الصارم لكل الإقتصاد الوطنى. « المعرب »

العلاقات الإقتصادية بين الدول المنافسة مثل ما تميزت بالإعتماد المتبادل . وفى بريطانيا أعلن الأمير « ألبرت » عند إفتتاحه « المعرض الكبير » فى عام ١٨٥١ عن إعتقاده بقرب تحقيق « الوحدة البشرية » ، وخطط أتباع الفيلسوف « سان سيمون » إلى إعادة تنظيم المجتمع الأوروبى ، ونادوا بالمهندسين ورجال المال على أنهم أعمدة المجتمع الجديد والذى هو مجتمع السلام الطبيعى الجديد . وهنا برزت بريطانيا ، كأقوى قوة بعد خروجها منتصرة من الحروب النابوليونية بالإضافة إلى كونها الدولة القائدة فى الثورة الصناعية ، وكان يلائمها تماما أن يسود السلام بقاع العالم . وتكفلت البحرية البريطانية والتى لم يتحداها أحد منذ معركة « الطرف الأغر » بالحفاظ على السلم البريطانى بحراستها للبحار والتدخل لمساعدة القضايا التى تستحق التدخل وعلى سبيل المثال إزالة الرقيق من البرازيل .

الحروب الاستعمارية

وعلى أى حال فلم يتجنب القتال كلية بين عامى ١٨١٥ ، ١٨٤٨ ، فوجدت القومية التى اتخذت من الحرية والرومانسية مخارج فى ثورات عديدة ، ولكن هذه الثورات قهر معظمها على يد القوى الكبرى الإستبدادية . وعلى سبيل المثال ، فقد أخمدت النمسا فى عام ١٨٣١ ثورة فى الولايات البابوية ، وفى نفس العام حطم الروس البولنديين بعد مقاومة مستميتة يائسة فى « أوسترولنكا » . وفى عام ١٨٤٨ إندلعت موجة كبيرة من النشاط الثورى ، وعادت المتاريس للظهور مرة أخرى فى شوارع معظم مدن أوروبا ، وذلك لتوقعات ماركس بحرب طبقية ومبادىء « لامارتين » الجمهورية .

ولكن القوى الرجعية سحقتها بحسم بعد الكثير من حمامات الدم ، وبالرغم من ذلك ، فقد كان هناك تعاطفاً مع بعض الحركات . وقد أيدت الإمبراطورية العثمانية كفاح اليونانيين من أجل الإستقلال ، ولم يكن ذلك التأييد من « بيرون » فقط بل أيضاً من الأسطول البريطانى بقيادة « سير إدوارد كودرنجتون[1] » ، كما كان هناك تعاطفاً مع ثورة بلاد أمريكا الجنوبية لتحرير أنفسها من الإرتباطات الأسبانية والبرتغالية . وكانت هناك حرب لمدة ١٥ عاماً فى جنوب أمريكا والتى حدث خلالها قتال ضارى على الهضبة

---

(١) الذى دمر القوى البحرية لتركيا وحليفتها مصر فى خليج نافارين عام ١٨٢٧ . « المعرب »

العالية « بيرو » و « بوليفيا الحديثة » • وفى عام ١٨١٦ بدت أسبانيا وكأنها على وشك إستعادة سيطرتها ، ومن ناحية أخرى كان هناك محرران عظيمان هما « جوزيه دى سان مارتين » و « سيمون بوليفار » يجهزان جيوشهما .

وبعد أكثر من عامين من التدريب والتخطيط غزا « سان مارتين » شيلي وذلك من خلال مرتفعات « الأندز » ، ونفذت هذه العملية فى أكثر الظروف مشقة وعلى مواجهة ٥٠٠ ميل . وبعد أن حشد قواته فى إحكام ودقة فاجأ عدوه عند « شاكابوكو » فى فبراير ١٨١٧ . وبعدها حررت « بيرو » بمساعدة أسطول بقيادة بحار بريطانى غريب الأطوار ولكنه جرئ وهو « توماس كوشران » . وفى نفس الوقت فى الشمال ، زحف « بوليفار » ومعه قوة مختلطة من المرتزقة الأجانب خلال السهول الحارة والموحلة « لأورينكو » ، ومن فوق القمم العالية الكئيبة القارسة البرد لجبال « الأندز » .

ويمكن كتابة قصة مثيرة عن هذه المغامرات وعن بطولة المحررين ، ولكن كان القتال بعيداً جداً عن ذلك النوع الخاص بالحرب الحديثة . وبصفة عامة فإن نفس الشيء ينطبق على الحروب الإستعمارية ، كما توضح السطور التالية .

ففى هذه الفترة إستأنفت الولايات المتحدة تنفيذ هدفها الجلى وهو مد حدودها إلى الحافة الغربية لقارة أمريكا الشمالية ، إلا أن ذلك أدى إلى حدوث الكثير من القتال وخاصة ضد الهنود الحمر والمكسيكيين . ومن أشهر ما وقع من أحداث خلال هذا القتال ، الدفاع عن « الامو » فى تكساس (١٨٣٦) وصمود اللواء السابع الخيالة الأمريكى بقيادة « كستر » عند نهر « ليتل بيج هورن » فى « مونتانا » (١٨٧٦) ضد قبائل السيوكس والشينى .

وفى جنوب أفريقيا خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن ١٩ أجبر البريطانيون قبائل البوير على ترك « الكاب » والإتجاه شمالا ، وبذلك تورط البوير فى قتال مشوش مضطرب مع قبائل « البانتو المحاربة » .

وقد إلتحمت قبائل « الزولو » فى شكل قوة محاربة رهيبة بواسطة « شاكا » ، ولكن أمكن فى النهاية للبوير بقيادة « بيت رتف » سحق خليفته « دينجان » عند نهر

« بلود » . وحدث قتال دامى قبل أن يتمكن البريطانيون من قهر « المورى » فى نيوزلندا وذلك فى ستينات القرن ١٩ . وقد إنشغلت القوات البريطانية فى الهند بصفة مستمرة .

وفى عام ١٨٣٧ نشبت الحرب الأفغانية الأولى وبدأت معها حقبة جديدة من الحرب والغزو وإستمرت لمدة ٢٠ عاماً . وكان لابد من تأمين الحدود الشمالية الغربية ، ولذا وضعت السند تحت السيطرة فى عام ١٨٤٣ ، وذلك عندما إستطاع « شارل نابير » ومعه ٣٠٠٠ مقاتل من سحق ٣٠٫٠٠٠ بلوخستانى عند « مينى » وقد اعتبرت من أروع إستخدام للأسلحة فى التاريخ الهندى .

وفى عام ١٨٤٩ هزم السيخ عند « جوجرات » ، إلا أن موقف بريطانيا فى الهند تعرض للخطر نتيجة للتمرد الذى قام به الجيش الوطنى فى ما بين عامى ١٨٥٧ — ١٨٥٨ . وحققت الحملات التى كلفت بقمع هذا التمرد بعض الاستخدامات الرائعة للأسلحة وخاصة فى تطهير وسط الهند بواسطة « سير هيوروز » . وأخذ البريطانيون أيضاً السبق فى المنافسة العامة التى دارت بين القوى الأوروبية لإستغلال الصين حيث وقعت حرب الأفيون بين عامى ١٨٣٩ ، ١٨٤٢ ، وفى ثورة « التاى بنج » فيما بين عامى ١٨٥٠ ، ١٨٦٤ . وبينما هاجم البريطانيون والفرنسيون الصين من الجنوب والشرق ، إختطف الروس ما يمكنهم خطفه فى الشمال والغرب . ولم يعق روسيا ويؤخر عملياتها فى الصين سوى إنشغالها فى البلقان والمقاومة العنيفة لرجال العصابات المسلحين فى القوقاز تحت قيادة الزعيمين المسلمين الباهرين « كاظم الله » و « شاميل » ، إلا أن روسيا كانت تتبع الآن أيضاً خطاً واضحاً للتوسع إلى داخل التركستان وسيبيريا . وتعطى قصة الحروب الإستعمارية فى القرن ١٩ الكثير من الدروس المستفادة وليس فقط فى وصف الشخصيات العظيمة وأعمال البطولة ، بل تروى أيضاً الكثير من الأحداث المثيرة ، فقد أظهر التصادم بين الحروب الأوروبية والبدائية بجلاء أنه لا يمكن للأعداد أو الشجاعة أن تصمد أمام الأسلحة والنظام المتفوقين . ويمكن ملاحظة أن الأهالى الوطنيين فى بقاع العالم بدأوا فى التعلم من تجاربهم الغير سارة ، وأخذوا يصبغون حروبهم بالصبغة الأوروبية .

كما أن هذه الحروب الإستعمارية كانت أيضاً فرصة للأوروبيين أنفسهم ليجربوا

فنونهم وأفكارهم الحربية الجديدة ، ولكن ظل تيار التطور الرئيسى محصوراً فى أوروبا وفى الجزء القديم من الولايات المتحدة الأمريكية .

كلاوزفتز وجوميني

ومع حلول عام ١٨٤٨ إنتهت فترة السلام فى أوروبا وذلك عندما سقط رجال الحكم الذين صنعوا إتفاقية فينا ، وإنتقل زمام الأمور الآن إلى أيدى رجال أمثال « بالمرستون » و « نابليون الثالث» و « كافور » و« بسمارك » .

ومرة أخرى بدأ نجم القومية يتألق ، وإختل التوازن السياسى عندما بدأت القوى تتطلع بحقد وغيرة إلى الإمبراطورية العثمانية المتداعية. ومن عوامل إختلال التوازن أيضاً اتحاد وألمانيا الذى كان بمثابة التحدى لموقف فرنسا وخلال ١٧ عاماً حدثت أربعة حروب هامة :—

حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٦) والتى وقعت بين كل من إنجلترا وفرنسا وتركيا متحالفين ضد روسيا ، والحرب الإيطالية فى عام ١٨٥٩ والتى كان الخصمين الرئيسيين فيها هما فرنسا والنمسا ، والحرب بين بروسيا والنمسا فى عام ١٨٦٦ ، والحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠ — ١٨٧١) .

وبدأت الحرب الأوروبية الآن تشعر بتأثير النظريات العسكرية التى وضعها كل من « جوميني » و « كلاوزفتز » ، وأيضاً بتأثير الثورة الصناعية والإنفجار السكانى .

وفى القرن ١٩ كان على الفكر العسكرى أن يأخذ فى الاعتبار التطورات الجديدة ذات الأهمية الرئيسية ، ألا وهى الزيادة الهائلة للسكان وإزدياد وقوة القومية وإنتشار المواصلات السريعة وظهور الاختراعات الفنية والإنتاج الغزير .

ويمكن القول بأن الأعوام التالية لعام ١٨١٥ تعتبر فى الحقيقة فترة تفكير عسكرى أصيل ومبدع وحاسم .

وفى عام ١٨٣٢ صدرت الطبعة الأولى من كتاب « فون كلاوزفتز »(فى الحرب[1]) .

(١) صدر هذا الكتاب بعد وفاته. « المعرب »

وفى عام ١٨٣٧ ظهر كتاب « هنرى جومينى » « ملخصات لفن الحرب » . وقد أدلى هذين المفكرين بتأملات عميقة لما شاهداه فى الحروب النابوليونية. وقد أصدر « جومينى » السويسرى المولد ، كتابه الأول عن النظريات العسكرية وهو فى سن ٢٥ عاما ، ثم انضم فى عام ١٨٠٥ إلى هيئة أركان المارشال « ناى » وحضر معركة « أوسترلز » . وأثارت عبقريته وغروره حسد « بيرثير » ولذا فقد ترك الفرنسيين لينضم إلى الروس حيث ظل فى خدمتهم لعدة سنوات .

وبعد عام ١٨٢٩ عاش فى بروكسل بقية حياته حيث كتب أعظم كتبه، وظل ببروكسل حتى توفى بها عام ١٨٦٩ .

أما « كلاوزفتز » فقد إنضم إلى الجيش البروسى فى عام ١٧٩٢ وعمره ١٢ عاماً ، وتولاه بالرعاية « شارنهورست » فى أكاديمية برلين للضباط . وبعد معركة « جينا » (١٨٠٦) تولى كلاوزفتز دوراً رئيسيا فى إصلاح الجيش البروسى . وفى عام ١٨١٥ كان من ضمن ضباط الأركان فى معركة « ووترلو » . ومن عام ١٨١٨ حتى وفاته فى عام ١٨٣٠ ظل مديراً للمدرسة الحربية البروسية . وبالرغم من أن تجارب « كلاوزفتز » و « جومينى » كانت متماثلة إلا أن كلا منهما إستخلص مدخل نظرى مختلف إلى الحرب .

وحيث أن آراء هذين المفكرين كان لها تأثير عميق على التفكير العسكرى فى عصرهما، وكذلك فى الأعوام الأولى للقرن ٢٠ ، فربما يساعد القارىء الغير العسكرى أن يلم ببعض المعلومات عن ميولها المختلفة نحو الحرب .

فالكتاب الذى وضعه « جومينى » يعتبر أساساً تحليلا فنياً لإدارة الحرب ، إعتمد فيه على دراسته لحملات فردريك الأكبر ونابليون ، إلا أنه لم يوفق فى إدراك أنه بحدوث الثورة وظهور نابليون فقد بزغ عهد جديد على فن الحرب، كما فاته تفهم ما إستجد من عوامل جديدة فى عصره ، وبالتالى فقد رجع بالفكر العسكرى إلى الوراء أى للقرن ١٨ ، وعلى كل فيعتبر مدخل إلى الفكر العسكرى ، وقد وجد فيه الكثير من العسكريين المحترفين فى القرن ١٩ راحة وأمنا .

وقد ركز كتابه تركيزاً شديداً على الرياضيات أكثر من العوامل المادية والنفسية .

وطبعاً لا يمكن للمرء ، كما تعلمت أنا شخصياً ؛ أن يدير حربا ناجحة بمثل هذه الطريقة .

ورأيي أن « جوميني » فشل في إدخال العوامل الغير معروفة والغير متوقعة ؛ وبذلك فلم يتمسك بالحقيقة القائلة بأنه « لا يوجد شيء مؤكد في الحرب سوى شيء واحد فقط ألا وهو أن كل شيء بها غير مؤكد » .

أما كلاوزفتز فقد دخل بطريقة عكسية ، فبالرغم من تعامله بالرياضيات ، إلا أنه كان أكثر تعمقاً في الحرب كظاهرة إجتماعية ونفسية ، ويرجع ذلك إلى أنه كان لديه تفهم عميق لهذه العوامل. كما بدا له الشعور الإنساني أكثر إثارة وأعظم أهمية من مجرد الخطوط والزوايا.

وقد أدرك أن الحرب لا يمكن فهمها بل لا يمكن عزلها عن حليفتها الاقتصادية والاجتماعية وأيضاً عن دوافع الساسة وحوافز البشر . وكان يؤمن بأن تدمير قوات العدو المسلحة هو الهدف الأول للقيادة ، وأن أفضل وسيلة للوصول إلى ذلك هو بالهجوم المباشر ، (ودعنا من القادة الذين قهروا أعداءهم بدون إراقة دماء) . وقد أكد أهمية الحشد والتركيز في وسائل نابليون ، ولكنه فاته أهمية الفتح المرن والذى فهمه جيداً نابليون . وقد أرجع الكثير ، المذابح الدموية[1] التى حدثت في الجبهة الغربية في حرب ١٤ — ١٩١٨ إلى تفكير كلاوزفتز العسكرى . كما فات على كلاوزفتز مثل « جوميني » بعض النقط الهامة في تحليله العملي للعمليات ، وربما كان السبب أنه كان يكتب من وجهة نظر بلده ألمانيا . وأيضا غفل عن عامل القوة البحرية ، وفشل في إعطاء الاهتمام الكافي بعنصر تحرك القوات لتحقيق الحشد وفضل عليه الحشد الفعلي المبدئى .

وفي هذا الصدد كتب : « لا يوجد في الاستراتيجية قاعدة أكثر بساطة من المحافظة على حشد القوات » .

وفي الفترة التى سبقت مباشرة عصر الآلة ، فإن هذه الملاحظة ، مقترنة بملاحظة أخرى وهي : — «التفوق العددى يصبح كل يوم أكثر حسما » قد أدت إلى الطريق المدمر والذى قاد إلى الأساليب المرعبة والعنيفة الخاصة بحرب ١٤ ، ١٩١٨ . ولكن عندما يتقرر ثم ينفذ كل شيء فإني أعتبر ليدل هارت على حق عندما أشار إلى أن الكثير من اللوم يجب أن يوجه إلى هؤلاء القادة العسكريين العديمى المؤهلات والذين ترجموا تفكير كلاوزفتز خطأ

(١) كان يسميها ليدل هارت بـ « قبور الطين » « المعرب »

آخذين بدون تغيير جمله المروعة كقرائن وأدلة لهم دون فهم سياق معانيها أو دراسة مبرراتها إلا أنه يجب أن نضع فى الاعتبار أن لغة كلاوزفتز فى الكتابة كانت صعبة الفهم ، وأنا نفسى قد ذكرت فى الفصل الثانى أننى لم أستطع فهمه ولذا لجأت إلى المؤرخين من بلدى .

ومن المؤكد أن كلاوزفتز قد أدرك أن القوة العسكرية ترتبط جزئياً بالقوى الاقتصادية .

وفى الدولة الحديثة فإن كلا من القوة العسكرية والقوة الاقتصادية أمر ضرورى ، ويجب أن يكون هناك توازن دقيق لهاتان القوتان ، وهذه الحقيقة كثيراً ما كنت أثيرها لرؤسائى من السياسيين عندما كنت رئيساً لأركان حرب الجيش البريطانى فى الفترة ١٩٤٦ — ١٩٤٨ ، وأيضاً عندما خدمت فى منظمة الدفاع الغربية خلال الأعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٨ .

مباراة فى اختراق السفن

ومع ظهور الثورة الصناعية ، بدأ تيار دافق من الاختراعات فى الأسلحة والمدرعات ووسائل الاتصال والمواصلات . وفى مجال الحرب البحرية ، شهد القرن ١٩ التحول من الشراع إلى البخار . وقد قاوم البريطانيون[1] عملية التحويل هذه لأنه كان لديهم أقوى أسطول شراعى فى العالم ، وبالتالى فسوف يتعرضون لخسارة رهيبة لحدوث أى تغيير . وهكذا فنجد أن الذى قاد هذا الاتجاه الجديد فى تسيير السفن بالبخار هى القوى البحرية الأضعف أى فرنسا والولايات المتحدة .

وحاول المهندس السويدى «جون أريكسون» إثارة إهتمام الأدميرالية البريطانية بالمروحة الدافعة ولكنه لم ينجح ، إلا أن هذه الأداة أخذتها أمريكا ، وفى عام ١٨٤٣ دشنت الولايات المتحدة أول سفينة حربية تسيرها المروحة الدافعة وهى السفينة « البرينكتون[2] » . وأعطتها المحركات البخارية قوى تساوى ٤٠٠ حصان بينما بلغت سرعتها ١٣ عقدة .

---

(١) لقد كان البريطانيون قادة العالم فى تطبيق واستخدام فن البخار فى نواح أخرى غير البحرية .
(٢) وهى سفينة شراعية ذات صار واحد ومجهزة بعشرة مدافع بينما مروحتها بستةريش . « المعرب »

وتبع ذلك فى أربعينيات القرن ١٩ تغير نظرة كل من فرنسا وبريطانيا للحرب البحرية .

وفى عام ١٨٤٤ أنزلت إلى البحر أول سفينة بريطانية بمروحة دافعة وهى السفينة « الدوينتلس » .

وفى عام ١٨٥٠ أنزلت إلى البحر كل من بريطانيا وفرنسا سفناً من هذا النوع للخدمة مع أساطيلها . وكانت السفن الحربية الأولى التى تسير بالبخار سفناً ذات مروحة دافعة وبمحركات غير جيدة الصنع وتستهلك كميات كبيرة من الوقود تجعلها دائماً شبه معتمدة على الشراع .

ومع ظهور السفن الحديدية أصبح الأمر محتاجاً إلى محركات أكثر قوة . وفى خمسينيات القرن ١٩ ظهرت المحركات المزدوجة التى تتألف من أسطوانتين أو أكثر ، ومع حلول عام ١٨٧٠ كانت قوة المحرك قد تضاعفت تقريباً ، وفى ذلك العام تخلت البحرية البريطانية تماما عن السفن الشراعية .

وفى عشرينيات القرن ١٩ أدرك ضابط مدفعية فرنسي وهو العقيد « بيكسانس » أن أفضل طريق لجعل الأسطول البريطانى الخشبي بدون قيمة هو تسليح السفن بمدافع تطلق قذائف متفجرة بدلا من الطلقات المصمتة .

وكانت هذه القذيفة الجديدة تشبه قذيفة الهاون ، مملوءة بالبارود وتنفجر بواسطة طابة زمنية ، وكانت تطلق من مسار مسطح من مدفع ، وبالتالى فقد كانت أكثر دقة ، وأظهرت التجارب كفاءة هذه القذيفة الجديدة واستخدمتها البحرية الفرنسية عام ١٨٣٧ وتبعتها البحرية البريطانية والأمريكية . وكان العمل المضاد لإدخال هذه القذيفة هو تزويد السفن بدرع لحمايتها . وأثبتت هذه القديفة فى « سيبستابول » عام ١٨٥٤ فى حرب القرم تأثيراً كبيراً ضد السفن الخشبية حتى أن الفرنسيين والبريطانيين قاموا ببناء بطاريات عائمة مغطاة بألواح حديدية .

وفى عام ١٨٥٧ سار الفرنسيون شوطاً أبعد وبدأوا فى بناء أسطول حديدى . وبنيت أربع سفن من نوع « جلوار » وكانت سفن بخارية خشبية حولت إلى حديدية وذلك بتغطية

جسم السفينة بحزام من الحديد سمكه ٥ سم . وواصلت فرنسا تقدمها فى مجال تطوير السفن التجارية المصفحة ، ومضت بريطانيا فى أثرها. وحيث أن قذائف المدافع المتفجرة أدت إلى ظهور السفن الحديدية ، فقد كان لا بد بالتالى من جعل نيران المدافع أكثر قوة . ولهذا صمم اريكسون برجاً دائرياً للمدفع ، ومع حلول عام ١٨٧٠ ظهر المدفع ٧ بوصة . والآن أصبحت تكتيكات عصر الشراع عتيقة لا تلائم التطورات الجديدة .

وقد أظهر القتال فى « هامبتون رودس » عام ١٨٦٢ خلال الحرب الأهلية الأمريكية بين السفينتين « الميرماك » و « والمونيتور » قيمة أبراج المدافع التى تدور وذلك فى تحقيق إطلاق النيران من جميع الاتجاهات .

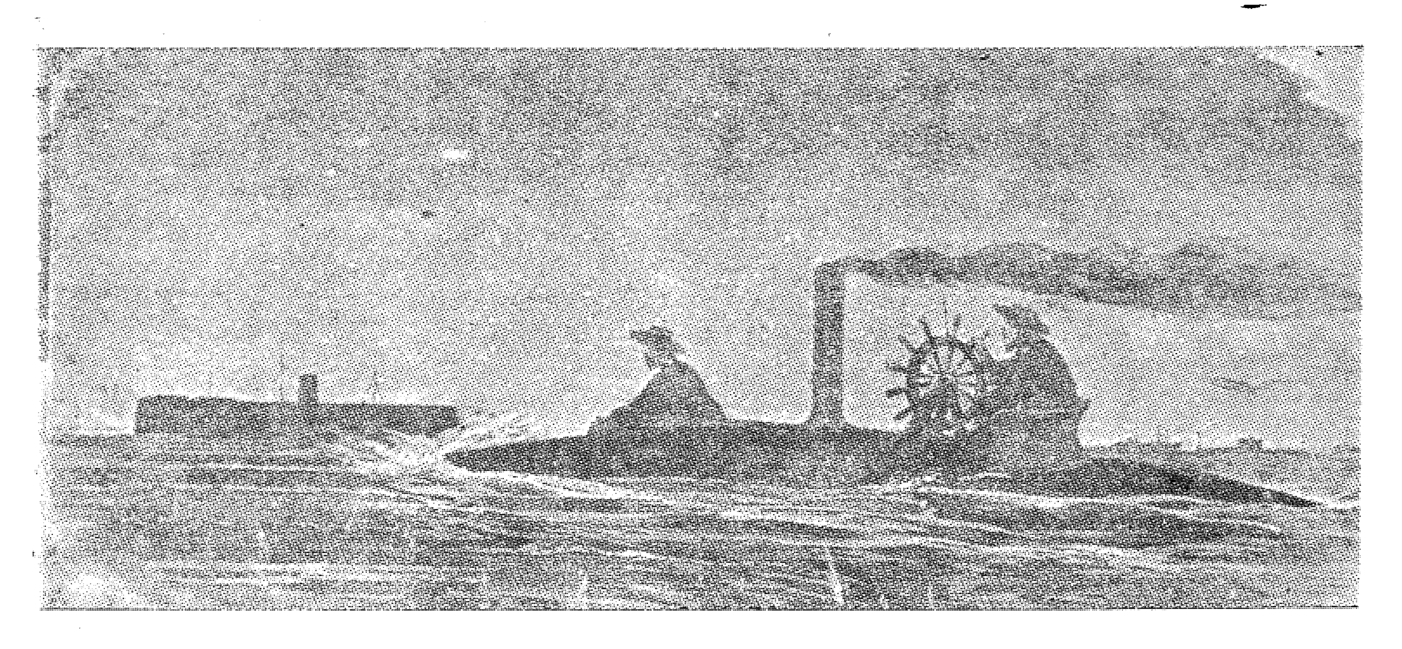
وفى عام ١٨٦٦ تقابل أسطولى إيطاليا والنمسا المتكونان من السفن الحديدية فى معركة « ليسا » فى الأدرياتيك. وجعلت دروع السفن نيران المدافع غير مؤثرة ، وتحولت المعركة لتصبح مباراة فى إختراق السفن وإغراقها أى على نفس نظام الغلايين القديم . وكنتيجة لهاتين العمليتين أدخل الفرنسيون إلى سفنهم برج المدفع الدائرى والعامود المخترق ، وخلال وقت قصير تبعت بحريات أخرى مسار الفرنسيين . وقد تم التغلب على مشاكل الصدأ وبطء الحركة ، ولذلك جاءت نتيجة ربع قرن من التطوير فى السفن الحربية ، السفينة البريطانية «ديفستيشن» والتى دشنت عام ١٨٧٥. وقد وصفت هذه السفينة بأنها قطعة من التحصينات الغابية لا يمكن إختراقها ، فكأنها أبراج مركبة على منجم فحم مقاتل . وبلغت حمولتها ٩٣٣٠ طن ، والتى كان الدرع يمثل ٢٧ ٪ منها ، وتواجد بها عامود إختراق قوى ، كما حملت ٤ مدافع زنة المدفع ٣٥ طن وذلك فى برجين أماميين وبرجين خلفيين ، وبذلك كان يمكن توجيه النيران لجميع الاتجاهات . أما سرعتها فقد بلغت ١٥ عقدة . وبذلك لم تكن « الديفستيشن » بالهدف الكبير أمام العدو ، وكانت عبارة عن منصة مدافع عائمة لإطلاق النيران .

الالة الجهنمية

كما ظهرت ثلاثة إختراعات أخرى فى الحرب البحرية جديرة بالذكر .

ففى عام ١٨٥٥ قام الروس فى البلطيق بأول إستخدام جدى للألغام العائمة . وفى عام ١٨٦٣ أنزلت إلى البحر أول غواصة إخترعها « برون ليبولنجير » .

وفى عام ١٨٦٤ خلال الحرب الأهلية الأمريكية ، ظهرت الغواصات النصف طافية مع الجنوبيين وأنزلت بسفن الشماليين خسائر فادحة، وكانت تسمى «دافيد». وجرب الأمريكيون فى كلا الجانبين أيضاً إستخدام الطوربيدات والتى ظهر أولها والمسمى « السمكة » فى عام



الغواصة « دافيد » نصف طافية التى ظهرت فى الحرب الأهلية الأمريكية مع الجنوبيين

١٨٦٦ . وقد استغلت هذه الاختراعات فى أول الأمر بواسطة دول بحرية صغيرة ، ثم أخذها البريطانيون بعد ذلك . وهكذا فى الوقت الذى كانت فيه الحرب البحرية آخذة فى التغير فى منتصف القرن ١٩ ، حافظت بريطانيا على مكانتها كأقوى قوة بحرية ، إلا أن التغييرات فى التكتيكات البحرية ، لم تكن قد جربت تماما فى صراع رئيسى وفى معارك بحرية كبيرة .

وفوق كل ذلك ، فقد بدأ يحدث مايطلق عليه بسباق التسلح . فكان معظم القرن١٩ ، ومثله فى القرن ٢٠ ، لم يكن ، كما عبرت عنه كلمات «أوزوالد سبنجلر» سوى «حرب بدون حرب» أى حرب المزايدة فى المعدات والاستعداد ، حرب الأرقام وخفة الحركة والوسائل الفنية. فالتقدم فى المادن وعلم حركة المقذوفات والهندسة الدقيقة أدى إلى إمكانية إدخال التحسينات على الأسلحة النارية .

وقد كانت بنادق القرن ١٨ وعصر نابليون ذات القدح الصوانى والتى تعمر من الماسورة بطيئة فى التعمير ولا يعتمد عليها فى الجو الممطر ، كما أنها كانت غير دقيقة . وجاءت أول

مرحلة من التحسينات عند التحول من القدح الصوانى إلى الطابة الطرقية والتى كان لايؤثر فيها البلل . وقد أدخلتها معظم الدول فى بنادقها على عام ١٨٤٢ ، وفى نفس الوقت فهمت وقدرت الدقة الكبيرة الممكن الحصول عليها من المواسير المششخنة . وبدأت التجارب فى كل مكان لإنتاج طلقة مخروطية لتلائم تعمير البندقية المششخنة بحيث تنزلق مارة بالششخنة قبل خروجها من الفوهة .

وفى عام ١٨٥٠ صمم ضابط فرنسى يدعى «مينى» طلقة ذات تجويف عميق فى قاعدتها والتى تملأ بغلاف من الحديد .

وعندما كانت البندقية تطلق الطلقة كانت الأخيرة تتمدد لتملأ جروف ششخنة الماسورة خالقة بذلك أحكاماً ضد تسرب الغاز وكانت هذه الطلقة سهلة التعمير لأنها لاتتطلب حشر الطلقة .

وفى عام ١٨٥٣ إستخدم البريطانيون البندقية «الأنفيلد» والتى تطلق رصاصة «مينى» المعدلة ، ولكنها كانت تعمر من فوهة الماسورة، وقد إستخدمت هذه البندقية فى حرب القرم

وفى عام ١٨٥٧ كان أحد دوافع التمرد الهندى ، هو إشاعة بأن الطلقات التى صرفت حديثاً للبندقية الأنفيلد كانت مشحمة بدهن البقر (١) . وفى ذلك الوقت أصبحت البنادق ذات مدى أكبر ودقة أكثر بكثير مما قبل ، إلا أن معدل نيرانها ظل بطيئاً لأنها تعمر من فوهة الماسورة .

وفى عام ١٨٣٩ جاء إختراع «جوهان دريزى» فى تعمير البندقية من الخلف خطوة هامة جداً . وفى عام ١٨٤٢ إستخدم البروسيون النوع المعدل من بنادق «دريزى» والمسماه «بندقية الأبرة» (٢) فى الحرب مع الدانمرك على أرض «سشلسويج — هولستين» (١٨٤٨ — ١٨٤٩) وسروا منها . وأهم ظاهرة للتعمير من الترباس هى إمكان إطلاق نيران أسرع والعمل بسهولة أكثر من وضع الرقود . واكتمل تطور هذه البندقية بإضافة خزنة للطلقات والتى نفذت أولا فى أمريكا خلال الستينيات .

وفى عام ١٨٦٦ إستخدم الفرنسيون بندقية متطورة من النوع الذى يعمر من الخلف .

---

(١) البقر يقدسه الهندوس.

(٢) لقد سميت هكذا بسبب طريقة التفجير وإطلاق الرصاصة . «المعرب»

وقد سميت هذه البندقية على إسم مخترعها « مسيوشا سيبوت » وقد حقق هذا النوع مدى أكبر لعيارها الأصغر وترباسها الأكثر إحكاماً للغاز . وبعدئذ إخترع العقيد الإنجليزى « بوكسر » مظروف نحاس للطلقة والذى يتمدد ليسد الترباس تماماً . وإستخدم البريطانيون فى عام ١٨٧١ هذه الذخيرة للبندقية « المارتينى — هنرى » ، ولم يمض وقتاً طويلا حتى كانت جميع دول أوروبا تقريباً تستخدمها . وفى الحرب الفرنسية — البروسية كانت الجيوش مجهزة عادة ببنادق أكثر دقة ووصل مداها ٢٠٠٠ ياردة[١] ، كما كان فى إمكان هذه البندقية الجديدة إطلاق معدل عالى من النيران بواسطة الجنود فى وضع راقداً أو وهم واقفين فى الخنادق. وشهدت هذه الفترة تطورات كبيرة فى مضمار الأسلحة المتكررة[٢] الإطلاق وخاصة فى أمريكا .

وفى عام ١٨٣٢ سجل صمويل « كولت » تصميمه لمسدس الذى تدور فيه الساقية عند تعمير الطارق . وفى عام ١٨٣٥ أى خلال القتال ضد الهنود « السيمينول » فى فلوريدا ظهرت بوضوح مزايا هذا السلاح . وعرض « كولت » مسدساته المختلفة فى المعرض الكبير بلندن عام ١٨٥١ وباع بعضاً منها للبحرية البريطانية والتى أشترتها من أجل حرب القرم . وفى حوالى نفس الوقت صمم مدفع رشاش فى بلجيكا وكان « مدفع آلى » . وبدأت فرنسا فى إستخدامه قبل نشوب الحرب « الفرنسية — البروسية » بقليل . وفى الحقيقة إنحدر هذا المدفع الرشاش من سلفه المعروف باسم « الآلة الجهنمية » ، وتكون هذا السلاح من عدة أسلحة مركبة معاً وتعمر فى وقت واحد عن طريق إدخال شريط حديدى مثقوب مملوء بالطلقات داخل « مغلاق المؤخرة »[٣] ،

وفى عام ١٨٦٢ صمم « ريتشارد كاتلنج » فى أمريكا مدفعاً رشاشاً أفضل ، ويتكون

---

(١) كان المدى المؤثر سابقا ٦٠٠ ياردة.

(٢) وهى المسدس والبندقية التى يمكن إطلاق النار منها عدة مرات دون الحاجة إلى إعادة التعمير .

(٣) كتلة ترباس مشتركة للكل .

هذا المدفع الرشاش من عدة مواسير تدور حول محور مركزى . وكانت الخزنة عبارة عن خزان فوق المدفع يغذيه بالطلقات التى يدفعها داخل جهاز إعادة التعمير وقذف الطلقات الفارغة ، وذلك بتحريك المستخدم ليد إدارة المواسير .

ويمكن لهذا المدفع أن يطلق ٦٠٠ طلقة فى الدقيقة، وقد استخدم خلال الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ — ١٨٦٥) بواسطة كلا الطرفين المتحاربين .

الطلقة ذات المخلب

وقد أحدث التطور فى البنادق من الطابة الطرقية والششخنة والتعمير من الترباس تأثيراً بالغاً فى نفوس رجال المدفعية . وبعد عام ١٨١٥ أجريت تجارب فى أوروبا وأمريكا لإنتاج أسلحة مدفعية مششخنة تعمر من الترباس ، ولكن كانت مشا كل أجهزة التعمير من الترباس ذات ثلاثة أوجه ، فهى أولا تجعل المدفع أثقل وبالتالى أقل فى خفة الحركة ، وثانياً كان إنتاج نظام يحكم ويمنع تسرب الغاز عند الترباس أمراً صعباً ، وأخيراً كان القيام بتغيير أساسى فى المدفعية أمراً مكلفاً للغاية ، إلا أنه أمكن تخطى هذه العقبات تدريجياً فى النصف الثانى من القرن ١٩ . ومع حلول عام ١٩٠٠ كان قد تم تطوير المدافع وهى نفسها التى استخدمت فى حربى ١٤ — ١٩١٨ ، ٣٩ — ١٩٤٥ . وليست قصة هذا التطور هى سرد لتقدم مندفع ولكن كانت عبارة عن سلسلة من الخطوات المترددة والتى عادة ما كانت تنكص على أعقابها .

وفى فرنسا إحتفظ نابليون الثالث لأسباب تتعلق بالتكاليف وخفة الحركة بمدافعه البرونزية القديمة والتى كانت تعمر من الماسورة ، بعد أن عدلهم العقيد « دى بوليى » عام ١٨٤٢ وذلك بزيادة عمق الششخنة وإستخدام الطلقة ذات المخلب . وإستخدم هذا النوع المعدل بنجاح فى معركتى « ماجنيتا » و « سلوفيرينو » عام ١٨٥٩ . وإستخدمت بعد ذلك معظم الدول الأوروبية المدافع التى تعمر من الماسورة عن تلك التى تعمر من الخلف . وفى إنجلترا صمم أخيراً « ويليام أرمسترونج » نظاماً لصنع مدفع يعطى قوة إضافية ولكن بدون إضافة وزن جديد ، وجعل ذلك من السهل التحول للتعمير من الترباس . وكانت طريقة « أرمسترونج » هى تركيب قميص حديدى أسطوانى ساخن فوق الماسورة ، فعندما يبرد

تصبح الماسورة تحت ضغط وبالتالى يسمح للماسورة بتحمل عبوة أكبر . وإستخدمت بريطانيا هذا الإختراع عام ١٨٥٩ ، كما إستخدمت مدافع أرمسترونج عيار ٩ رطل و ١٢ رطل خلال العمليات فى الصين عام ١٨٦٠ . أما روسيا وبروسيا ففضلتا إستخدام المدافع المصنوعة من الصلب والتى تعمر من الخلف والتى صنعت فى مصانع « كروب » بمدينة « آسن » . وفى عام ١٨٧٠ أعيد تجهيز المدفعية البروسية والتى كانت تعانى الضعف عام ١٨٦٦ عند قتالها مع النمسا ، بإدخال مدافع « كروب » بواسطة المفتش العام الجنرال « فون هندرسون » ، ولكن حتى مدافع كروب هذه لم يثبت صلاحيتها تماماً .

وفى نفس العام وصل البريطانيون إلى أن التعمير من الخلف باهظ التكاليف ومعقداً جداً ولذا فقد عادوا إلى التعمير من الماسورة . وتأكدت صحة النتيجة التى قررها البريطانيون عندما سببت أجهزة الترابيس الخاطئة خسارة فادحة فى هذه المدافع عندما تعطلت عن العمل خلال الحرب الفرنسية — البروسية .

وهكذا كان القرن ١٩ فترة إختراعات فى الأسلحة والدروع وأكثر من ذلك ، فالإختراعات الجديدة إنتشرت فى أوروبا بشكل أسرع من أى وقت مضى . فقد كان الإنتاج الجديد للأسواق المتعددة ظاهرة أساسية للعصر الصناعى الجديد ، كما كان الإنتاج من الفحم والصلب قد أرتفع إلى درجة كبيرة جداً .

وكان « صمويل كولت » مثالا جيداً لنوعية الصانع الجديد ، فقد أنتج بضاعته على نطاق واسع علاوة على أنه كان بائعاً ماهرا. وخلال الحرب الأهلية الأمريكية أشترى منه الشماليين ٣٥٫٠٠٠ مسدس و ١١٣٫٩٨٠ مسكيت و ٧٠٠٠ بندقية . وكان هناك مظهراً آخر للثورة الصناعية وهو تطور المواصلات ، وقد إستمرت عمليات تحسين الطرق والتى بدأت مع نهاية القرن ١٨ كنتيجة لإزدياد سفر الأهالى للعمل والمتعة . ومع منتصف القرن ١٩ كانت أعمال إقامة خطوط السكك الحديدية تسير بخطى واسعة فى كل من أوروبا وأمريكا ، وفى فرنسا كملت معظم الخطوط الرئيسية للسكك الحديدية على عام ١٨٥٩ .أما فى ألمانيا، فقد تم إقامة خط حديدى طوله ٥٤١٠ ميل طبقاً لتخطيط دقيق وضعته الحكومة وتم فى عام ١٨٥٥. وفى الفترة مابين ١٨٣٠ — ١٨٦٠ إنتهت أمريكا من إنشاء خطوط للسكة الحديدية طولها ٣٠٫٠٠٠

ميـــــل . وأخـذت شركة السـكة الحديدية أيضـاً مسئولية خـطوط التلغراف والذى أخترعه « مورس » فى عام ١٨٣٢ ، وعلى الخمسينيات تطورت بسرعة شبكة الخطوط فى أوروبا وأمريكا .

حرب القرم

وفى منتصف القرن ١٩ بدأت فترة جديدة من الحرب ، وكان لابد بالتالى من إيجـاد حلول عملية لبعض المشكلات الأساسية المعينة منها : — ماهى القواعد التى ستـكون عليها مبادىء التجنيد والتدريب مع التزايد الـكبير فى أعداد الرجال ؟

هل يتعين تزويد كل هذه الأعداد بالأسلحة الجديدة ؟ وإذا كان الأمر كدلك ، فما هو الدور التـكتيكى للمشاة المسلحة بالبنادق وأيضاً المدفعية ؟ وماهو الدورالتى ستلعبه الفرسان ؟ كيف يتم تدريب الضباط ؟ كيف ستؤثر المواصلات الجديدة على التخطيط الإستراتيجى وخاصة السكة الحديد ؟ تلك المشا كل التى واجهها القادة العسكريين لأوروبا ، بينما تحركوا إلى العصر الحديث ببطء وعلى مضض . ففى الفترة السابقة لعام ١٨٤٨ ،لم يحدث أى حرب كبيرة ، حيث التهديد الرئيسى للحكم كان يأتى من الداخل فى شكل ثورات تحررية ، وكانت مهمة الجيوش بالتالى هى المحافظة على السلام فى داخل البلد .

فقد كان يفضل إبقاء الجيوش صغيرة حتى لاتعديها الأفـكار الثورية . وهـكذا أنقص الحجم الـكبير للقوات الوطنية التى عملت خلال الفترة النابليونية لتصبح الآن جيوشاً محترفة صغيرة . ومن كل القوى الـكبرى لم تحتفظ سوى روسيا وبروسيا فقط بمبدأ الجيوش الضخمة ، وكانوا يؤمنون ، كما أومن أنا ، بأنه لا يمـكن أن يكون لديك جيشاً جيداً بدون مشاه جيدة . وأكثر من ذلك ، فطالما ظل الطراز القديم للجيش يحقق نجاحاً فى ميدان القتال فى أى صورة ، كلمازاد ذلك من تأييد نزعة مقاومة التجديد . وعلى أى حال فلم تـكن السنوات مابين ١٨٣٠ — ١٨٦٠ خالية من العسكريين الأكفاء . وفى الحرب الإيطالية (١٨٤٨ — ١٨٤٩) أظهر الفيلد مارشال راديتزكى (القائد النمساوى) أنه وجيشه أكفاء وقادرين للغاية . فعندما أنفجرت الثورة فى شمال إيطاليا فى عام ١٨٤٨ كان لدى « راديتزكى » قوات قليلة نسبياً علاوة

على تفرقها فى مناطق مختلفة ، ولـكنه تفادى بتحركات سريعة ونشطة تـكتيكات العدو لتطويق قواته ، ثم جمع قواته ليوجه عدة ضربات متتالية للقوات المعادية .

وبعد إخلائه لميلانو تجنباً الوقوع فى الفخ ، تعمد الحفاظ على بقاء قوات البيدمونتيين فى مربع المدن المحصنة : — « مانتو » و « بيسشيرا » و « فيرونا » و « ليجنانو » . وعندما تم له تعزيز قواته أبقى « البيدمونتيين » مقيدين وخاضعين للمراقبة بينما تحرك شرقاً ليدمر القوات البابوية والنابولية والمتركزة على خط مواصلاته بالقرب من فسينزا ، ومن ثم طهر وادى رينتا ، ثم تحول ثانية ضد « البيدمونتيين » بعد حشده لقوات كبيرة وبسرعة لاختراق جبهتهم عند « كوستوذا » . ولم يكتف بهزيمتهم على هذه الجبهة بل تابع إنتصاره بدفعهم أمامه إلى منطقتهم وأعاد إحتلال ميلانو بعد ٤ شهور لتركه لها . وإنفجرت الثورة مرة أخرى فى العام التالى ، ونفذ « راديتزكى » سلسلة مشابهة لتلك المناورات المؤثرة التى مكنته من إخماد الثورة . وإنتهت مناورات هذا العام أيضاً بانتصاره عند « نوفارا » . وربما كان الأكثر إثارة من هذه الإنتصارات أن الفيلد مارشال النمساوى كان يبلغ من العمر ٨٢ عاماً . وقد أظهرت أيضاً إنجازات « جاريبالدى » وفرقة القمصان الحمراء التابعة له ، أنه لايزال الأفضل العمل بدون الجيوش الـكثيفة ، ومنها : — إنتصـــارات « سيرو » و « سانت أنتونيو » فى ١٨٤٦ والتى أكدت إستقلال « أرجواى » ، وتقهقره الماهر خلال وسط إيطاليا فى ١٨٤٩ والإستيلاء على صقليه ونابولى فى ١٨٦٠ .

أما الجيش الفرنسى ، فقد كان لديه أسطورة نابليون ، وسجل حافل بالنجاح على مدى ٣٠ عاماً فى أفريقيا الأمر الذى جعله يقنع نفسه بأنه لا يقهر . وقد أرسلت أول حملة فرنسية إلى الجزائر عام ١٨٣٠ والتى كانت منظمة بطريقة بطيئة وعلى شـكل قولات ، وقد واجهت المتاعب عند إصطدامها بالقوات الوطنية الخفيفة الحركة والتى قادها الأمير « عبد القادر » ، ولـكن تحول المد فى عام ١٨٣٦ نتيجة لحملة « بوجود » فى غربى الجزائر والتى إستغرقت ستة أسابيع .

وكانت طريقة القائد الفرنسى « بوجود » هى القيام باندفاعات هجومية سريعة بأرتال سريعة ومجهزة بمعدات خفيفة وتحمل إمداداتها على ظهور الدواب . وبعد عام ١٨٤٠ عندما

أصبح حا كما عاماً طبق وسيلته هذه بتركيز أ كبر ونجاح أ كثر . ووفرت أفكاره عن الحرب فى أفريقيا كتيب نفع أجيالا من الجنود الفرنسيين المستعمرين . وظهرت فى أفريقيا أنواع جديدة من الكتائب مثل :— «زواى[١]» و«يتركوس» و« سباهى»[٢] و«شوسيردى أفريك[٣]» . وحافظ جنود فرنسا على سمعتهم نتيجة لشجاعتهم .

وناقضت أيضاً وسائل القادة النشطة أمثال «بوجود» و« كاروبورت » و«ما كماهون» و « يوربا كى » عقلية القادة البريطانيين والألمان لتلك الأيام والتى نقصها الأفكار الحية . وأبلت القوات الفرنسية فى حرب القرم بلاءاحسنا أفضل من بلاد باقى الأمم . وأظهرت المشاة الفرنسية فى تشكيلات إشتبا كها بطريقة القناصة خلال الحرب الإيطالية عام ١٨٥٦ خفة حركة وذكاء مثيرين . وبالرغم من إضطراب القيادة فى « سولفرينو » فقد أ كتسحت المشاة الفرنسية المهاجمة النمساويين أمامهم قبل أن تتمكن الأخيرة من إطلاق نيران بنادقها . ومع ذلك فحرب القرم، والحرب الفرنسية — النمساوية لعام ١٨٥٩ فى إيطاليا كشفتا النقاب عن حالة غير مرضية للأمور فى كل الجيوش والتى كان لا يمكن تجاهلها لمدة أطول . وفى الحقيقة وفرت حرب القرم درساً هادفاً فى كيفية إشعال الحرب بدون إستعداد . فقد كان التنظيم الإدارى فى كلا الجانبين مهلكا . وأرسل الحلفاء حملة بحرية للأستيلاء على سيباستبول بدون عمل أستطلاع مقدما الماء على كلا جانبى البرزخ والذى كان ضحلا بدرجة لا يسمح لسفنهم بالرسو . ولم يكن لدى البريطانيين أى وسائل لنقل الطعام والذخيرة ، وعانت القوات بشكل واضح من نقص التجهيزات اللازمة لحملة شتوية

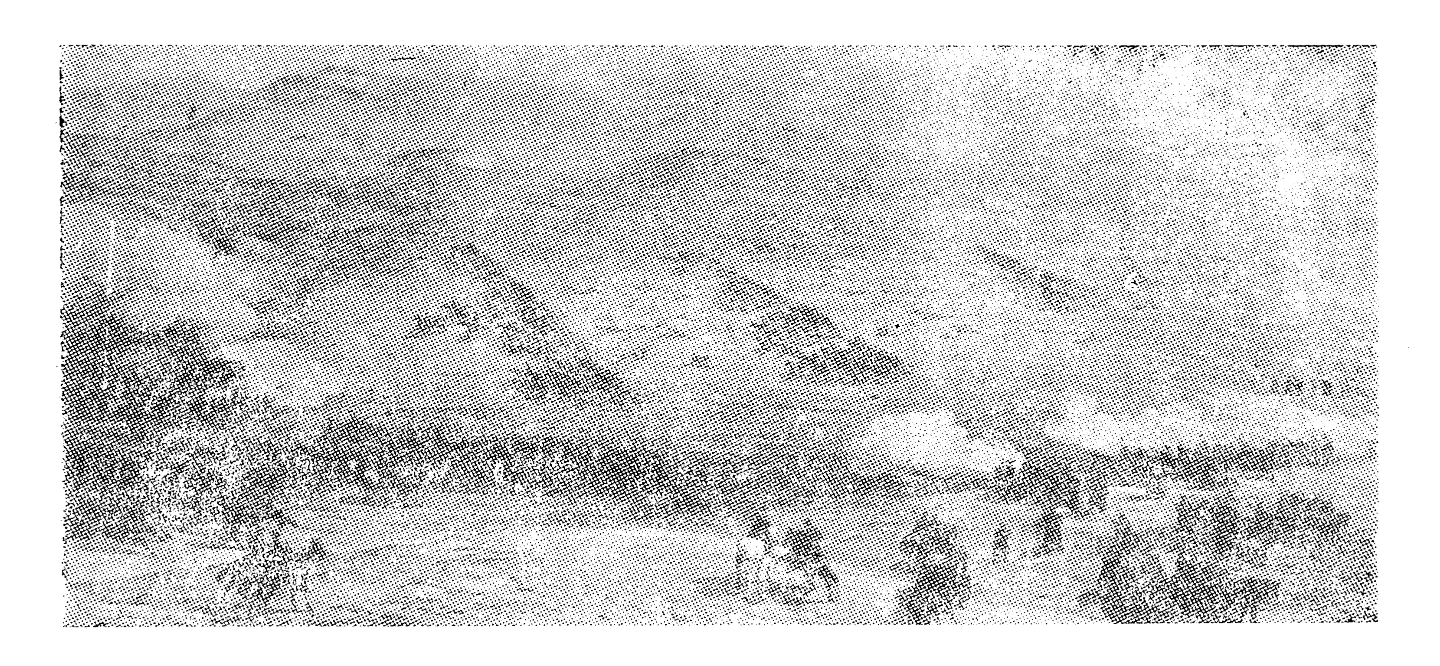
وكانت حرب القرم أول حرب أستخدم فيها التلغراف ، إلا أنه لم يخفف من التخبط فى الشئون الإدارية والاستراتيجية . وقد كشفت هذه الحرب الضعف المذهل فى الجيوش المحترفة للقوى الكبرى . وفقد أدى التخبط التكتيكى إلى واحد من أ كبر الكوارث

---

(١) مشاة فرنسية كانت مشكلة فى الأصل من جنود جزائريين يرتدون ملابس شرقية مزركشة

(٢) فرسان بجيش السلطان العثمانى الخاص

(٣) قناصة أفريقيا



هجوم اللواء البريطانى على « با كلافا »

العسكرية شهرة على مر الزمن ، وهو هجوم اللواء البريطانى الخفيف عند « با كلافا » بينما المدفعية الروسية تقصفه من ثلاثة جهات ، والتى علق عليها الجنرال الفرنسى « بوسكيت » والذى شاهد عملية الهجوم بقوله :— « كان ما حدث رائعاً ولكنه لم يكن حرباعلى الأطلاق ». وكانت حرب القرم واحدة من أكثر الحملات سوءا فى الإدارة فى كل التاريخ المسجل ، ولم يقدم الفرنسيون تحت قيادة نابليون الثالث فى عام ١٨٥٩ عرضاً أفضل . ففى الحقيقة حركوا قواتهم إلى إيطاليا بسرعة مستخدمين السكة الحديد ، ولكن بدون تجهيز الأمدادات الملائمة فلم يكن لدى الوحدات الأولى أغطية ولا معدات للطهى أو ذخيرة .

وإحتاج الأمر لتمزيق القمصان لربط الجروح عند « سولفرينو » ، بينما كانت المعدات الطبية فى نفس الوقت مكدسة على أرصفة جنوة . وكان أحد الأسباب وراء الخسائر الفادحة فى الأرواح عند « سولفرينو » هى أنها كانت ببساطة معركة تصادمية . وهو حدث نادر الحدوث فى تاريخ الحروب فى ذلك الوقت ، فلم يتوقع كلا الجانبين أن يضطروا للقتال الفورى. وقد كان المعدل الرهيب للخسائر فى الأرواح فى هذه الحروب بمثابة النداء الذى أحدث الثورة فى الخدمات الطبية .

وفى القرم ، أرسلت بريطانيا وفرنسا جيوشاً وصل عددها إلى ٤٠٥٠٠٠ رجل ، قتل

منهم فى الحرب ٢٥٫٦٠٠ بينما مات ٣٨٫٨٠٠ من الأمراض. وهرعت « فلورنس نيتنيانجل » تاركة عزلتها من شارع هارلى لتذهب ومعها ٣٨ ممرضة مدربة لتمرض القوات فى القرم ، وتلك كانت من أحد النتائج الملحوظة لهذه الحرب وهى التقدم الكبير نحو تحرير المرأة . وقد شاهدت كل حرب منذ ذلك الوقت مكسباً ملحوظاً للنساء فى موضوع التحرر الاجتماعى والمسئولية العامة . وكنتيجة لجهود أحد رجال البنوك السويسرية المحبين للسلام وخير البشرية وهو « هنرى دونانت » والذى تأثر بعمل « فلوانس نيتيانجل » وروعه المذبحة التى حدثت فى « سولفرينو » فقد أسست « لجنة الصليب الأحمر الدوليـة » . ووافقت ١٢ دولة على إتفاقية جنيف الأولى فى عام ١٨٦٤ . وخلال الحرب الفرنسية — البروسية عنى الصليب الأحمر بأكثر من نصف مليون مريض وجريح .

مدرسة تدريب كل الدولة على الحرب

وفى الفترة التى تلت عام ١٨٥٩ ، كان أكثر الجيوش فى سرعة الأصلاح والكفاءة هو الجيش الألمانى . ولم تتورط بروسيا فى الحرب الإيطالية عام ١٨٥٩ ، ولكنها راقبت سير الحوادث باهتمام . وكان من المنتظر أن تكسب كسباً سياسياً نتيجة إنهيار أحد الأطراف الرئيسية فى الصراع وهما فرنسا والنمسا . وكان الكثير من البروسيين يدركون أن حالة جيشهم لن تمكنهم من ذلك نتيجة لصغر الجيش البروسى المحترف ، كما أن الميليشيا كانت مستاءة سياسياً ومدربة جزئياً . وعلى أى حال ، ففى عام ١٨٥٨ أصبح الأمير ويليام وصياً على شقيقه المجنون ، وأدخل ويليام إلى الحكومة البروسية حماساً بعقله المحترف والذى يهوى الأمور العسكرية ويمكن مقارنته بالنظام الذى وضعه فريدريك وويليام الأول .

وتحت حكم ويليام ظهر ثلاثة رجال وصلوا إلى السمو ، وحافظ هؤلاء الرجال على بروسيا كدولة عسكرية إستبدادية ، كما حققوا لها السيادة السياسية فى التحالف الألمانى . وهؤلاء الثلاثة هم : — « فون رون » وزير الحرب بعد عام ١٨٥٩ ، و « فون مولتكه » رئيس الأركان العامة ، ورئيسهم السياسى « فون بسمارك » والذى شغل منصب رئيس الوزراء من عام ١٨٦٢ . وقرر « ويليام » و « رون » زيادة قوات بروسيا عدديا مع إحترافها . وكانت وسيلتهم فى ذلك جعل الخدمة العسكرية لمدة طويلة وإجبارية مع إنفاق أموال أكثر

على المعدات والتدريب.وقرر الوصى: — «إن الضبط والربط والطاعة العمياء أمور يمكن غرسها وإعطائها الدوام بواسطة طول التعود فقط» . وأخذ الأمر منهما عدة سنوات حتى حصلا على مايرغبان فيه من الجمهور . وتعمد بسمارك إستخدام الحرب كأداة لسياسته ٠ وكانت نتائج حروبه المتعمدة مع الدانمرك (١٨٦٤) والنمسا (١٨٦٦) وفرنسا (١٨٧٠) توحيد ألمانيا تحت القيادة البروسية ، كما أنها أصبحت أيضاً قوة صناعية رئيسية ٠ وفى عام ١٨٦٨ظهر إلى الوجود جيش الاتحاد الألمانى الشمالى ٠ وقد أقنعت الدول العديدةوالمستقلة إسميا والتابعة للاتحاد على تتبع الخط البروسى ، وكان إلتزام ولكن لم يكن الحماس له متكافئاً بين دول الإتحاد على أى حال ، وكانت نسبته مرضية . ووضع التعهد الإلزامى العام بالخدمة العسكرية موضع التنفيذ ، ووصف الجيش بأنه « مدرسة لتدريب كل الدولة على الحرب» . وكانت الخدمة فى القوات المسلحة العاملة ثلاث سنوات تبدأ من سن ٢٠ ، يقضى بعدها المجندون أربع سنوات أخرى فى خـــدمة الإحتياط، ثم ينقلون بعدهاإلى صفوف الجيش الدفاع الشعـبى أو الميليشيا . وكانت مـدة الخدمـة فى جيش الدفاع الشعبى خمسة سنوات ٠

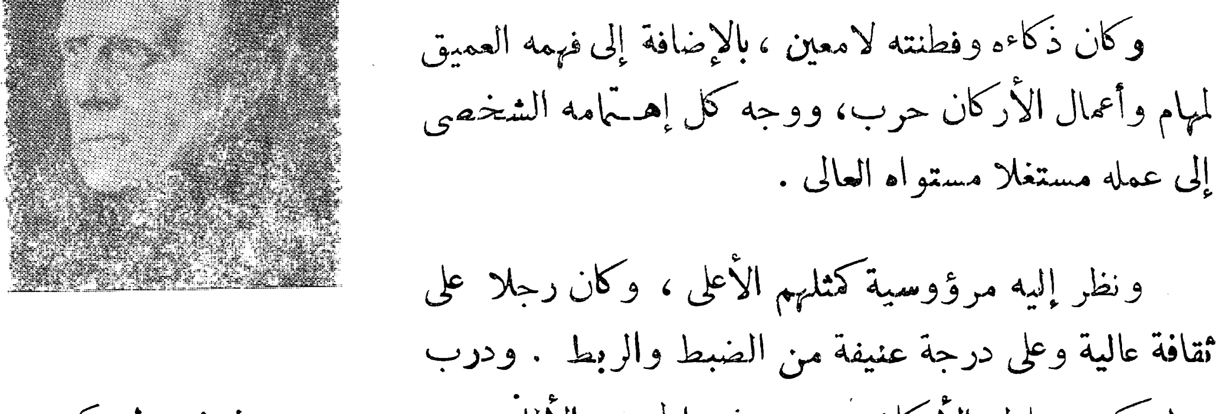
وقد أشرفت القوات المسلحة إشرافا كبيراً على جيش الدفاع الشعبى وكان الأخير فى الحقيقة جيشاً إحتياطياً ثانياً . وعندما جاءت التجربة العملية عام ١٨٧٠ وضع « رون » فى الميدان أكثر من مليون ضابط وجندى ، وسلحت المشاة بالبندقية « دريزى »والتى ظهرت كفائتها فى عام ١٨٦٦ أى عندما أطاق البروسيون ستة طلقات مقابل كل طلقه واحـدة أطلقها النمساويون ، وبالتالى فقد أكتسح البروسيون النمساويين فى الميدانعند «سادوا »، كما سلح الجيش أيضاً بأحدث مدافع أنتجتها مصانع كروب ، وكانت هذه مدافع تعمر من الترباس . وعلى أى حال فلم يكن حجم الجيش ميزة بدون التنظيم الكفء . وكانت عمليات التدريبوالتعبئة وفتح القوات وإمدادها تمثل مشاكل ضخمة.ولذلك فقد أصبحت القيادات على جانب كبير من الأهمية وفى شكل لم يعهد من قبل . كما كان على التنظيم القيادى أن يأخذ فى إعتباره المساحات المتزايدة والتى أصبحت تجرى عليهاالعمليات نتيجةلكبر حجم الجيوش وتوزيع القوات الإستراتيجية وهى أمور جعلته السكة الحديد ممكنة ، هذا بالإضافة إلى

الإنتشار التكتيكى الشىء الذى جملته نيران البنادق ضرورة ملحة . وأصبح ولابد من تفويض القادة المرؤوسين مسئوليات أكبر ، كما أنه أصبح من الضرورى أن يستجيب هؤلاء لأفكار ووسائل قادتهم الأعلى وفى نفس الوقت دون إعاقة لمبادئهم .

وأصبحت الآن مشاكل الأمداد والمواصلات مشكلات فنية مما أستلزمت الإحتياج إلى خبراء فى كل ميدان ، ولكن كان لدى الجيش البروسى فى رئاسة أركانه مجموعة من الخبراء المهرة القادرين على التعامل مع كل المشاكل المتعلقة بالتدريب والتخطيط والمواصلات .

فون مولتكة

وفى عام ١٨٥٧ ، عين فون مولتكه رئيساً لأركان الجيش البروسى .


فون مولتكه

وكان ذكاءه وفطنته لامعين ، بالإضافة إلى فهمه العميق لمهام وأعمال الأركان حرب، ووجه كل إهتمامه الشخصى إلى عمله مستغلا مستواه العالى .

ونظر إليه مرؤوسية كمثلهم الأعلى ، وكان رجلا على ثقافة عالية وعلى درجة عنيفة من الضبط والربط . ودرب مولتكه ضباط الأركان حرب فى الجيش الألمانى حسب ماأوحت له مخيلته. وكان يختار كل عام ١٢ من خيرة خريجى أكاديمية الأركان ويدربهم تدريباً خاصاً ؛ بحيث يعملون بعد ذلك تحت إشراف مولتكه الشخصى ، وكل من لايثبت جدارته ينقل إلى الوحدات .

ولكن كان يتعين على كل ضباط الأركان حرب أن يمضوا فترة بسيطة مع جنود وحداتهم قبل حصولهم على أية ترقيات ، وبذلك لم تكن الصلة مقطوعة بين ضباط الأركان حرب وجنودهم . وقد نفذت أفكار مولتكة إلى عقول كل أفراد الجيش ، حتى أنه مع عام ١٨٧٠ وصل الجميع إلى ما كان يسعى إليه . كما أتم تدريب معظم قادة الألوية والفرق تحت إشرافه ، هذا علاوة على وضع رئيس أركان مؤهل بجوار كل قائد جيش أو فيلق .

ولقد كانت عملية تدريب الأركانات حرب وقادة الجيش من أعظم الأدوار التى شارك بها مولتكه فى الحروب التى تعين على بلاده أن تخوضها ، وكان لهذا التدريب أهمية كبيرة عندما جاء الوقت لوضع خطط الحرب . وتضمنت هذه الخطط التعبئة السريعة الفعالة للجيش ، والعمل الكفء المنتظم للسكة الحديد ، والفتح التعبوى للجيش لمقابلة أى أخطار خارجية . وعلى عام ١٨٦٦ كان مولتكه قد حقق درجة عالية من اللامركزية فى خطط التعبئة ، وعلى عام ١٨٧٠ كان جهاز التعبئة قد بلغ حد الكمال ، فقد كان قد تم تلقين قادة الفيالق تماماً .

وتوفرت لدى كل وحدة فى الجيش العامل والدفاع الشعبى وإدارات الأمداد والمواصلات أوامر كاملة والتى لاتحتاج للبدء فى تنفيذها إلا لمجرد توقيت وكلمة كودية فقط . وأدرك البروسيون منذ وقت طويل أهمية السكة الحديد ، ولذا كانت الإعتبارات الإستراتيجية فى ذهنهم عند إنشائهم الكثير من شبكات السكة الحديد .

وفى حملة النمسا عام ١٨٦٦ ، وقع البروسيون فى نفس الأخطاء التى وقع فيها من قبلهم الفرنسيين فى إيطاليا عام ١٨٥٩ حيث فشلوا فى التنسيق بين تحرك القوات والإمدادات بالسكة الحديد ، إلا أن مولتكة تعلم من هذه الأخطاء .

وأقيمت إدارة خاصة (إدارة خطوط المواصلات) فى رئاسة الأركان تحت قيادة أحد معاونيه الرئيسيين .

وفى عام ١٨٧٠ كانت التعبئة بوسائل السكة الحديد ناجحة بدرجة كبيرة بالرغم من تشابك خطوط الأمداد وإزدحامها فى بعض النقط . ومن عام ١٨٥٨ إلى ١٨٨٠ لم يكف مولتكه عن تطوير وتعديل خططه بإستمرار وجعلها حديثة مع تنسيق فى نفس الوقت أعمال أركانه وإداراته . وفى الواقع كانت بروسيا قادرة فى أى دقيقة على التعبئة وفتح جيشها لتسديد ضربة إتجاه أى من أعدائها الرئيسيين وهم فرنسا والنمسا وروسيا .

الجرثومة العسكرية

أما فى فرنسا ، فبدأ الإصلاح العسكرى متأخراً عن بروسيا . وحاول الفرنسيون بعد

حملتهم الإيطالية عام ١٨٥٩ إقناع أنفسهم لفترة بأن كل شيء فى حالة جيدة وبدرجة كافية ، على الرغم من أن ضعف الجيش الفرنسي فى تلك الحملة كان واضحاً جداً أمام أعين الألمان خلف الراين . ولم يمض فترة طويلة حتى جاءت لحظة اليقظة من ذلك الوهم عندما شاهد الفرنسيون ما قام به البروسيون ضد النمسا عام ١٨٦٦ ، بالإضافة إلى الظواهر الأكثر سوءاً وضعفاً للتدخل الفرنسي فى الشئون المكسيكية فيما بين عامى ١٨٦١ و ١٨٦٧ . ومن عام ١٨٦٦ عمل نابليون الثالث والمارشال نيل وزير الحرب لتوصيل الجيش الفرنسي إلى المستوى البروسى ، إلا أن عمليات الإصلاح هذه تعين عليها مواجهة معارضة داخلية وكان ذلك بدرجة أكثر مما حدث فى بروسيا حيث كان نظام الحكم فى فرنسا أكثر تحرراً ، وبالتالى كان لا يمكن تجاهل الرأى العام الفرنسي بنفس طريقة بروسيا . وقد أدت الأزياء الزاهية وإنتقال القوات الرومانتيكى إلى أنحاء العالم البعيدة ، إلى بعث بعض مشاعر عصر نابليون الأول . ولكن ظل الرأى العام الفرنسى حذراً . وإهتمت الطبقات المتوسطة قبل كل شيء بالثراء والسلام وبالتالى لم يكن الجيش مقبولا إلا إذا كانت نفقاته لا تحتاج إلى أموال إضافية ، وأيضاً إذا كان يمكن لمن يرغب فى تجنبه فعل ذلك .

ومنذ عام ١٨١٨ كان مسموحاً للمجندين فى فرنسا بارسال بديل، وكنتيجة لذلك أصبح الجيش بمعزل عن الأمة بينما كان عنصر الضباط فى نفس الوقت محتقراً . وفى عام ١٨٦٦ تنبهت السلطات الفرنسية إلى المشكلة ووجدت أنه بينما تستطيع بروسيا أدخال ١ر٢٠٠٠٠٠ جندى مدرب إلى القتال ، كانت فرنسا لا تستطيع دفع سوى ٢٨٠٠٠٠ رجل فقط ، كما يجب سحب جزء من هذه القوات الصغيرة لمقابلة الإحتياجات فى الجزائر وإيطاليا والمكسيك .

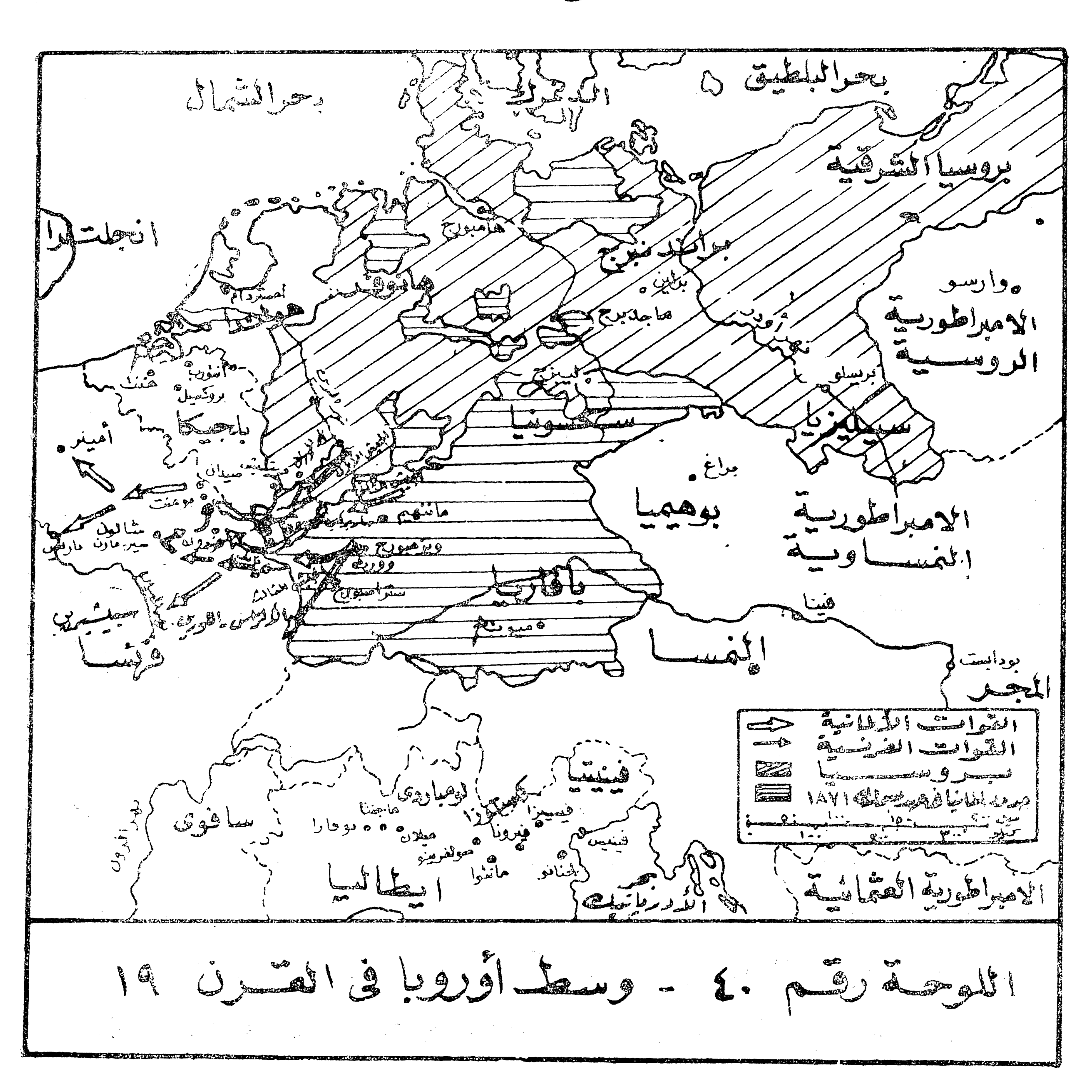
إلا أنه عندما إقترح « نيل » تطبيق نظام التجنيد العام بنفس النظام المتبع فى بروسيا إتهمته الجمعية التشريعية بإنه يريد تحويل فرنسا إلى معسكرات . وكان رده على ذلك بأنه إذا لم يأخذ الفرنسيون حذرهم فسوف تتحول فرنسا إلى مقابر . وفى يناير ١٨٦٨ سن قانون جديد يستدعى بمقتضاه إلى الخدمة العسكرية سنوياً ١٧٢٠٠٠ رجلا ولمدة خمسة سنوات عاملة وأربعة سنوات فى الخدمة الإحتياطية

وكان هذا النظام من المفروض أن يوفر على عام ١٨٧٥ قوة معبأة للجيش مقدارها ٨٠٠٫٠٠٠ رجل ، كما سيدرب أيضاً ٥٠٠٫٠٠٠ فرد آخر والذين سيأخذون ممن هربوا من الإستدعاء للعمل فى « الحرس المتنقل » وهؤلاء كانوا يعادلون جيش الدفاع الشعبى البروسى. ودار جدل طويل حول إقتراح المارشال « نيل » ولكن خفف النواب إقتراح نيل بدرجة أن الشبه بين القانون المقرر وإقتراح نيل أصبح ضعيفاً . وظلت مدة الخدمة خمسة سنوات ، ولكن فترة التدريب السنوية كانت أسبوعين فقط ، وحتى هذه كان يمكن بسهولة تجنبها. ولتجنب جرثومة العسكرية فقد حدد بأن يكون تدريب الرجال يوما واحداً فقط فى كل مرة وفى بعض الظروف كان يمكن للمجندين من العودة إلى منازلهم فى المساء . وبعدموت نيل عام ١٨٧٩ نبذ خلفه الجنرال « ليبويف » موضوع « الحرس المتنقل » .

ومع حلول ١٨٦٠ أصبح لدى فرنسا جيشاً محترفا قوامه حوالى نصف مليون جندى . وبالتأكيد كان الجيش مجهزاً جيداً ، وتواجدت كميات وافرة من الملابس والطعام والذخيرة . وتم صنع مليون بندقية من نوع « شاسيبوت » ، وبالرغم من أن المدفعية لم تكن قد أعيد تجهيزها إلا أن ما تواجـــد منها لم يكن بأى حال سيئاً . ومن ناحية أخرى وبالرغم من التحذيرات المستمرة من الملحق العسكرى الفرنسى فى برلين ، فلم يبدأ الفرنسيون إلا بشق الأنفس العمل على تطوير مجالات أعمال الأركان حرب والتى أصبح الجيش البروسى فيها الآن ممتازاً ، وعلى سبيل المثال ، تدريب الضباط وتنظيم الأمداد والمواصلات بالسكة الحديد وأجهزة التعبئة ونظام الفتح التعبوى . وكانت شجاعة الجنود الفرنسيين معروفة ولكن كان معروف أيضاً عدم نظامهم . كما كان مستوى التعليم فى الكليات العسكرية (سانت كاير ومتز وسامور) ضعيفاً . هذا علاوة على أن الذين كانوا يحضرون هذه الدورات التعليمية ، كانوا قلة من النوابغ أو الضباط الأغنياء فقط ، وقد كان معظم الضباط الفرنسيين رجالا شجعان كبار السن والذين أرتفعوا فى الحروب الإستعمارية نتيجة لشجاعتهم وإندفاعهم أكثر من خبرتهم الفنية فى مهنتهم . وفى عام ١٨٧٠ كان الجيش الفرنسى معداً بصورة أفضل للحرب عن أى وقت مضى منذ الحروب النابوليونية ، ولكنه لم يكن معداً لحرب حديثة .

الفرصة الذهبية (أنظر اللوحة رقم ٤٠)

لقد كان السبب الظاهرى لنشوب الحرب بين فرنسا وبروسيا فى يولية ١٨٧٠ يرجع إلى الإثارة الدبلوماسية حول خلافة العرش الأسبانى ، إلا أن السبب الحقيقى أن كلا الدولتين قد وصلتا إلى عمق أكبر فى معاداتهما لبعضهما ، وكان كل من نابليون الثالث وبسمارك يبحثان عن مجرد مبرر لأشعال الحرب . وكان نابليون يخشى أن تصبح بروسيا زعيمة لألمانيا المتحدة ، بينما كان يرى بسمارك فى الحرب مع فرنسا فرصة سانحة تمكنه من تنظيم صفوف



اللوحة رقم ٤٠ - وسط أوروبا فى القرن ١٩

الألمان وضمهم إلى برنامجه الخاص بوحدة ألمانيا ، أما مولتكة ورون فكانا واثقين من إمكان هزيمة الجيش الألمانى للفرنسيين ، وأخيراً تواجدت الفرصة .

وفى ١٩ يولية أعلن نابليون الحرب ، وبعد أسبوع فى « متز » أمر بنفسه بتقدم القوات الفرنسية عبر الراين بالقرب من « ستراسبورج » بغرض منع إتصال الوحـــدات الألمانية الموجودة فى الشمال والجنوب ، ولكن لم تسر تعبئة الفرنسيين بسرعة إستراتيجيتهم ، وفى أول الأمر لم تكن هناك جيوش فرنسية فى الألزاس وعلى نهر الموزل . وأمكن فقط تجميع ٣٠٠ر٠٠٠ رجل ولكن بعد أن أصبح الوقت متأخراً جداً . أما التعبئة البروسيـة والتى نظمها مولتكة بعبقرية من قبل فتمت بكفاءة عالية ، وكانت كل وحدة وكل تشكيل تسير وفقاً لتعليمات محددة ودقيقة لما سيتم بالضبط . وإلى اليمين وعلى طول نهر الراين تقدم الجيش الأول والذى يتكون من فيلقين وفرقة فرسان تحت قيادة الجنرال فون «ستينمتز» نحو الموزل بين « ترير » و « ويتليش » . أما الجيش الثانى تحت قيادة الأمير فريدريك تشارلز والذى يتكون من أربع فيالق وفرقتى فرسان تجمع على الرين بين « متز » و « مانهيم » ثم يتحرك بعد ذلك بقليل هذا الجيش ليتصل بالجانب الأيسر للجيش الأول وذلك حول « همبورج » . وتجمع الجيش الثالث تحت قيادة ولى عهد بروسيا والذى تكون من ٤ فيـــالق وفرقة « ورتمبرج » وفرقة « بادن » وفرقة فرسان عند الراين على الجناح الأيسر . وأحتفظ بفيلقين أضافيين كأحتياطى للجيش الثانى . وتم تعبئة الجيوش الثلاثة وبلغ أجمالها ٣٨٤ر٠٠٠ رجل ، وتم نقلها إلى المنطقة الأمامية غرب الراين فى ١٨ يوما . هذا بالإضافة إلى توفر السكك الحديدية والتى كانت ستجلب ٣ فيالق أخرى فى ثلاثة أسابيع تالية .

وقد أدرك مولتكة مبكراً المحاولة الفرنسية التى تستهدف إحداث الأضطراب فى تعبئة قواته ، ولكن بتفوق أستراتيجيته وبعد نظره الإدارى أزيل هذا الخطر تماما كما أعطى البروسيين المبادأة الأفتتاحية . وأنتهت خطط مولتكة التفصيلية للتقدم عند هذه النقطة أى عند نقطة فتح جيوشه فى مواجهة عاصمة عدوه وبطريقة تمكنها من مهاجمة العدو المقترب فى أى صورة وبقوة . وكانت ترتيبات مولتكة بسيطة ومرنة . وكان يأمل فى خوض معركة فاصلة فى منطقة « السار » حيث يحشد الجيوش الألمانية الثلاثة لتحطيم الفرنسيين الأقل

عدداً . ولـكنه أعتقد أن من الخطأ محاولة وضع خطط تفصيلية سابقة كثيرة لمدد بعيدة ، حيث أن الموقف بعد الصدام الأول مـــع العدو لابد سيتمخض عن عوامل لايمـكن التهـكن بها .

وعلم قادة الجيوش بخطته العريضة ، كما توفرت لديهم تعليمات للعمليات ولـكنه أعطى لهم حرية التصرف فى نطاق الهيكل العام للخطة كما توقع منهم أن يحصلوا على المبادأة. أما الفرنسيون فقد ظهر فشل خطتهم الأولى وأصابهم شىء من الحيرة فيما يفعلونه .

ولـكن عندما حشدوا حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ رجل فى المنطقة الأمامية بدأوا القتال الذى أخذ صورة إستطلاع بالقوة فى ٢ أغسطس عند «ساربروكين» ولـكن لم يحقق هذا إلا القليل . والآن أعتقد مولتـكة أن الفرنسيين على وشك القيام بهجوم قوى ، ولذلك فقد قرب الجيش الثانى الموجود فى المنتصف من مواقعه المتقدمة وأمر الجيش الأول والذى كان أضعف الجيوش الثلاثة وأبعدها للأمام بالتوقف . بينما حرك للأمام الجيش الثالث ، والذى لم يكن قد كمل تمركزه عبر الحدود أى إلى داخل الألزاس الشمالية عند « ويزمبورج » حيث نشب أول إشتباك جدى للحرب فى ٤ أغسطس ، وبعد يومين طوق الجيش الألمانى الثالث والمندفع أماما إلى « وورث » جزء من الجناح الفرنسى الأيمن الذى يقوده « ما كماهون » . ودار قتال وحشى ،فـكان يعاود كل جانب الهجوم مرة بعد الأخرى وتـكبد الأثنين خسائر فادحة. وقامت الفرسان الفرنسية بهجومين بطوليين ولـكن بدون فائدة .

وفى النهاية سبب إستخدام الألمان المتفوق لمدفعيتهم وأيضاً نظامهم الجيد فى فتح النيران أن أضطر الفرنسيون إلى إيقاف القتال والأنسحاب . وفى هذه المرحلة توقف تماما سير الأمور كما رسمها مولتـكة . ففى ٦ أغسطس أى فى نفس يوم معركة « وورث » ، إشتبـك بتهور «ستينمتز» وجيشه الأول ضد قوات فرنسية مخندقة فى مواقع قوية عند « سبيشيرن » وتبعد ٣٥ ميلا إلى الشمال ، وبسرعة حضر قادة التشكيلات الألمانية المجاورة لمعاونة الفرقة القائدة المهاجمة ، وعلى بعد الظهر أجبر الألمان الفرنسيين على الأنسحاب ، ولـكن كانت الخسائر الألمانية فى «سبيشيرن» أكثر من خسائر الفرنسيين، كما أن مجموعة الإستطلاع الألمانى فقدت كل أثر لتحرك الجناح الأيمن الفرنسى بقيادة « مكماهون » ، وإفترض مولتـكة أن اليمين

الفرنسى يتحرك إتجاه الشمال الغربى لينضم إلى اليسار الفرنسى تحت قيادة « بازين » بالقرب من « متز » على نهر الموزل .

بينما كانت الحقيقة هى أن « مكماهون » كان يتحرك إلى الوراء فى إتجاه الجنوب الغربى. وفى الواقع لم يكن الإستطلاع الألمانى المعتمد على الفرنسان جيداً ، وخلاصة النتيجة أن القوات الألمانية كانت تجرب ضباب المعركة أثناء تحركها للأمام . وفى ١٤ أغسطس وقعت المعركة الثانية الغير متوقعة عند « كولومبى » شرق « متز » والتى كسبها الألمان كما حدث من قبل . وعلى مساء ١٥ أغسطس لم يعد هناك أى شك فى أن « بازين » ينسحب من « متز » ، ولكنه لم ينسحب نحو «فردون» بالسرعة التى توقعها مولتكة ،لأنه عندما دفع فى ١٦ أغسطس بالجيش الألمانى الثانى عبر الموزل جنوب « متز » لمطاردة « بازين » وجد أن قواته متجمعة بقوة على مسافة أقل من عشرة أميال غربا . وحدث ما هو متوقع للجيش الثانى ، فقد أخذ يتخبط لدرجة أصبح معزولا ، وكانت تلك فرصة ذهبية لبازين ليهاجمه من الجنب بقوات متفوقة ، ولكنة ترك الأحداث تتحول . فقد أصطدم فيلق ألمانى بقوة فرنسية قوية عند « مارس — لا — تور » عبر الموزل وإلى الغرب من « متز » ، وجرى الأشتباك على نفس طريقة « سبيشرين » فقد قاتل الألمان بعناد حتى جاءت قوات أضافية لمعاونتهم ، وأستطاعوا مع نهاية اليوم كسب بعض الأرض ، وخسر كل جانب فى هـــذا القتال حوالى ١٦٠٠٠ مقاتل .

التخبط الدامى (أنظر اللوحة رقم ٤٠ ، ٤١)

الآن قرر «بازين» الصمود وخوض القتال ، وأصدر أوامره لقواته بالتخندق فى مواقع قوية غرب « متز » مباشرة .

وهذا الموقع عبارة عن سلسلة مرتفعة تمتد حوالى ٧ أميال بين قريتى « جرافيلوت » إلى الجنوب و « سانت — بريفات » إلى الشمال ، وتنحدر السلسلة برفق إلى الغرب ، بينما تنحدر بحدة إلى الشرق .

وفى ١٨ أغسطس كانت الدفاعات الفرنسية قد كملت ، فقد تم حفر الخنادق لإطلاق النيران وخنادق المواصلات ، كما كانت بطاريات المدافع محمية بالدشم . وحولت بعض بيوت

المزارع إلى مايشبه القلاع الصغيرة . وواجه كل جانب فى الواقع خلال المعركة والتى كانت على وشك الحدوث مؤخرته الاستراتيجية . فنجد أن الألمـان ، قاموا بتحرك واسـع فى الجزء الجنوبى الغربى منذ ٦ أغسطس ، وعندما لم ينسحب الفرنسيون كما كان متوقعاً ، فقد وجد الجيشان الألمـانيان الأول والثانى أنهما قد طوقا بالـكامل الجانب الأيمن لقوات «بازين» . ومع الأضواء الأولى لفجر ١٨ أغسطس ، وبينما كان الأمير « فريدريك تشالز » لازال يعتقد أن بازين ينسحب غرباً ، فقد دفع الأمير بجيشه شمالا فى أرتال متوازية قوية غرب السلسلة المرتفعة والتى تقع خلفها قوات « بازين » وعلى ذلك فقد عرض فريدريك قواته لخطر مروع إلا أن « بازين » أخفق فى القيام بالهجوم عندما حانت له الفرصة كما حدث تماما فى « مارس ـ لا ـ تور » .

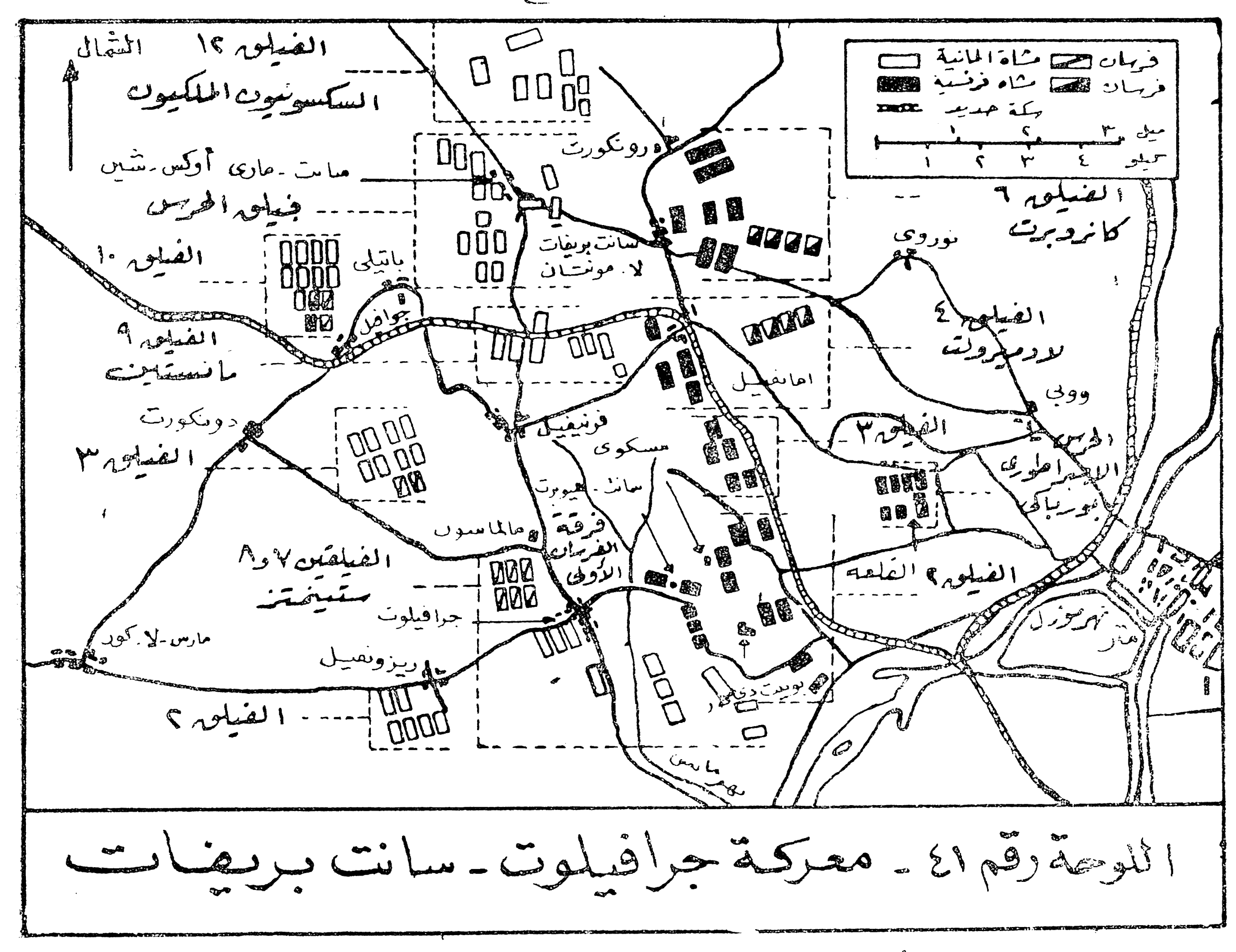
وفى هذه المرة نوى الألمـان خوض القتال بمجرد إصطدامهم بالعدو ، ولأول مرة إشتبك الجانبان بكل ماديهما من قوات فى معركة واحدة . وكان لدى الألمـان ، بعد إزالتهم الجناح الأيمن الفرنسى وإبعاده عن الميدان بالانتصار فى « وورث » ، ١٨٨٫٣٠٠ رجل و٧٣٢ مدفع وذلك ضد ١٢٫٨٠٠ جندى فرنسى و٥٢٠ مدفع . وحدث عند « أمانفيل » الاشتباك الأول بين الفيلق القائد للجيش الثانى مع الفرنسيين .

وفى البداية أعتقد الألمان أن هذا هو أقصى يمين الموقع الفرنسى ، وقبل إنتصاف النهار بقليل هاجم فيلق « مانستين » التاسع المواقع الفرنسية والتى يقودها «لادميرولت» وخندقة خلف « فرنيفيل » .

وعلى الفور أدرك «مانستين» أن الفرنسيين متحصنين بسانت بريفات بقوة وقد يهاجمون أجناب القوات الألمانية . وبات الوقت متؤخراً جداً لمولتكه ليغير أوامر الهجوم ، وهى الأوامر التى أعطيت على أساس إفتراض إمكان طى الموقع الفرنسى المتمركز على « جرافيلوت » من الشمال .

وفى الساعات الأولى للقتال حول « أما نفيل » صدت نيران البنادق الفرنسية الألمـان فى الأرض العراء كما فقد الألمان بعض المدفعية فى هجوم مضاد ، وتحولت المعركة فى هذه المنطقة لتصبح تراشقا بالمدفعية والتى تحملتها بصمود كلا الجانبين ، بينما جلبت قوات أكثر من الجيش الألمانى الثانى لمعاونة يسارهم .

ومع الساعة الثالثة كان « مانستين » قد عزز بقوات إضافية وسرعان ما طرد الألمان الفرنسيين من قرية « سانت — مارى — أوكس — شين » وعلى الساعة الخامسة كانت المشاة الفرنسية بدأت تخرج بأعداد كثيفة من «سانت — بريفات » وقامت المدفعية الفرنسية بعمل أقصى ما يمكنها لحمايتهم من النيران المركزة عليهم من ١٨٠ مدفع ألمانى . وفى نفس الوقت حول « جرافيلوت » من الشمال والجنوب فتحت المدفعية الالمانية للفيلقين ٧ ، ٨ منذ الظهيرة نيراناً متواصلة من ١٥٠ مدفعاً على المواقع الفرنسية وإستمر القصف حتى حلول



اللوحة رقم ٤١ ـ معركة جرافيلوت ـ سانت بريفات

الظلام ، ولم يتمكن الألمان من مشاهدة تأثير نيرانهم إلا فى اليوم التالى وكانت كالآتى : ـ « فى «مسكوى» و «بوينت دى جور» وجد بعض الجنود الفرنسية وهم محترقين فى مواقعهم الدفاعية ، كما كان هناك عدد كبير من الجرحى الذين شوهتهم النيران الناتجة من القصف . وفى كل مكان كانت هناك بنادق وسيوف مبعثرة ، وأعداد من الجربنديات والخراطيش وبقايا عربات المدافع التى نسفت علاوة على مدافع محطمة وعدد كبير من الخيول النافقة

والمقطعة» . وعلى الرغم من ذلك ، فلم تستطع المدفعية أو هجمات المشاة من زحزحة الفرنسيين عن المواقع المواجهة « لجرافيلوت » فى ١٨ أغسطس . وصدت جميع الهجمات الألمانية ضد تلك المنطقة عدا الموقع المتقدم فى « سانت — هيوبرت » والذى سقط قبل الغروب ، وكان هذا المكسب الوحيد الذى تم بواسطة الجيش الألمانى الأول تحت قيادة « ستينمتز » .

وفى الوادى الضيق لنهر « مانس » وعلى بعد قليل إلى الجنوب قام « ستينمتز » بسلسلة من الأخطاء الفاضحة ، فقد أعتقد أن سقوط سانت — هيوبرت هى علامة لتحلل المقاومة الفرنسية ، فأمر كل المشاة المتوفرة والمدفعية التابعة للفيلق السابع بالهجوم على طول محور طريق ضيق والموصل إلى الوادى الضيق .

فأرسل معهم الفرقة الاولى فرسان والتى كانت ستطارد الفرنسيين المهزومين حتى «متز» مسددة بذلك الضربة القاضية . ولم يتمكن سوى عدد ضئيل جداً من الالمان من شق طريقهم إلى « سانت — هيوبرت » ، ولكن توقف الباقون نتيجة الاضطراب والتشوش الدامى اللذين حدثا فى الوادى الضيق .

وعلى الساعة الخامسة أصبح واضحاً فشل هجوم الجيش الالمانى الأول وبدأ الالمان بالتالى فى الانسحاب .

وفى خلال ساعة تعرض المكسب الالمانى فى « سانت — بريفات » أيضاً للخطر عندما أمر الامير أغسطس أمير « وورتمبرج » فيلق الحرس بالتقدم إلى « سانت — بريفات » وقبل أن يتم التنسيق مع هجوم السكسون فى الشمال .

وعندما تقدمت مجموعات المناوشة لفيلق الحرس صاعدة المنحدر نحو الخط الفرنسى حتى وقعت مذبحة البنادق الفرنسية ، وسقط الضباط من على خيولهم بينما قتل الرجال وهم يحاولون صعود الميل ، وأخيراً توقف الهجوم عندما وصل إلى مسافة حوالى ٦٠٠ ياردة من « سانت — بريفات » وذلك بعد أن خسر الالمان ٨٠٠٠ رجل فى ٢٠ دقيقة . وهكذا على الساعة السادسة كان الفرنسيون قد صدوا الالمان على طول كل الخط من «جرافيلوت» إلى « سانت — بريفات» . وأصبحت اللحظة مواتية الآن لقيام الفرنسيين بهجوم مضاد إلا

أنه للمرة الثالثة على مدى أربعة أيام أخفق بازين فى الإمساك بفرصته ، ويبدو أن قوة إرادته وقوته الدافعة قد شلتها ثقل المسئولية ، أما هو فقد أدعى بأنه كان منهكا. ورفض التقدم للامام من مركز قيادته عند « بلابفيل » قائلا بأن الخطوط الدفاعية تقوم بعملها بنجاح ، وبدا له هذا كافياً .

وعندما سأله قادته المرؤوسين عن أوامر جديدة أظهر تردداً وعدم قدرة على الوصول إلى قرار ، بينما كان قادته المرؤوسين أنفسهم يفتقرون إلى المبادأة اللازمة لتكملة النصر .

وحتى بالرغم من عدم قيام الفرنسيين بهجوم مضاد ، فقد كان موقف الألمان فى الجنوب على وشك الإنهيار التام . وبعد أن ألقى «ستيينمتز» بجميع قواته فى التخبط الدامى فى وادى المانس ، فقد أرسل يطلب من القيادة الملكية السماح له بإلقاء قوات جديدة من الفيلق الثانى والتى وصلت لتوها إلى المعركة .

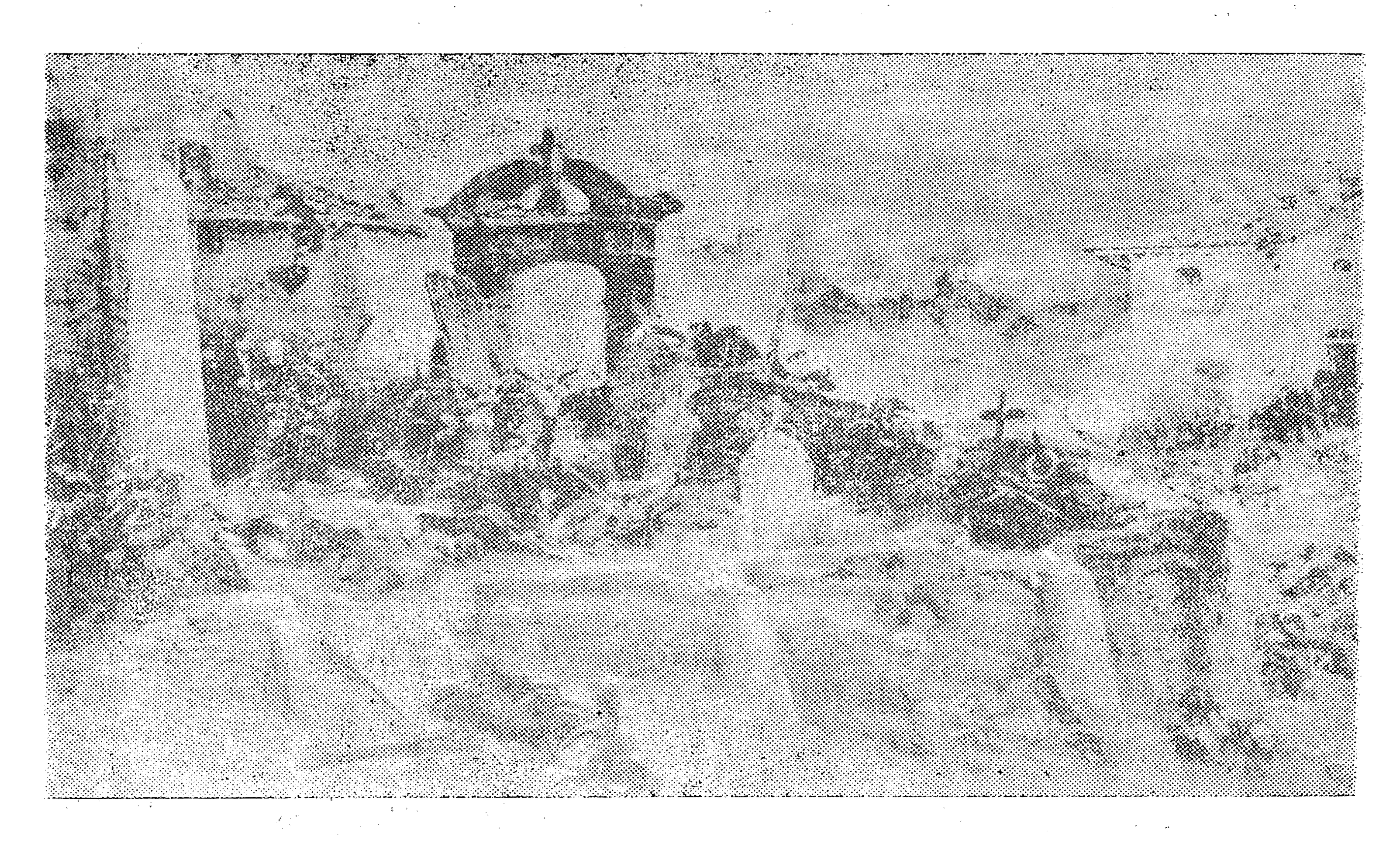
وكان ستيمنتز قد ضلل الملك بتقرير ذكر فيه أنه إستولى على كل المواقع الفرنسية عدا المرتفعات ، وحيث أن مولتكه ظل صامتاً أثناء طلب « ستيمنتز » فقد صودق على طلبه . وكان الفرنسيون فى ذلك الوقت قد استعدوا لمقابلة أعدائهم ، فكانوا يرون خوذ أعدائهم وهى تلمع تحت أشعة شمس الغروب .

وقوبل الهجوم الألمانى بنيران قاتلة من المدى المؤثر ، وتراجعت المشاة الالمانية بدون نظام ثم بدأت بعض الخيول تجمح ، وفجأة تحطم النظام فى الفيلق السابع والثامن. وإنطلقت الفرسان وعربات المدفعية تعدوا هاربة إلى الخلف خلال «جرافيلوت» وجرت المشاة الالمانية إلى الخلف أى إلى أسفل الوادى ، ولكن ظل الفرنسيون لا يقومون بهجوم مضاد وإستطاع الفيلق الثانى مقاومة هذه الموجة من الذعر ، ولكن وجد الجنود فى الظلام أنفسهم يطلقون نيرانهم على القوات الالمانية التى فقدت النظام . ولم تفعل قوات الفيلق الثانى أكثر من التمسك بمواقعها ، وعلى الساعة التاسعة والنصف أوقفت القوات نيرانها . وشق الملك وهيئة قيادته طريقهم إلى « [illegible]ونفيل » فى الخلف فى إنتظار سماع هزيمة الجيش الاول ، ولم يتبدد [illegible] الليل عندما علم مولتكه أخيراً من الامير « فريدريك تشارلز »

بانهيار اليمين الفرنسى ، وفى الواقع ساعد الضغط القوى لفيلق الحرس الموقف الالمانى بشكل كبير ، فعندما قام السكسون بهجومهم الجانبي من الشمال لم يكن الفرنسيون على إستعداد لمواجهتهم بعد .

وفى نفس الوقت حطمت نيران المدفعية كل المحاولات الفرنسية للتحرك للأمام بين « أمانفيل » و«سانت بريفات» . وبناء عليه قرر « كانروبرت » قائد اليمين الفرنسى أنه لابد من التراجع، وطلب من « بورباكى » قائد الحرس الإمبراطورى والذى كان فى الاحتياط ستر إنسحابه ، الأمر الذى لم يكن فى مقدور « بورباكى » عمله .

أما الهجوم الأخير للفرسان الفرنسية فقد منى بالفشل تحت وابل نيران البنادق الألمانية. وبعد الساعة الثامنة إستولى الألمان بسرعة والذين بلغت قوتهم ٥٠٠٠٠ رجل على «سانت — بريفات» ، وتم ذلك باقتحام الألمان الموقع الفرنسى بالسونكى . وأنسحب اليمين



معركة سانت — بريفات وقد أقتحمها الألمان بعد دفاع مستميت للفرنسيين

الفرنسى فى رتل متعثر على طول طريق « وويى »،وعند « أما نفيل » أى فى اليسار الفرنسى

البعيد رفض «بورباكى» فى ثورة من الهياج معاونة «لادميرولت» ، فى الوسط، وهنا أيضاً بدأ الفرنسيون فى الانسحاب .

وكان إنسحاب اليمين الفرنسى إنسحابا منظما إذا قورن بهزيمة الألمان عند «جرافيلوت»، كما كان الألمان أيضاً غير منظمين بدرجة تمكنهم من مطاردة الفرنسيين ، ولكن كانت الهزيمة كافية لتقرير نتيجة معركة «جرافيلوت» و «سانت — بويفات» لصالح الألمان . وعلى ١٩ أغسطس إنسحب باقى جيش بازين إلى داخل دفاعات «متز» وقد خسر الألمان حوالى ٢٠٫٠٠٠ من الأرواح أى أكثر مما تكبده الفرنسيون ، ولكنهم كسبوا ميزة إستراتيجية حاسمة عند نهاية المعركة ، فقد أصبحوا قادرين على خنق جيش بازين فى متز ، أى إلغاءه هو وجيشه تماما من باقى الحرب .

ولايحتاج فشل بازين فى القيادة إلى مناقشة أخرى ويكفى القول بأن القوات الفرنسية أظهرت كفاءة قتالية والتى كانت تستحق قيادة أفضل . وكان مولتكه محظوظا بتحقيقه هذا النصر لأنه فى الواقع لم يسيطر على الأحداث فى أى وقت منذ ٦ أغسطس منذ معركتى «وورث» و «سبيشرين» ، كما أنه فى يوم ١٧ أغسطس لم يفعل الألمان شيئا أكثر مما فعله الفرنسيون بحيث يستحقون عليه النصر . وقد أظهرت المعركة أن مولتكة كان يتصف بخصائص المدرب والمنظم للجيوش الكبيرة أكثر من خصائصه كقائد عام فى ميدان القتال، وقد أدت سنوات العمل السابقة المضنية إلى غرس الفهم التلقائى والذى أظهره الضباط الألمان المرؤوسين فى هذه الحملة ، وقد أدى هذا إلى أصلاح أخطاء «ستينمتز» و«فريدريك تشارلز» مرارا نتيجة السرعة والذكاء والإخلاص الذى أبداه قادة التشكيلات والوحدات الألمانية فى معاونة بعضهم وأيضاً نتيجة لضبط وربط وشجاعة القوات التى كانت ثقتها مطلقة فى ضباطها . وفى هذه الأثناء أنسحب «ماكماهون» بعد هزيمته فى «وورث» فى إتجاه باريس ، حتى وصل إلى «شالون — سير مارن» ، وهناك توفر له الوقت ليبنى جيشه فى أربعة فيالق ، وفى ٢٣ أغسطس أمر بالتقدم فى إتجاه الشمال الشرقى لتخليص بازين . وكما أشار ليدل هارت فقد جنى مولتكه الفائدة الناتجة من المناورة الواسعة . وقد واصل الجيش الألمانى الثالث تقدمه بعد «وورث» ودار جنوبا وبالتالى فقد عبر الحدود ولم يشترك فى

مرحلة العمليات التى وصلت إلى قمتها عند « جرافيلوت » و « سانت — بريفات » ، وقد وضعته هذه المناورة فى موقع ممتاز ، فقد أصبح فى إمكانه الدوران ومهاجمة جانب أومؤخرة جيش « ماكماهون » إذا تقدم .

وفى نفس الوقت بدأ « ماكماهون » يواجه بعض القوات الألمانية المتحركة خارج «متز» وعلى نهاية أغسطس وقع « ماكماهون » فى المصيدة بالقرب من الحدود البلجيكية ،ودارت معركه عند « بومنت » فى ٣٠ أغسطس . وحتى الآن كانت القيادة الألمانية تعمل فى جوغير واضح إلى حد ما . وفى سبتمبر دارت معركة « سيدان » على نهر الموز ، وحوصرالفرنسيون فى قطعة ضيقة من الأرض ، وبدأ الألمان فى قصفهم بالمدفعية من خارج مدى البنادق الفرنسيه، وفى اليوم التالى أستسلمت القوات الفرنسية ، ووقع منهم فى الاسر ١٠٤٠٠٠ منهم الامبراطور نابليون الثالث بينما خسر الالمان ٩٠٠٠ فقط . وقد تمكن الالمان من هزيمة الفرنسيين فى عمليات دارت على مدى شهرين ، نتيجة لعدم وجود جيش منظم آخر لدى فرنسا . وعلى أى حال ، فقد أمتدت الحرب لستة أشهر أخرى قبل الوصول إلى نهايتها .

وفى هذه الاثناء أعلنت الجمهورية فى فرنسا ، وأثار وزير الحرب « كامبيتا » المقاومة . وطال حصار « متز » و « باريس » وبدأ الفرنسيون يضحون بأرواحهم فى شجاعه باسلة ضد محاصريهم من الالمان ، وفى الريف أثار الفدائيون الفرنسيون حرب عصابات ضد الألمان . وهرب «كامبيتا» من باريس ببالون لتنظيم جيش فى اللوار . وفقط فى يناير وفبراير ١٨٧١ أستسلم آخر الفرنسيين فى باريس وفى اللور . وأعلن ويليام نفسه إمبراطورا فى قاعة المرايا بفرساى . وفى ١ مارس سار الألمان فى زهو خلال شوارع باريس . وخلال حكومة باريس الإشتراكيه (١٨ مارس — ٢٧ مايو ١٨٧١) قاتل الفرنسيون بعضهم البعض ودارت بينهم المذابح على مرآى من الالمان .

الحرب الاهلية الامريكية (أنظر اللوحة رقم ٤٢)

وحدثت حرب عظيمة «حديثة» أخرى فى أمريكا الشمالية . وترجع جذور الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ — ١٨٦٥) إلى التوتر المتزايد بين نوعين مختلفين تماما من المجتمع تربطهما معا حكومة واحدة . وجاءت مشكلة الرقيق خلال خمسينيات القرن ١٩ إلى زيادة كره النظامين لبعضهما . وفى إنتخابات الرياسة عام ١٨٦٠ فاز الجمهوريون بالرياسة والذى كان

برنامجهم مرتبطا بالمصالح الاقتصادية فى الشمال ، وبالتالى فصلت ١١ ولاية جنوبية نفسها من الاتحاد .

وفى فبراير ١٨٦١ أنتخب « جيفرسون دافيز » أو « رئيس » للولايات الامريكية الكندفدرالية فى الجنوب . وأقيمت العاصمة فى « مونتجمرى » بولاية « الباما » . وفى الشمال تولى « لينكولن » منصب رئيس « الولايات المتحدة الامريكية » وظلت العاصمة كما هى فى « واشنطن » .

وكان تعداد سكان الشمال أكثر من ١٨ مليون ، أما الجنوبيين فلم يزد عددهم عن ٩ مليون ، ثلثهم من الزنوج العبيد .

وكان الشمال يمتلك ٩٠ ٪ من القدرة الصناعية للبلاد وثلثى خطوط السكة الحديد ، وأيضاً السيطرة على البحار ومعظم موارد المناجم . وأحتاج الجنوب بالأخص للاسلحة ، فمن بين ١٣٥ر٠٠٠ قطعة سلاح نارى أستولى الجنوب عليها بالتوالى من ترسانات الحكومة كان منها ١٠ر٠٠٠ بندقية حديثة فقط ، أما الباقى فكانت من الانواع الملساء القديمة التى تعمر من فم الماسورة . وبعد وقت أستطاع الجنوبيون الشجعان الاستيلاء على أسلحة أكثر ولكنهم بقوا فى نقص خطير .

ولكن كان الجنوب يقاتل من أجل الدفاع عن الحياة وبيوتهم من الغزاة ، بينما قاتل جنود الشمال من أجل فكرة تجريدية ألا وهى مبدأ الاتحاد ، ولهذا السبب إستطاع الجنوب بسهولة خلق مقاتلين متحمسين . علاوة على ذلك كانت نسبة كبيرة من الجنوبيين من الفرسان المهرة والذين أعتادوا الحياة فى الجو الطلق المفتوح وفى العراء . ولكن يجب فهم بعض الحقائق المعينة ، فقد أعتبر لينكولن أن مشكلة الرقيق سوف يحلها الوقت والفكر السليم ، ولكن إذا حدث إنشقاق الاتحاد إلى دولتين ، فلن تعود الوحدة أبداً . وفى هذه الحالة سوف تصبح شمال أمريكا مثل أوروبا التى تمزقها الخلافات والغيرة والمنافسة الاقتصادية والحرب . وناضل لينكولن للابقاء على الإتحاد ، وبعد توليه منصب الرئاسة ، أجل مشكلة الرقيق لأطول فترة ممكنة . وفى إبريل عام ١٨٦١ أنفجرت الحرب عندما قامت قوات من « الولايات الكندفدرالية » بالهجوم

على إحدى حاميات « الولايات المتحدة » عند « فورت سمتر » بكاروليتا الجنوبية .
وأطلق الجنوبيون النار على علم الولايات المتحدة ثم أنزلوه ، ووضعوا مكانه علما أبيض ،
وإستسلمت الحامية الشمالية .

وكان ذلك شيء زائد عن الحد ، وهرع الشمال إلى السلاح ، وفعل أهل الجنوب نفس الشيء . وبدأت الحرب الأهلية الامريكية أو كما يفضل الكثير فى هذه البلاد أن يطلقوا عليها « الحرب بين الولايات » . وقد كتب الكثير عن هذه الحرب ،وهى بالتأكيد تستحق الدراسة ، ولكنى أنوى تناولها بشكل مختلف إلى حد ما عن الطريقة التى تناولها بعض الدارسين ، وذلك بدراسة الشخصيات والقيادة والجيوش أكثر من التكلم عن سير الحرب وتفاصيل المعارك التى دارت ، وكثيراً ماأهملت مثل هذه الدراسة ، والتى من المحتمل أن تكون ذات فائدة وبالأخص للقارىء الغير عسكرى . وعلينا أن نتناول أولا الرئيسين ، فقد كان « دافيز » فى الجنوب مؤهلا تأهيلا ممتازا للتصرف فى الامور ، فقد تخرج من « وست بوينت[1] » ، وخدم لعدة سنوات فى الجيش النظامى، وبعدها أصبح وزيرا للحرب فى واشنطن ثم رئيساً للجنة الشئون العسكرية بمجلس الشيوخ بعد ذلك . كما كان على علم تام بجيش الولايات المتحدة وكان دافيز أيضاً قادرا على إختيار الرجل المناسب للمناصب الاكثر مسئولية . ولم يختار فقط الرجال المناسبين بل أيدهم فى أوقات محنهم ، فلم يحدث مطلقا أن عزل قائدا بسبب ملاقاته الهزيمة ، ولذلك ظل نفس القادة الذين تولوا القيادة فى بداية الحرب فى مناصبهم حتى النهاية ، فيما عدا القادة الذين قتلوا مثل « جونسون » و « جاكسون » . وأكثر من ذلك فقد كان لدى « دافيز » أعظم مفكر ومنظم عسكرى أمريكى فى تلك الايام هو الجنرال «لى» وقد إحتفظ به خلال سنوات الحرب الاولى كرئيس للاركان وكان مقره العاصمة ؛ وفى رأيى أن هذا القرار كان له علاقة كبيرة بالنجاح الاولى للجنوبيين ؛ وفيما بعد ، فى يونيه ١٨٦٢ عهد إلى الجنرال « لى » بقيادة جيش فرجينيا الشمالى .

أما فيما يتعلق بلينكولن ، فالصورة مختلفة تماما ، فقد كان محامياً وسياسياً ممتازاً ،

(١) هى الكلية الحربية الأمريكية

« المعرب »

إلا أنه لم يكن لديه أى خبرة عسكرية عملية ، ولا يعلم أى شىء عن الجيش ، ولم يكن يعرف سوى عدد ضئيل جداً من ضباط هذا الجيش . وكثيراً ما تمت تعييناته للمناصب القيادية على أسس سياسية . وعندما كان الرأى العام يصرخ مطالباً بإقالة قائد مهزوم كان لينكولن عادة يوافق ، ولذا كان من النادر إعطاء القائد الذى فشل مرة ، فرصه ثانية ، ولذلك نجد أن قادة الجيش فى نهاية الحرب لم يتولوا قيادة عليا فى بدايتها . وفى الواقع تعتبر هذه الطريقة قاسية فى التخلص ، بالرغم من الجائز أن أفضل الرجال هم الذين وصلوا إلى القمة فى نهاية الأمر ولكن من تخلص منهم كان بعضهم جيداً جداً ، وبذلك إختفى العديد من الرجال الجيدين أثناء ذلك العملية ، وكان الشمال هو الخاسر بفقدهم . وبالنسبة لى فإن دراسة محاولات لينكولن لإيجاد القائد الذى يستطيع تحقيق النصر فى المعارك لذات أهمية كبيرة ، لأن هذا الأمر كان هو السبب الرئيسى لوجود القادة وخلقهم .

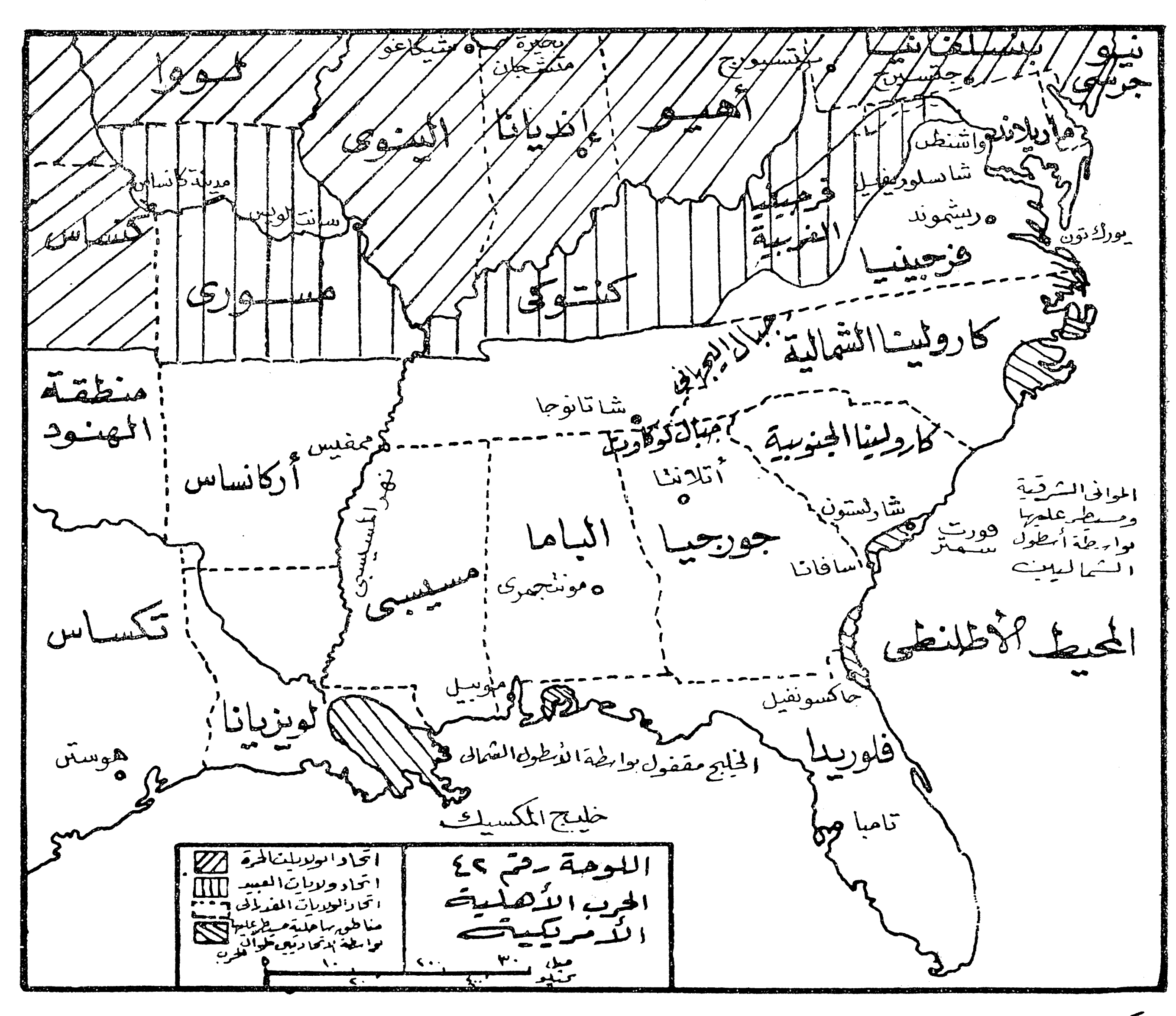
وفى هذا الصدد بدأ لينكولن بـ « سكوت » وهو رجل مريض يبلغ من العمر ٤٤ عاما وبعد سكوت توالت الشخصيات الآتية على المسرح العسكرى وهم : « ماكدوويل » و « ماكلين » و « هاليك » و « بوب » و « بيرنسيد » و « هوكر » و « ميدى » .

وأخيراً عثر لينكولن على ضالته وهو الجنرال « يوليسيس جرانت » والذى وصل إلى منصب القيادة عبر الطريق الصعب ، بادئاً حياته كقائد آلاى وإنتهى كقائد عام . وكان « جرانت » جندياً وقائداً بحق فهو من النوع الذى يهتم بمرؤوسيه ويصدر أوامره بما يتلاءم مع خبراتهم ومهاراتهم . ومن بين جميع قادة الجانبين ، فقد تميز «جرانت» بقدرته على قيادة قوات صغيرة بمثل قيادة القوات الكبيرة فى المعركة وتحت أى ظروف صعبة أو متقلبة ، وأخيراً له مقدرة عظيمة على قيادة وإدارة عمليات عدة جيوش مختلفة . ولم يكن يؤمن بهيئة قيادة كبيرة ، ونجده فى عام ١٨٦٤ كان يقود خمسة جيوش تعمل فى منطقة مساحتها تعادل نصف مساحة أوروبا بينما كانت هيئة قيادته تتكون من ١٤ ضابطاً . وهكذا وجد لينكولن أخيراً القائد الذى يحتاجه ولكن ليس قبل فبراير ١٨٦٤ ، وعين لينكولن جرانت لقيادة جيوش الشمال . ويعتبر كلا من جرانت وشيرمان أفضل قائدين ميدانيين أنجبتهما الحرب بين الولايات . وخدم كلاهما تحت لواء لينكولن .

الموت فى سبيل المبدأ (أنظر اللوحة رقم ٤٢)

وعندما بدأت الحرب ، كان على كلا الجانبين القيام بإنشاء جيش ، والذى كان فى كلتا الحالتين

لابد أن يتكون من المتطوعين . وفى عام ١٨٦٠ كان إجمالى جيش الولايات المتحدة النظامى حوالى ١٦٠٠٠ رجل فقط ، وكان الجزء الأكبر منه منتشراً وموزعاً فى وحدات صغيرة على الحدود الهندية ولا يمكن سحبها . وفى الشمال والجنوب كانت هناك وحدات كثيرة من المليشيا ، إلا أنها تفتقر إلى التدريب والضبط والربط . ولقد كانت هناك ميزة

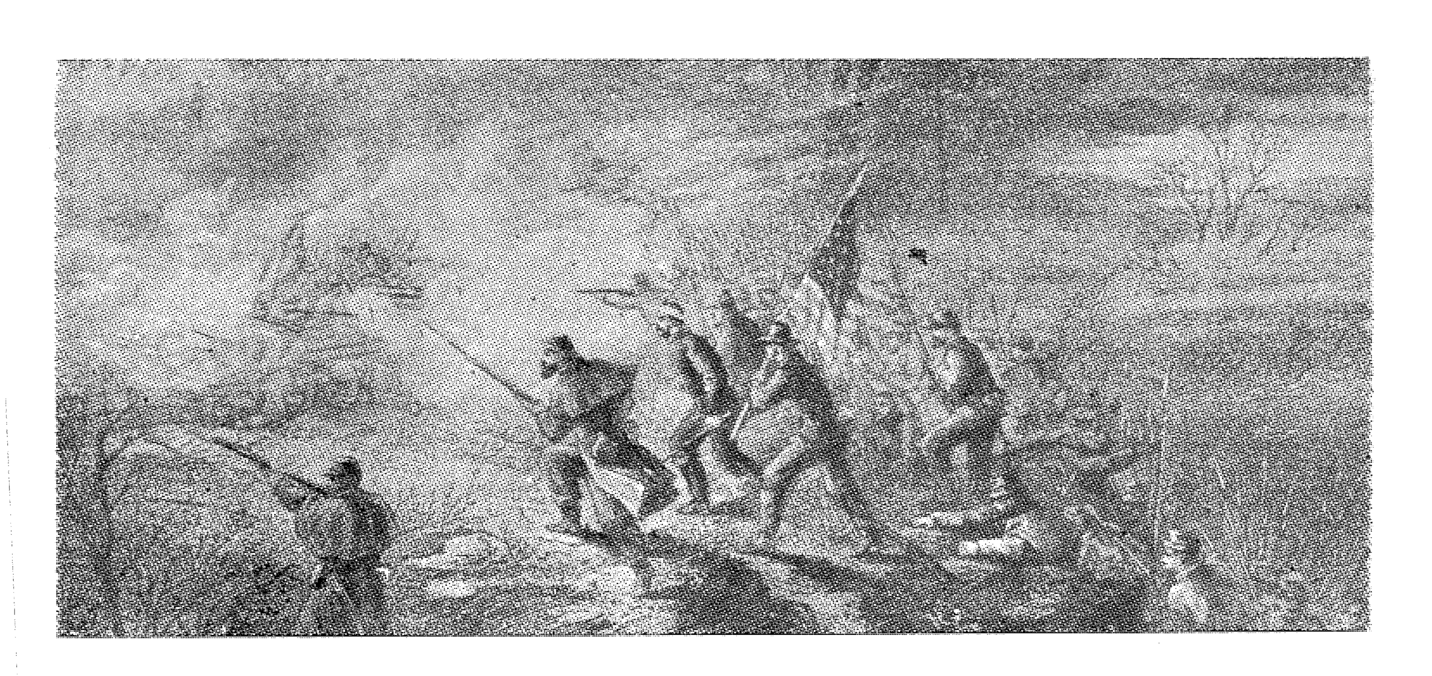


كبيرة للجنوبيين هو إستطاعتهم التحرر من الروتين الحكومى لوزارة الحرب فى واشنطن كما توفر لدافيز الجنرال « لى » ليساعده فى تنظيم قواته خلال سنوات الحرب الأولى ، بينما لم يكن لدى لينكولن مثل هذه الميزة . وقد لعبت فى هذه الحرب الجغرافيا والإستخدام الإستراتيجى للسكة الحديد والقيادة والتكتيكات دوراً كبيراً . كما أن الحرب فى المسرح الغربى كانت أكثر مرونة وخفة حركة من الشرق حيث أنها دارت على مناطق واسعة . وكانت

السيطرة على الأنهار من الأهداف الإستراتيجية الرئيسية وبالأخص بالنسبة للشمال حيث كان لديه معظم السفن التجارية والبحارة المدربين ومؤسسات بناء السفن والإصلاح .

وعندما أنضمت فرجينيا إلى الجنوبيين ، جعل دافيز من مدينه « ريشموند » العاصمة للجنوب . وكم كان ذلك خطأ جسيماً باختيار العاصمة قريبة جداً من الحدود ويسهل الوصول إليها من البحر خصوصاً وأن القوة البحرية كانت لدى الشماليين . وقد كانت مدينة أتلانتا أكثر ملائمة أو من الأفضل أن تظل العاصمة كما هي فى « مونتجمرى » . وأصبحت العاصمتان بالتالى على مسافة حوالى ١٠٠ ميل من بعضهما . وكانت النتيجة أن وجه كل جانب مجهوداً مضاعفاً للاستيلاء على عاصمة الآخر ، ولو نجح أحداهما فى ذلك فسيكون ذا أهمية معنوية كبرى . ولو قدر أن سقطت واشنطن يوما ما ، لأنهارت عزيمة الشماليين فى الحصول على النصر ، وكما أظهرت الأحداث فقد هددت واشنطن أكثر من مرة .

ولكن كان لدى الشماليين فى شخصية لينكولن الرجولة الحقة والشجاعة الهائلة والعزيمة القوية والذهن المخلص . وربما أن الشماليين بدون لينكولن كانوا توقفوا عن النضال . وفى الأسابيع الأخيرة للحرب سقطت « ريشموند » .



قوات الشمال تحت قيادة جرانت تهاجم الجنوبيين

وقد شاهدنا فى بداية هذا الفصل التقدم الهائل الذى طرأ على الأسلحة النارية والذى

حدث خلال الخمسين عاماً التالية لمعركة « ووترلو » . وقد أحدثت هذه التحسينات ثورة فى الاسلوب التكتيكى ، وإختفت تشكيلات المشاة الجامدة وذلك الطراز العتيق من حرب الفرسان وهو إحداث الصدمة فى الصفوف بالفرسان .

وأصبح الفأس والجاروف أدوات ضرورية للمعركة واستخدمت كل من المتاريس والتى كانت بارتفاع الصدر ، وحفر الخنادق لتوفير الحماية والوقاية للجندى • وقد خرج من الحرب الأهلية الامريكية كثير من الدروس المستفادة ، ولكن العسكريين المحترفين فى أوروبا لم يعيروها اهتماماً قائلين أنها كانت حرباً لم يخضها محترفين • وكان عليهم التعلم من الطريق الصعب ، وهذا بالتأكيد ما حدث كما سنرى فى الفصلين القادمين .

لقد تناولنا بإيجاز الشخصيات المختلفة لدافيز ولينكولن الزعيمين السياسيين . وسوف أختتم هذا الفصل ببعض الملاحظات عن « لى » و « جرانت » القائدين العسكريين • ورأيي فى « لى » أنه لم يكن حازماً بما فيه الكفاية مع قادة فيالقه ، ولم يكن أيضاً جيداً فى إنتقاء الرجال • وبعد مصرع « جاكسون » فى معركة « شانسلور سفيل » كان لديه ثلاثة مختلفين من قادة الفيالق وهم « أويل » و «هيل» و «لونجستريت» والذين فشلوا فى أن يكونوا على مستوى مسئولياتهم فى « جتسبرج » ، وبشكل عام فقد كان حكمه صائباً دائماً ، ولكنه لم يكن يحب إصدار الاوامر المشددة لمرؤوسيه ، وظهر هذا بوضوح تام عند « جتسبرج » وهى المعركة التى كان « لى » فيها فى أسوأ حالاته • وأنا أتفق مع المؤرخ الامريكى « دوجلاس فريمان » والذى كتب أنه لم يكن لدى جيش الجنوب فى « جتسبرج » قائداً عاماً • وبعد ذلك فلم يكن لدى « لى » أية مميزات تجعله يأمل فى النصر عندما أستدعى لمواجهة جرانت ، أعظم قادة الشمال المنتصر ، وخاصة أن « لى » فى ذلك الوقت كان بطلا للقضية الضائعة • ومهما كان الحال ، فلم يكن فى إمكان « لى » التغلب بنجاح على قائدين مثل « جرانت » و« شيرمان » ، فى وقت واحد • ومن الصعب فهم لماذا توقف الجنرال « لى » هذه المدة الطويلة عند « ريشموند » وقد أدرك جرانت أنها كانت مسألة شرف بالنسبة « للى » لدرجة أن الصمود الاخير هو للدفاع عن العاصمة

الجنوبية . وفى مقابل ذلك، فقدذكر فوللر بأن الجنرال «لى» كان خائفاً من سحب جنوده من خنادقهم حتى لا تفر الجنود .

وطالما ظل الجنوبيون يواجهون العدو فلن يتوقفوا عن القتال ، ولكن حالما تراخى الضغط الخارجى فقد يصبح إغراء قوى بالفرار . وأننى لأجد هذا الرأى صعب التصديق . وقد كشفت دراستى للحرب عندما تواجدت قيادة على المستوى الرفيع ، بأن ما يسمى « بالجندية » كانت من الدرجة الأولى . وعلى كل حال كان الجنود فى الجانبين جنوداً ممتازين بالفطرة ولديهم العزيمة والأستعداد للقتال فى سبيل المبدأ الذى يؤمنون به ، والموت عند الضرورة فى سبيل هذا المبدأ . ولى كلمة أخيرة عن « الحرب بين الولايات » فهى تستحق أن يدرسها العسكريين فى أيامنا الحالية .

ولقد كان نصر الشمال فى الحرب الاهلية الامريكية نصراً للقومية والحرية والصناعة. ومن وجهة النظر الحربية فقد أخرجت هذه الحرب الكثير من التجارب والدروس تماماً مثل ما فعلت الحرب الفرنسية — البروسية . وقد ظهر تأثير نيران البنادق فى « سانت — بريفات » وفى « جتيسبورج » فى قوة الدفاع الجديدة .

وبدا أن مصير هجوم الفرسان على النمط القديم كما حدث فى « وورث » معلق للعثور له على مهام تكتيكية جديدة ، وهو الشىء الذى لم يلق اهتماماً فى أوروبا . بينما قدر تماماً فى أمريكا ، حيث كيف قائد الفرسان فى الجنوب « ناثان ب فورست » الموقف التكتيكى لفرسانه باستخدامهم أساساً كمشاة راكبة . وفى هذا الوقت كان يجب أن توضع فى الميزان القوة الدفاعية للمدافع الرشاشة إلا أن القوة التدميرية للمدفعيــة الثقيلة الحديثة بدأت تحس بشكل أكبر . كما ظهر فى هاتان الحربان أن وجود السكة الحديد قد يكون ميزة أو خسارة وذلك حسب إستخدامها . ويرجع النصر الخاطف البروسى عام ١٨٧٠ إلى التعبئة الممتازة والرائعة لمولتكة والتى تمت بوسائل السكة الحديد . وكان هذا العامل يساوى أى عامل آخر من العوامل التى سببت النجاح .

ومن ناحية أخرى فإنه من أحد الاسباب التى جعلت الشماليين غير قادرين على القيام بتقدم سريع لفترة طويلة هو أن الجيش كان مقيداً وبشكل قاس بالخطوط الثابتة

المؤدية لرؤوس السكة الحديد. ولم يحقق الشماليين نصرا سريعا إلا عندما قطع شيرمان إعتماده على رؤوس السكة الحديد . وأدى تزايد أحجام الجيوش إلى إزدياد صعوبة خفة الحركة ، وأدى هذا إلى زيادة أهمية الأركانات حرب وقادة الفرق والفيالق ، وهى أمور ظهر أن الألمان تعودوها بشكل أفضل من الفرنسيين. أما التطورات الفنية فى الحروب البحرية ، فلا يمكن الحكم عليها فى هذه الفترة ، حيث لم يكن لها أى دور تقريبا فى الحرب الفرنسية — البروسية إلا أن الحصار البحرى الذى فرضه الشمال على الولايات الجنوبية قد ساعد الشمال بدون شك فى هذه الحرب التى كانت بشكل جزئى حربا بين إقتصاديين . وفى الواقع كانت الحرب الأهلية حافزا قويا لزيادة وكبر القوة الإقتصادية فى الولايات الشمالية .

ومع عام ١٨٧١ ، جربت الحرب الحديثة ولكن بشكل واسع وفى مظاهرها المختلفة ، وبقى أن نرى هل الدروس المستفادة من هذه التجارب قد استخدمت أو استفاد منها ! لقد استخدمت ولكن لم يحدث هذا سريعا . . .

الفصل التاسع عشر

الدروس القاسية

بؤرة المشاعر الوطنية

لقد قررت إعطاء هذا الفصل هذا الإسم لأن القوى الكبرى كان عليها تعلم الكثير بعد إنتهاء الحروب الثلاثة التى أشرت إليها فى الفصل السابق وهى : — « حرب القرم » و « الحرب الأهلية الأمريكية » و « الحرب الفرنسية البروسية » . وخلال الربع الأخير من القرن ١٩ إنشغلت القوى الاوروبية كثيراً لإكتساب مناطق فى أفريقيا وآسيا مما ورطها فى « حروب محدودة »[1] فى هذه القارات. وقد أدت هذه الحروب المحدودة إلى أهمال هذه الدول دراسة الدروس المستفادة من المعارك الرئيسية المذكورة عالية ، وأكثر من ذلك فشلت الدول الكبرى فى تفهم دروس « حرب البوير » . وتحضرنى هنا كلمات « ميترلنك » التى تقول : « إن الماضى مفيد لى عندما أفكر فى الغد حتى أرسم مستقبلى » وبمعنى آخر : يجب على الامم أن تتعلم من الماضى لكى تخطط للمستقبل بحكمة » .

ويعنى إهمال هذا المبدأ أن السبيل إلى النجاح فى المستقبل سوف يمر بطريق شاق وصعب، يكون الثمن فيه هى أرواح الرجال . وقد كانت السنوات فيما بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ سنوات من « السلام المسلح » فى أوروبا كما تخللها حروبا صغيرة متعددة فى أماكن متفرقة من أنحاء العالم . وفى البداية ساد السلام أرجاء أوروبا بواسطة السياسة الإيجابية لدبلوماسية بسمارك إلا أنه عندما سقط فى عام ١٨٩٠ زاد التوتر داخل أوروبا ولكن على أى حال حوفظ على بقاء السلام بسبب الجمود الذى نشأ عن توازن القوى بين المعسكريين المسلحين . وأثناء هذا الوقت زادت القوى الأوروبية من مصالحها ، ووجدت متنفساً لتوترها فى مناطق أخرى

(١) هى الصراعات المحددة الهدف أو المنطقة بسبب عجز المتنافسين عن أشراك كل قواتهم الوطنية « المعرب »

من العالم ، ومن تلك المناطق التى كان مجال المنافسة فيها كبيراً هى شرق آسيا وشمال أفريقيا والبلقان. وطالما كان هناك متسع من الأرض ، كان المستعمرون الأوربيون يتجنبون قتال بعضهم البعض ، ويركزون عملياتهم العسكرية ضد الأهالى الوطنيين . وعلى أى حال ، ففى خلال هذه الفترة وجد الإستعمار أنه يتعين عليه أن يتقلص بعض الشىء بسبب ظهور قوتين صناعيتين وكبيرتين على المسرح العالمى خارج أوروبا . ففى عام ١٩٠٤ — ١٩٠٥ أستطاعت اليابان هزيمة روسيا فى حرب خاض غمارها عدد من الرجال أكثر من أى حرب سابقة فى التاريخ ، وحدث نفس الشىء عندما حرمت الولايات المتحدة الأمريكية أسبانيا من آخر مستعمراتها الهامة على كوبا فى حربهما عام ١٨٩٨ ، وكان ذلك إشارة إلى أنه لم يعد بمقدور القوى الاستعمارية الأوروبية أن تجد متنفسا لتوترها فى حلبة صراع إستعمارى واسعة . فقد بدأ العالم خارج أوروبا يزدحم بالشعوب وبالقوى الصناعية والعسكرية . ومن الملاحظ أنه أمكن بنجاح تفادى حدوث الحروب واسعة النطاق فى هذه الفترة ، بالرغم من الضغط العنيف الذى ساد أوروبا من العوامل الاقتصادية والاجتماعية ، فقد إرتفع تعداد سكان أوروبا بمعدل ١٠ ٪ كل عشرة سنوات ، بينما إستمر التصنيع فى النمو ، مع زيادة الإنتاج العالمى إلى أربعة مرات فيما بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ . كما أن التفاعل المتزايد بين نمو السكان والوسائل الصناعية والعلوم النظرية قد أدى إلى ظهور صناعات جديدة كلية مثل الصناعات الكهربائية والكيماوية ومصادر جديدة للطاقة مثل ماكينة الاحتراق الداخلى .

وأدى هذا إلى ظهور الألمنيوم والإطارات المملوءة بالهواء المضغوط واللاسلكى. وفى تلك الفترة أيضاً دخلت الصناعات الحربية بصفة خاصة مرحلة من النمو حيث سيطرت على السياسات فى نفس الوقت تأثرت هى بالسياسة .

وتربع على قمة صناعة السلاح فى العالم الشركات الكبيرة مثل «أرمسترونج» و« كروب» و « كريسوت » .

ونظراً لأن الدول الكبرى لا تسمح عن طيب خاطر لبعض منها لتصبح أقوى من الأخرى ، ونتيجة للاختراعات الجديدة وتزايد القدرة الإنتاجية فقد أدى هذا أن إندفع

الجميع بسرعة فى سباق عالمى للتسليح ، مع التنافس فى إنشاء السكك الحديدية والتبارى فى أحجام الجيوش .

وفى الفترة التى تلت ١٨٧٠ ادخل نظام التجنيد الإجبارى (على الطريقة الألمانية) فى كل مكان فيما عدا بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

وفيما بين عام ١٨٧٠ — ١٨٩٨ تضاعفت المؤسسة العسكرية الألمانية إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه أى إلى أكثر من ثلاثة ملايين رجل ، بينما وصلت فرنسا إلى نفس الرقم ، وفى روسيا إلى أربعة ملايين ، وفى النمسا إلى أكثر من مليونين .

وبوجه عام فى خلال ٢٥ عاما أصبح مجموع ما يمكن أن تدفعه دول أوروبا إلى ميدان القتال حوالى ١٠ ملايين رجل .

وتم تعديل طريقة التجنيد بصعوبة بالغة خوفا من السياسة الشعبية وخاصة مشاعر الطبقات المتوسطة .

وفى الواقع أصبحت القوات المسلحة بؤرة للمشاعر الوطنية الكثيفة فى كل الأمم ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى فرنسا فى قضية « دريفوس » خلال تسعينيات القرن ١٩ .

على كل حال كان هناك إعتراض عملى بخصوص الحجم الكبير للجيوش لأنها لاتلائم الحروب الاستعمارية ، ولهذا السبب فضلت بريطانيا الاحتفاظ بقوات صغيرة محترفة والتى تخدم مدة طويلة .

ولكن بريطانيا لم تكن أقل شعوراً بالقومية عن القوى الاخرى ، فقد كان سلاحها البحرى رمزاً قومياً للبريطانيين كما مثلت الجيوش بالنسبة لشعوب أوروبا .

وفى الفترة ما بين عام ١٨٧٤ ـــ ١٨٩٦ زادت نفقات القوى الاوروبية على الدفاع بنسبة ٥٠ ٪ .

وأدت السرعة فى سباق التسلح إلى وجود هواجس كبيرة مما دعا إلى عقد مؤتمر[1] لنزع السلاح فى « الهوج » عام ١٨٩٩ .

---

(١) لقد دعى قيصر روسيا إلى عقد هذا المؤتمر متأثرا بكتاب وضعه ى . س . بلوش عن أهوال حرب المستقبل .
« المعرب »

وتم الموافقة فيه على بعض القواعد البسيطة للتخفيف من أهوال الحرب ، إلا أنه لم يتم الاتفاق على تقييد التسلح . وبدلا من ذلك ذكر ممثل الولايات المتحدة أن حكومته : ــ « لا تعتبر تقييد إستخدام الاختراعات العسكرية أمراً موصلا للسلام العالمى » .

التكنولوجيا العسكرية

وحدث تنظيم للجيوش الاوروبية جميعاً بمثل ما حدث للاعداد والمعدات . وكانت الفروق بين هذه الجيوش مجرد تفاصيل أو تنازلات صغيرة للتقاليد أو روح الفريق . وظلت المشاة الفرنسية محتفظة بسراويلها الحمراء ، إلا أن معظم القوات فى الميدان كانت ترتدى الملابس الكاكى ، وقد استخدم أولا بواسطة البريطانيين فى الجبهة الهندية عام ١٨٤٨ .

وقد وضح للجميع مدى الحاجة إلى هيئة الأركان على مستوى عالى من الكفاءة . وكانت هيئة الأركان العامة الالمانية لإجراءاتها المنظمة هى النموذج ولكنها فى نفس الوقت مرنة علاوة على سيطرتها على التدريب ورئيسها القوى .

وظهرت أكاديمية نيقولاس للأركان فى بطرسبورج ، وكلية أركان حرب فى كامبرى ، وكانا يعادلان الاكاديمية الحربية البروسية .

ووصلت هذه المنشآت التعليمية إلى مستوى أعلى من ذى قبل ، وذلك بتشديد شروط القبول فيها بالتوسع فى المناهج الدراسية .

وإزداد التخصص بشكل كبير فى الجيوش مع الاعتماد على الطبقات المتوسطة فى ضباطها .

وفى بريطانيا جاء إلغاء شراء الرتب العسكرية كأحد الإصلاحات العظيمة والكثيرة والتى أدت إلى كفاءة الجيش خلال الفترة التى كان فيها «إدوارد كاردويل» فى وزارة الحربية وفيما بعد عندما كان كل من « السير جارنت » و « ولسلى » و « اللورد روبرت » قائداً عاماً للقوات المسلحة .

وكان الفيلق[1] هو الوحدة الرئيسية فى الجيوش الأوروبية ، ومنظما ولديه الاكتفاء

---

(١) يتكون الفيلق من حوالى ٣٠٫٠٠٠ رجل .

الذاتى بحيث يمكنه القتال بكفاءة فى حالة إنفصاله عن الجيش الرئيسى وعادة مايرتبط الفيلق بمنطقة إقليمية معينة ومن ثم لم يكن قائده مسئولا فقط عن تنظيم وتدريب وحداته ولكنه كان مسئولا أيضاً عن التجنيد والإمداد والنقل .

وإذا نظرنا إلى أحد الفيالق فنجده يتكون من فرقتين تضم كل منها لواءين من المشاة ولواء من الفرسان وآلاى مدفعية ميدان ، علاوة على وجود وحدات تحت القيادة المباشرة للفيلق وهى آلاى مدفعية ثقيلة ووحدات مهندسين وإمداد ، ووحدات طبية ، ووحدات تلغراف ، وأطقم للسكة الحديد والبالونات وراكبى الدرجات والكبارى وبعض الخدمات الأخرى الإدارية والمساعدة .

وأصبح التسليح فى نهاية القرن قريباً من أن يكون موحداً ، فقد سلحت أفراد المشاة بالبندقية عيار ٨ مم أو ٩ مم ذات الخزنة، وسلحت مدفعية الميدان بمدافع من الصلب من عيار ٨ سم بينما سلحت مدفعية الحصار والمدفعية الثقيلة ، بمدافع وهاونات وهاوتزرات بأعيرة من ١٥ سم إلى ٢١ سم .

وفى الفترة ما بين ١٨٧٠ — ١٩١٤ ضمن سباق التسلح إستمرار تطور التكنولوجية العسكرية والبحرية .

وفى عام ١٩٠٠ وصلت البنادق والمسدسات والقربينات ومدافع الماكينة إلى درجة من التطور بحيث أستخدمت هى نفسها خلال حرب ١٤ — ١٩١٨. وكانت التطورات الرئيسية فى البندقية هى طريقة التعمير من الخزنة التى إخترعها « جامس لى » والعيار الصغير للطلقات التى أصبحت أخف وزناً وبالتالى سارت فى خط مرور مسطح وبسرعة أكبر. وقد استخدمت بريطانيا هذا النوع من البنادق الذى يجمع بين الخاصتين فى عام ١٨٨٧ ، ثم استخدمتها القوات الأخرى بعد ذلك بوقت قصير .

وفى عام ١٨٨٤ إستخدم الفرنسيون البارود عديم الدخان والذى كان العنصر الرئيسى فيه هو « النتروسليلوز » فى شكل حبيبى ، وأدى هذا التطور فى الواقع إلى تغيير شكل ميادين المعارك .

وكان هناك أيضاً تطورات رئيسية فى المفرقعات ، عندما إخترع « الفريد نوبل »

الديناميت عام ١٨٦٠ ثم صناعة « الـكوردايت » فى عام ١٨٩٠ . أما أبرز التطورات فى المسدسات فقد كان فى ظهور مسدس « بورتشاردت » الأتوماتيكى فى عام١٨٩٣ ، والذى كان البشير بظهور المسدسات الحديثة التى تستخدم الغازات الناتجة من الإطلاق فى تشغيل الحركة الميكانيكية أوتوماتيـكياً .

وفى عام ١٨٩٨ ظهر نوع مبسط من هذه الأنواع صنعه « ماوزر » ، وكان هذا أول مسدس أوتوماتيكى شائع وموثوق فيه ، وإستخدم فى حرب البوير فى جنوب أفريقيا على نطاق واسع مع تعديله ليصبح كالقاربينة بإضافة ماسورة طويلة وخزنة تسع عشر طلقات . وتم إنتاج وتجربة مدافع ماكينة متعددة حتى توصل « هيرمان س ماكسيم » فى عام١٨٨٣ إلى تصميم تم الموافقة عليه . وقد استخدم فى هذا النموذج خاصية إرتداد المدفع فى عملية التعمير الآلى ، وكان الإطلاق والتعمير يتمان بصفة مستمرة طالما كان الزناد مضغوطاً عليه . ووضعت الطلقات فى شريط مرن بينما بردت الماسورة بواسطة الماء ، وعلى الفور عرفت مميزات هذا السلاح .

وفى عام ١٨٩١ أقر الجيش البريطانى طراز خاص خفيف الوزن وكان وزنه ٤٠ رطل فقط ويطلق ٦٥٠ طلقة فى الدقيقة . وبتعديلات طفيفة أصبح مدفع « ماكسيم » هو المدفع الرشاش فيكرز ، والذى استخدم فى كلا الحربين العالميتين .

وأصبح هذا المدفع أكثر المدافع إستخداما فى حرب الخنادق ، ومن المحتمل أن يكون هذا السلاح هو السلاح الوحيد الذى سقط أمامه أكبر عدد من الجنود قتلا .

وفى عام ١٨٧٠ إنقسمت الآراء حول أيهما أفضل ، المدافع التى تعمر من الأمام أم التى تعمر من الخلف ، إلا أنه بعد مرور عشر سنوات لم يعد هناك مجالا للشك فى أن المدافع التى تعمر من الأمام غير مرضية سواء فى البر أو البحر ، نظراً لخطورة إحتمال التعمير المزدوج ونظراً للاحتياج إلى المواسير الطويلة للحصول على أكبر قدر من سرعة القذيفة ومدى أكبر. واستخدمت المدافع عيار ١٢ رطل فى مدفعية الميدان البريطانية وكان المدفع يزن ٣٨ هندردويت ويجره ست خيول .

وفى عام ١٨٩٠ إستخدمت عربات للمدافع ذات الإرتداد الهيدروليـكى .



عربة مدفع ذات أرتداد هيدروليكى تتحرك فى ميدان المعركة

أما الفرنسيون فكان لديهم مايشابه ذلك ولكن بتحسينات أكثر وهو مدفع الميدان ٧٥ مم .

وفى عام ١٨٩٠ كانت معظم الجيوش الأوروبية مجهزة بالمدافع التى استخدمتها فى حرب ١٤ — ١٩١٨ مع تعديلات طفيفة عليها. وفى هذه الفترة إتجهت الحرب لأول مرة إلى الجو. فقد أدركت الدول قيمة عمليات الاستطلاع الجوى ، وفى بريطانيا وفرنسا وألمانيا تم صنع بالونات ومناطيد ، كما أنشأت أول مدرسة للبالونات الحربية فى « وولوتش » عام ١٨٧٨ ، بينما صنع الألمان منطادهم الشهير « زبلن » .

ومنذ عام ١٩٠٩ إتسع سباق التسلح بجد فى مجال الحرب الجوية . وبعد نجاح طيران الأخوين «رايت» بالطائرة ، كانت فرنسا هى أول دولة قدرت قيمة قوة الطائرة فى الأغراض العسكرية .

ومن عام ١٩٠٨ حدث تقدم سريع فى تصميم الطائرات من حيث السرعة والمدى والكفاءة .

وفى عام ١٩١٤ وصلت سرعة الطائرات إلى ٧٥ ميلا فى الساعة ، ويمكنها القدرة على البقاء فى الجو لمدة ساعتين أو ثلاث ، ولكنها لم تكن قد استخدمت بعد فى الحرب ، إلا أن الرأى العسكرى كان يميل إلى وجهة النظر التى تقول أنها قد تكون مفيدة أساساً فى الاستطلاع .

وفى عام ١٩١٤ كانت القوات الجوية البريطانية مشكلة من قسمين ، جناح بحرى وهو للخدمات الجوية للبحرية الملكية، والفيلق الجوى الملكى وهو خاص بالجيش.

ظهور الغواصات

وخلال سبعينات القرن ١٩ تزايدت قدرة الدانات على الاختراق ومن ثم بدأ الاتجاه فى بناء السفن يميل إلى تغطية بدنها بدروع حديدية وصلت فى بعض الأحيان إلى ٢٤ بوصة . وعلى أى حال فإن التقدم الكبير الذى طرأ على صناعة الصلب فى السنوات العشر اللاحقة أدى إلى توفير ألواح مدرعة رقيقة من الصلب ولكن أخف وزناً وقوية بدرجة كافية. وظهرت مشكلة توفير الأمان وخفة الحركة ، وهما مطلبان متعارضان .

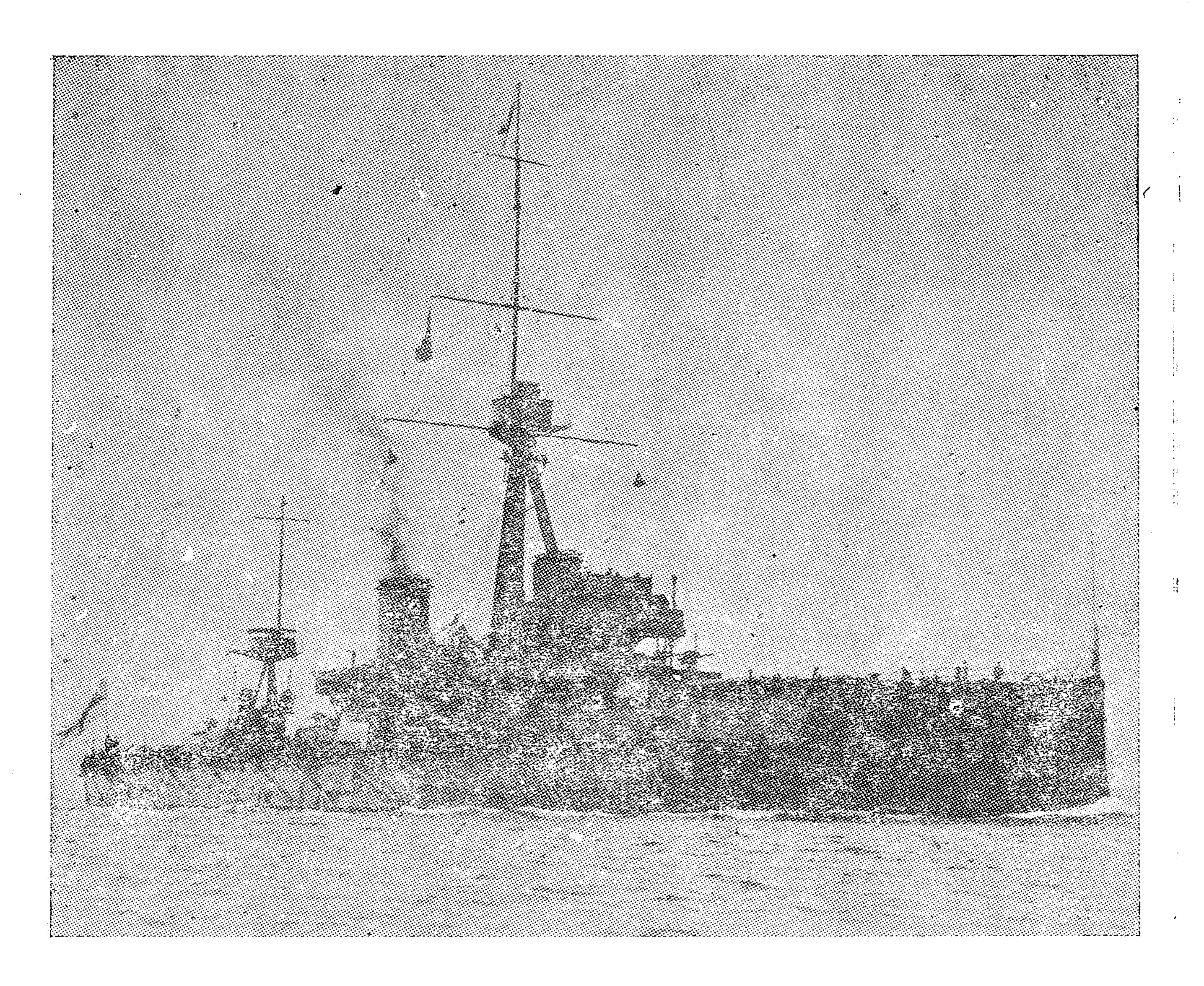
وفى عام ١٨٩٠ نبذت بريطانيا إستخدام المنصات العائمة المركب عليها المدافع وذلك عندما بنت فى نفس العام سفينتها الحربية «رويال سوفرين» ، والتى بنيت على نظرية إرتفاع الجزء الطافى من السفينة. وتبعت البحرية البريطانية البحريات الأخرى .

ومع تزايد حدة سباق التسلح العالمى عام ١٩٠٠ ، وصلت حمولة السفن الحربية إلى ١٥٫٠٠٠ طن وسرعتها إلى ١٨ عقدة ، كما حملت مدافع عيار ١٢ أو ١٣ بوصة ذات سرعة إطلاق عالية .

وإنزعجت بريطانيا من تحالف روسيا وفرنسا ، إذ أن أسطولهما المشترك كان أكبر من أسطولها ، مما جعلها تنفذ برنامجاً ضخما لبناء السفن فى عام ١٨٩٩ ، مما زاد من حدة السباق البحرى .

وفى عام ١٩٠٤ إستطاعت أن تبنى نموذج «الدريدنوت» للبوارج الحربية وكان تسليحها

الرئيسى ١٠ مدافع من عيار ١٢ بوصة . وقد تفوقت هذه السفينة فى تصميم جميع البوارج الحربية السابقة ، وظلت نموذجا للسفن الحربية الرئيسية حتى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ .



بارجة حربية من نوع «الدريدنوت» المسلحة بـ ١٠ مدفع عيار ١٢ بوصة

وأدى إدخال التوربين البخارى والتحول من الفحم إلى النفط إلى زيادة السرعة من ١٨ عقدة إلى ٢٥ عقدة، وأصبح من الممكن للسفن البقاء فى البحر مع السير بسرعات عالية لفترات طويلة .

وفى السنوات التى سبقت عام ١٩١٤ أصبحت كل من بريطانيا وألمانيا على قمة المتنافسين فى السباق البحرى .

وخلال عام واحد صنعت بريطانيا وحدها ثمان سفن جديدة . وكان على القوى الأوروبية

أيضاً التنافس على القواعد فى جميع أرجاء العـالم ، وقد تلاءم ذلك تماماً مع ميولهم الاستعمارية .

وفى عام ١٨٧٧ إستخدم الروس الطوربيدات بفاعلية ضد السفن التركية الثابتة ، ومن بعدها أصبحت زوارق الطوربيد من العناصر العادية فى الحروب البحرية . أما التطور الحقيقى الذى طرأ على الغواصة فقد بدأ عام ١٨٧٧ باختراع الدفة الأفقية والتى جعلت من الممكن السيطرة على قيادتها .

وأصبحت الغواصة فى النهاية سلاحاً ذا قوة مؤثرة كبيرة بفضل البطاريات القابلة للشحن والماكينات التى تعمل بالبترول . وكان الفرنسيون هم الرواد فى هذا المجال ، ففى عام ١٨٩٩ أبحرت الغواصة « جوستاف زيدى » بسرعة ٨ عقدة وعلى عمق ٦٠ قدم تحت السطح .

وفى عام ١٩٠١ كان لدى فرنسا ٢٣ غواصة بما فيها الغواصات الجارى بناؤها . وأمرت بريطانيا ببناء خمسة غواصات فى هذا العام ، أما ألمانيا فلم تقتنع بفاعلية هذا السلاح . ولـكن بحلول عام ١٩١٢ فان تجربة مناورة الغواصات أقنعت المفـكرين البحريين فى جميع الدول ، بقيمة الغواصات كسفينة مهاجمة ، ولم تعد هناك بحرية رئيسية تخلو منها .

الحروب الصغيرة

ومن بين المؤلفات العسكرية الغزيرة التى ظهرت فى هذه الفترة ، كتاب الميجور جنرال « سير تشارلز كولويل » إسمه « الحروب الصغيرة مبادئها وتطبيقها » عام ١٨٩٦ . وقد إهتم هذا الـكتاب بالحملات العديدة التي قامت بها القوى الاستعمارية .

وكانت معظم هذه الحملات فى شكل عمليات غير نظامية . وقد استخدمت أحدث المعدات العسكرية وموارد الثروة للمجتمعات الصناعية ضد قوات الشعوب البدائية . أما العمليات المدبرة فـكانت نادرة ، لأنه مهما كانت شجاعة المواطنين فان النتيجة النهائية لمثل هذا القتال ستـكون هزيمة منـكرة للمواطنين .

وهذا الطراز من الحرب كان له مشاكل غير عادية منها صعوبة الإمداد والنقل فى الأحراش والمستنقعات والصحراء ، كما أن الطقس وحده يعتبر عدوا لا يقهر . وعندما يتجنب العدو القتال المفتوح ويعتمد على المراوغة والاختفاء والـكمائن وأعمال القناصة ، والإغارة ، فسوف

يصبح من الصعوبة الحفاظ بالروح المعنوية عالية . وبصفة خاصة فلم يكن من السهل العثور على هدف معادى محدد ، فلا يوجد تشكيل رئيسى للعدو للبحث عنه وتدميره ، فى نفس الوقت لن تفيد توجيه ضربة إلى العاصمة ولهذا كانت القوات النظامية مضطرة إلى تناسى تدريبها التكتيكى المناسب للحروب الأوروبية وإتباع أسلوب حرب العصابات ، والحرب الوحشية. والحل لمشكلة عدم توفر الهدف فى مثل هذا النوع من الحروب هو توجيه الضربات لمصادر إمداد العدو وأماكن مأواه وملاذه ، ولا شك أن إفساد المحاصيل وتدمير القرى وحرمان العدو من قطعان ماشيته ، له تأثير كبير ، ولكن من الناحية الأخرى جعلت هذه الطريقة الحرب وحشية ومكروهة .

وقد عارض القادة العسكريون من نوع حكام المستعمرات أمثال « لياوتى » و « كتشنر » اللجوء إلى هذه الطرق ، نظراً لأنهم كانوا ينظرون إلى الإدارة المستقبلة للمنطقة عندما يتم إخضاعها .

وقد يكون من المفيد تجنيد السكان المحليين فى جانب الأوروبيين ، نظراً لاستطاعتهم التعرف على الأرض وعلى عادات العدو ، هذا بالرغم من أنهم قد يكونوا غادرين .

ومن ناحية أخرى كانت الأفضلية التكتيكية فى جانب التشكيلات المرنة الغير ملتصقة ومن لديه خيول أفضل ومدفعية ميدان خفيفة وبنادق ذات خزن ومدى طويل . أما من الناحية الإستراتيجية فكانت هناك قاعدة هامة وهى مواصلة الهجوم لأن الجانب الجرىء سوف يحرز المبادأة ويثبط همة العدو ، لأن العدو سيرجع عدم الهجوم عليه إلى الخوف منه. وكان أقدر القادة فى هذه الفتره هو « ميخائيل سكوبليف » (١٨٤٣ — ١٨٨٢) الفاتح الروسى للتركستان . وفى عام ١٨٧٧ كان سكوبليف قد خدم سبع سنوات فى هذه المنطقة ، والنتيجة التى خرج بها من تجربته فيها هى : — « أن السيد المطلق فى آسيا هو الذى يقبض على رقبة الشعب بدون رحمة » . وفى عام ١٨٨٠ قاد حملة ضد التركمانيين الذين يفوقونه عددا وبشكل كبير ، بينما كانت الأرض لم تزد عن كونها صحراء قاحلة خالية من المؤن .



ميخائيل سكوبليف

وقد تحرك ببطء وبصبر ولكن دون أن يمنح العدو على الأطلاق أى فترة راحة ، وحققت هذه الحملة نجاحاً

كاملا . وفى ١٨٩٨ قام كتشنر بنفس العمل ولم يتخل قط عن الإستراتيجية الهجومية ضد الدراويش، ومن الناحية التكتيكية لم يكن الهجوم حيويا ، وعندما وصل كتشنر الخرطوم إتخذ موقفاً دفاعياً ضد هجمات الدراويش الوحشية والتى حطمتها نيران القوات الإنجليزية المصرية. وقد كان من المحتمل وقوع كارثة دائما ، أمام المقاتلين الشجعان أمثال أهالى نيوزلندة والدراويش وسكان الجبال فى الجبهة الهندية ، وقبائل الزولو المنظمين تنظيما عالياً ويتمتعون بعقلية تكتيكية.



قبائل الزولو فى إحدى هجماتها الوحشية

وكان الحل المناسب هو إقامة دفاع صلب لإغراء قوات العدو لمهاجمتها وبالتالى يسهل تدميرها ، أو الهجوم بعزم ، إلا أن التردد كان قاتلا . ففى « مايواند » فى الهند عام ١٨٨٠ تحركت قوة بريطانية من مواقعها الدفاعية ، ولكنها فشلت فى الهجوم وكانت النتيجة إبادتها . وفى عام ١٨٩٦ فى « أدوا » إرتكب القائد الإيطالى كثيرمن الأخطاء فى مواجهة الأحباش ، فقد إستخف بقوة العدو وسمح لقواته بالأمتداد والأنتشار من غير نظام ، وكانت النتيجة هى هزيمة رجاله ١٥٫٠٠٠ هزيمة منكرة . وقد كان رجال « الزولو » مقاتلين ممتازين

يجمعون بين التنظيم والتدريب والمرونة والضبط والربط مشابهين فى ذلك قوات فريدريك الأكبر . وكانت لديهم خفة حركة مذهلة ، نظراً لتحركهم على الأقدام بقفزات سريعة تقارب سرعة الخيل ، علاوة على معرفتهم التامة بالأرض ، وكان أسلوب هجومهم فى المعركة هو تحرك المنتصف ببطء نسبياً ، حتى تعطى الفرصة للأجناب لتطويق العدو . وفى عام ١٨٧٩ إكتسح جيش كبير من الزولو قوة بريطانية مكونة من حوالى ٦٫٠٠٠ رجل بقيادة اللورد « تشلمسفورد » عند « أسندلوانا » حيث تمكنت قوات الزولو إخفاء تقدمها تماما عن البريطانيين . وبعد ذلك فى نفس العام ، إنتقم تشلمسفورد لهزيمته السابقة بإنتصاره عند « الوندى » حيث أثبتت البندقية تفوقها الساحق على « الإسيجاى »[1] . وفى عام ١٨٦٥ إجتاحت قوةروسية قوامها ٢٠٫٠٠٠ رجل مدينة طشقند والتى كان بها ٣٠٫٠٠٠ من المدافعين وهذا يظهر ما يمكن عمله عندما تشترك الأساحة الحديثة مع التكتيكات الهجومية الحازمة . وعلى أى حال فقد كان الدفاع على وجه العموم أفضل الأساليب التكتيكية إذ أنه أكثر ضماناً وأقل تكلفة فى الأرواح .

حرب البوير

وعلى الرغم من أن حرب البوير (١٨٩٩ — ١٩٠٣) حدثت على نطاق يفوق درجة الحروب الصغيرة إلا أنها تضمنت للكثير من الصفات التى ميزت الحروب الإستعمارية الغير نظامية . فقد إتحد البيض من سكان إفريقيا وأصبحوا يعارضون بريطانيا بعنف ، بسبب السياسة الإستعمارية التى إتبعها أساساً « سيسيل رودس » ، والتى تهدف إلى مد السيطرة من الكاب حتى القاهرة .

ولم يكن الأمر يقتصر على ذلك ، بل كانت هناك بعض المناوشات السابقة لحرب البوير عام ١٨٨١ ، وحملة جامسون عام ١٨٩٥ . أما حرب البوير فى شكلها ونطاقها الكاملين فقد بدأت فى أكتوبر عام ١٨٩٩ . وقد كان رجال البوير فلاحين أقوياء ورماة مهرة بأستخدامهم بنادقهم الماوزر علاوة على أنهم غير مقيدين ولذلك لم يعقهم طرق الحرب التقليدية . وكانوا يعرفون أرضهم معرفة وطيدة وهذا جعلهم خصما عنيداً صعباً حتى بالنسبة

(١) الاسيجاى رمح رفيع تستعمله القبائل الأفريقية

لأمة لها موارد كبريطانيا. ولجأ البوير إلى حرب العصابات على نطاق واسع ؛ وكانت فكرة الحرب الشعبية منفذة إلى أقصى حد لدرجة أنه كان مدون في قائمة الفدائيين البوير ٨٥٫٠٠٠ إسم . وكان جميع المقاتلين أشداء وفرسان من الدرجة الأولى ولكنهم كانوا يقاتلون مترجلين ويتميزون بحاسة طبيعية للأساليب التكتيكية البسيطة . وكانوا على نحو غير متوقع ، أقوياء فى المدفعية ، فقد ساعدهم فى هذا المجال وغيره عدد من المغامرين والخبراء الأوروبيين .

وكان نقطة ضعفهم تكمن فى عدم التنظيم والضبط والربط ، حيث كانوا يكرهون النظام . فلم يستطع ضباطهم الاعتماد على ما هو مدون من الرجال فى السجلات للدخول بهم المعركة لأنهم كثيراً ما يتخلفون . ولم يعانوا من مشـــــكلة الإمدادات وذلك لقتالهم على أراضيهم .

وفى عام ١٨٩٩ لم تكن القوات البريطانية فى جنوب أفريقيا تتعدى ١٠٫٠٠٠ رجل وكانت هذه القوات جيدة التسليح بأسلحتهم الصغيرة، ولكن كان لدى البوير مدفعية أفضل. كما لم يكن الجنود البريطانيون مدربين تدريبا كافياً للتعامل مع مقاتلين جيدى التسليح ولهم مقدرة مثل البوير ، فقد كان التدريب البريطانى غير كافى ليخلق المبادأة الذكية ، كما كتب أحد الضباط الأركانحرب يقول: « لقد جعلنا الجندى غبياً فى نواح كثيرة ، وذلك لأننا نبدأ بالافتراض بأنه غبى وبالتدريج نعلمه أنه كذلك وبالتالى فانه يعتبر نفسه غبياً » .

وفى هذه الحرب أتبع البوير مبدأ الهجوم، ومع حلول الخريف كانوا قد حققوا نجاحاً سريعاً حيث دفعوا القوات البريطانية إلى الأحتماء فى مدن «ليديسمث» و « كمبرلى» و «مافيكنج». وحاول « بولر» القائد العام البريطانى إقتحام نهر «توجلا» عنوة ، وكان سينجح لولا نظرته الغير عميقة للامور وأعتقد أن خسائره من الأرواح كانت كبيرة جداً . وفى ديسمبر هزم « بولر » على يد « بوثا » عند « كولينسو » .

وفى ٢٤ يناير ١٩٠٠ حلت « ببولر » كارثة عند « سبيون كوب» ، وقد أطلق الأستاذ « سيريل فولز» على هذا اليوم «أعظم يوم فى تاريخ البندقية » . ففى ذلك اليوم خاض البوير هجومهم من مسافات قريبة جداً بواسطة نيران البنادق فقط هازمين القوات البريطانية حتى

بدون الحاجة إلى القيام بإقتحام نهائى . ومثل هذا النجاح هو شهادة تقدير للسلاح الذى أستخدموه فى نفس الوقت يرجع لمهارتهم فى الرماية . فقد كان البوير يصيبون الهدف حتى ولو تعرض الجندى لحظه بسيطة أمامهم ويقتلونه بطلقة واحدة فقط. وفى أوائل عام ١٩٠٠ وصلت أخيراً التدعيمات البريطانية إلى جغوب أفريقيا .

وكان التنظيم الذى وضعه « كاردويل »للجيش مصمم على أساس إمداد حاميات إستعمارية صغيرة وليست كبيرة ، مما أدى إلى صعوبة إنشاء قوات كبيرة بسرعة ، لتصبح مناسبة لقتال مثل هذا العدو المراوغ العنيد . والدرس المستفاد التى خرجت به بريطانيا من هذه الحرب هو يجب الإحتفاظ باحتياطى كبير جيد التدريب فى هذه المناطق .

ومع حلول عام ١٩١٤ كانت بريطانيا فى موقف مناسب تستطيع معه القيام بحرب كبرى. وإلى جانب التدعيمات وصل قائد عام جديد هو الفيلد مارشال « روبرتس »[١] .وقد أحضر « روبرتس » معه منظم من الطراز الأول كرئيس للأركان وهو الجنرال كتشنر ، وكذا مهندس سكك حديد بارع وهو العقيد « جروارد »[٢] . وأعيد تنظيم المواصلات والنقل ، وفى فبراير بدأ « روبرتس » حملته بخداع العدو أولا ثم بحشد قواته فى النهاية فى الغرب ، جنوبى نهر « مودر » ، وإستطاع فك حصار المدن المحاصرة . وعلى نهاية الصيف كان قد تم الإستيلاء على جميع المعاقل الرئيسية للبور ، مع هزيمة قوات البوير عند « دايموند هيل » فى « بلفاست » حيث هرب رئيس البوير إلى أوروبا ، وبدا أن الحرب قد أنتهت عملياً، وعاد « روبرتس » إلى إنجلترا تاركا كتشنر لينهى بقاياها .

وفى الحقيقة لم تكن الحرب قد إنتهت بعد ، فقد واصل البوير حرباً غير نظامية لمدة حوالى عامين تحت قيادة قائد حرب عصابات بارع يدعى « كرستيان دى ويت » ، وقام البوير بغارات غاية فى المهارة لتحركهم بسرعة وبسرية ونجحوا فى تدمير السكك الحديدية ، وقطعوا الطرق فعزلوا القوات البريطانية عن بعضها ، متجنبين فى نفس الوقت المطاردة ، واضطر كتشنر فى تكرار طلب التدعيمات التى وصلته من المستعمرات البريطانية ومن

---

(١) أنه قائد محنك وكان يقود الجبهة الغربية فى الهند

(٢) كان كندى الجنسية .

بريطانيا نفسها . ولكى يحصل كتشنر على خفة الحركة ، فقد جعل مشاته راكبة على نفس طريقة البوير ، ولكنه لم يتمكن من القضاء عليهم. وقرر كتشنر قطع سبل الحياة على البوير بأتباع تلك الطريقة المنبوذة الخاصة باتلاف الحقول وإعتقال المدنيين فى معسكرات حيث ظروف الحياة لا تطاق. وحتى ذلك الأسلوب لم يفلح فى إنهاء مقاومة البوير. وأخيراً توصل كتشنر إلى الحل ، فقد قسم القطر بانتظام إلى حظائر كبيرة محاطة بالأسلاك الشائكة وبها حاميات فى حصون صغيرة فى مناطق مختارة . وتقدمت القولات البريطانية ببطء . ولكن بتمكن عبر كل قسم ، حيث تقضى على جميع قوات العدو فى القسم. وفى مايو ١٩٠٣ تم الصلح فى «فرينجنج» بتقديم شروط سخية وأمكن المحافظة عليها. وكانت الكفاءة متساوية لدى الطرفين، ولكن تفوقت مهارة كتشنر وتنظيمه الشامل على البوير .

الجنرال الابيض (أنظر اللوحة رقم ٤٠)

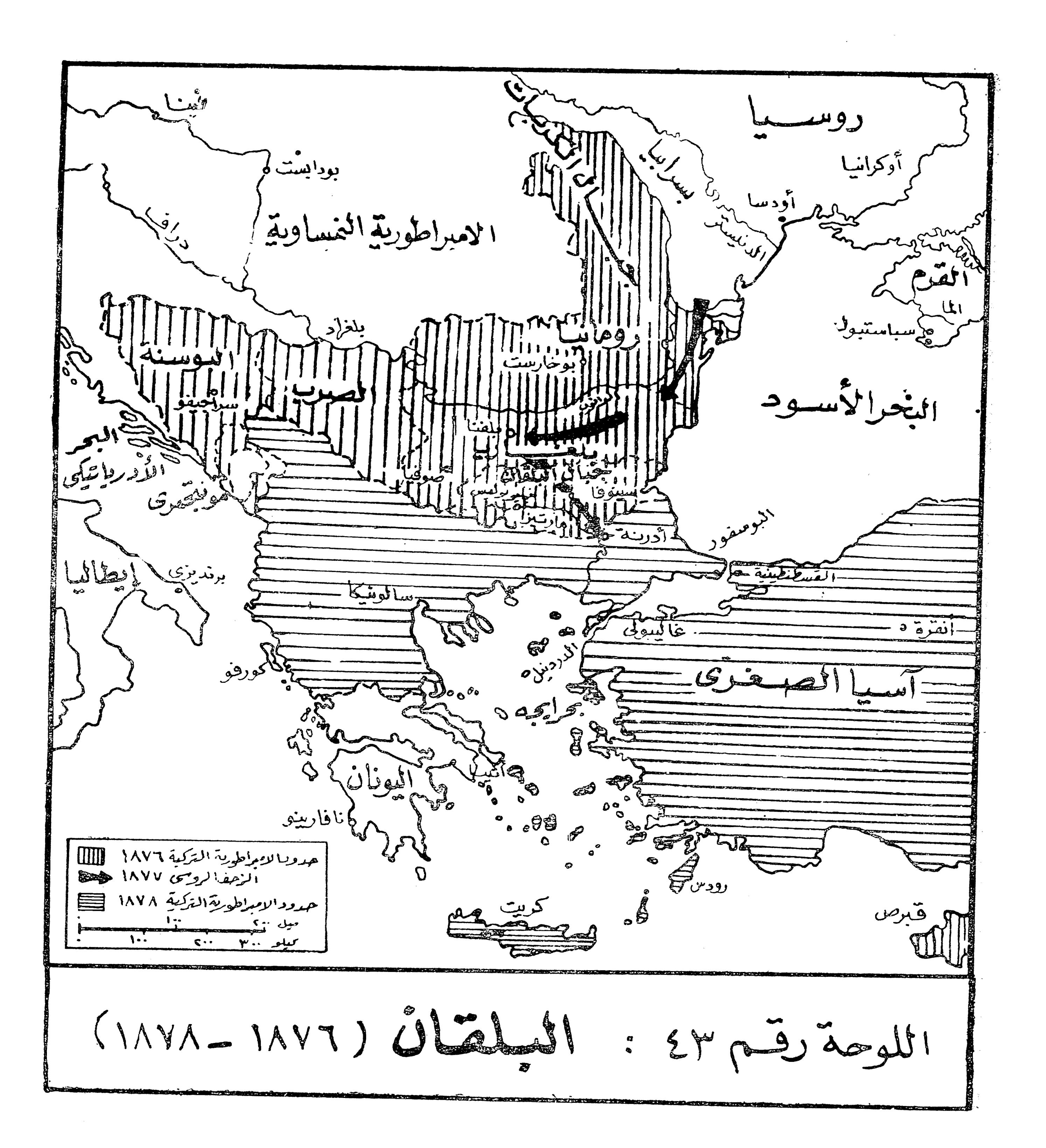
ومع وصول الأمبراطورية العثمانية إلى المراحل الأخيرة من الإضمحلال ، أصبحت البلقان مركزاً متزايداً من الخطر .

فقد أدى الفراغ الذى ترتب على ضعف الأتراك إلى إختلال المزان السياسى لأوروبا فى القرن ١٩ . كما أن القومية والوطنية بعثت النشاط والحيوية فى شعوب البلقان ، بينما كانت روسيا والنمسا تتطلعان بنهم إلى الأمبراطورية العثمانية المضمحلة ، أما ألمانيا ففكرت فى توسيع مجال نفوذها ، بينما كانت بريطانيا مهتمة بالمحافظة على مصالحها فى الدردنيل وقناة السويس. وفى الفترة (١٨٧٦ — ١٨٧٨) حدثت أزمة ذات طابع مميز ، فقد تمرد البلغار على الأتراك وسرعان ما تم سحق هذا التمرد، إلا أن الفظائع التى إرتكبها الأتراك فى سحق التمرد أثارت موجة من الكره والسخط فى جميع أنحاء أوروبا . وثارت كل من الصرب ورومانيا .

وفى مايو ١٨٧٧ إنتهز الروس الفرصة وهاجموا تركيا . وعبر الروس نهر الدانوب ولكن إستطاع الأتراك إيقافهم عند مدينة « بلفنا » .

وكان الروس يجهلون خلال تقدمهم وجود فيلق مساوى لضعف قوتهم بقيادة عثمان باشا يسد عليهم الطريق .

وقدر عثمان باشا بأنه يستطيع إيقاف العدو عند « بلفنا » بينما تحشد القوات التركية



اللوحة رقم ٤٣ : البلقان (١٨٧٦ - ١٨٧٨)

للدفاع الرئيسى عن الإمبراطورية ، وعلى سبيل المثال عند « أدرنه » . وإختار لذلك موقعاً دفاعياً ممتازاً كما دعمه بتحصينات ميدانية .

وكانت القوات التركية بما لديها من بنادق المرتيني ومدافع الميدان كروب والتى تعمر من الخلف أفضل تسليحاً من أعدائهم .

وسرعان ما أصبح عددهم يتزايد بدرجة ملحوظة ، حتى تمكنوا من صد الهجوم الروسى الأول على « بلفنا » فى ٢٠ يوليه ، وبلغت خسائرهم ٣٥ ٪ من قواتهم المهاجمة . ولقد كان هجومهم الثانى أكثر حذراً ، بالرغم من أنه تم بشجاعة إلا أنه كان غير بارع فى فكرته ، ولم يجد الأتراك أى مشقة فى الاحتفاظ بمواقعهم .

وفى سبتمبر كان لدى عثمان ٥٦٫٠٠٠ رجل كما تمكن من إقامة ١٨ معقلا حصيناً . أما الروس فكان لديهم ٨٤٫٠٠٠ رجل وقد مهدوا لهجومهم بقصف لمدة أربعة أيام . ولم ينجح سوى قسم واحد من هجوم الروس وهو الذى يقوده « سكوبليف » فى قطاع التلال الخضراء ، والذى قام بنفسه باجراء عملية إستطلاعه .

وكانت خسائره فى الهجوم فادحة ولكنه أشرك الاحتياطيات بمهارة ، وفى اللحظة الحاسمة قاد رجاله بنفسه إلى أهدافهم .

وعلى أى حال لم تسقط « بلفنا » بعد . وبعد أن وصلت قوات روسية كبيرة وأحكمت حلقة الحصار قدر عثمان أنه لن يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك . ولذلك إضطر الأتراك فى ديسمبر إلى الإنسحاب ، وتم توقيع هدنة فى نهاية يناير ١٨٧٨ ، عندما أصبح الروس فى ذلك الوقت بالقرب من القسطنطينية .

وإذا تمعنا فى هذه الحرب فسنجد أنها تقدم لنا الجديد من السمات المثيرة والهامة ، وأحداها هو مهارة وقيادة «سكوبليف » الملهمة ، فقد تنكر فى زى تركمانى ذات مرة فى التركستان وإستطلع بدون خوف أرض العدو ، والطريق الذى كان على رجالة سلوكه أثناء الهجوم .

والآن بعد إتمام مهمته فى الهجوم على « بلفنا » ، عبر فى شهر يناير جبال البلقان وسط عواصف ثلجية ليهزم الأتراك عند « ستوفا » حيث أسر ٣٦٫٠٠٠ رجل و٩٠ مدفع . وقد

كان رجال سكوبليف يحبونه إلى درجة العبادة ، هذا الجنرال ذو الرداء الأبيض ويمتطى جواداً أبيض والذى يشاركهم دائما أعنف مراحل القتال ضراوة .

وفى عام ١٨٨٢ توفى سكوبليف بمرض فى القلب وكان عمره ٣٩ عاما. وإلى جانب قيادته الماهرة ، فهناك جانب آخر يستحق الإشارة به وهو شجاعة الجنود الروس الذين كانوا يعاودون مهاجمة أقوى مواقع الأعداء المرة تلو الأخرى ويسيرون طوال الليل فوق الجبال وتحت الثلوج .

وقد أثار نجاح المقاومة التى أقامها الأتراك دهشة أوروبا المعاصرة ، وأشارت تحصينات عثمان باشا الميدانية إلى طبيعة القتال فى المستقبل بين الجيوش المسلحة بالبنادق . وتعلم الروس من الأتراك أن البندقية يجب أن يكملها الجاروف .

وقد أدت فترة صمود الأتراك إلى دفع خصوم روسيا وأساساً بريطانيا ، لتقديم التأييد السياسى فى آخر لحظة للامبراطورية العثمانية ، وكنتيجة لذلك حدث نوع من الاضطرابات اختلفت مظاهرة فى دول البلقان وأوروبا .

الحرب الروسية اليابانية

أما الموقف فى الشرق الأقصى فكان مضطربا بسبب قلق الدول الأوروبية بانبثاق اليابان والتى تابعت يقظتها بخطى سريعة نحو التقدم منذ وصول أسطول « بيرى » لها عام ١٨٥٣ .

ففى عام ١٨٧١ ألغى نظام الإقطاع ونتيجة لذلك تقاعد حوالى مليونين من الساموروى ، وأنشىء جيش وطنى عام ١٨٧٣ . وبدأ تجنيد كل الذكور من السكان ، بدلا من قصر الخدمة العسكرية على الساموروى .

وقد وفرت ألمانيا المعدات والتدريب للجيش اليابانى بينما وفرت بريطانيا الأسطول اليابانى .

أما التصنيع فقد تقدم بسرعة وفى عام ١٩٠٣ وصل تعداد اليابان حوالى ٣٥ مليون نسمة. ومع تطور قدرات اليابان نمت أيضاً أطماعها ، وبدأت تنشد فرض نفوذها على شرق آسيا ، وكان من الطبيعى أن يكون أول إهتمامها بكوريا ، نقطة الانطلاق الرئيسية إلى أرض آسيا .

وقد جربت اليابان قواتها بنجاح ملحوظ فى الحرب الصينية اليابانية عامى ١٨٩٤ — ١٨٩٥، إلا أنه فى نفس ذلك الوقت كانت روسيا تمد خط سكة حديد سيبيريا إلى الشرق الأقصى ، وأجبرت الصين لتأجر لها شبه جزيرة « لياوتونج » .

ووجدت روسيا واليابان نفسيهما وقد دخلا فى تنافس مباشر ، وقد تمكن اليابانيون من معرفة عدم فاعلية منافسيهم ، وذلك بملاحظة دور الروس فى معالجة ثورة « جماعة البوكسر الصينية[1] » عام ١٩٠٠ .

وساءت العلاقات بسبب موضوع «مجالات النفوذ » فى أشباه الجزر ، وفى النهاية، فى فبراير ١٩٠٤ بدأت اليابان الحرب مع روسيا بدون إعلان رسمى . وكان شيئاً مثيراً للدهشة أن تقوم قوة ناشئة مثل اليابان وحدها ، بتحدى أكبر قوة فى تعدادها فى قوى أوروبا القديمة ، ولكن اليابان قدرت الأمور جيداً .

ففى عام ١٩٠٢ وقعت معاهدة مع بريطانيا تعهدت فيها بمساعدة اليابان لو تدخلت قوة ثالثة ضدها .

وكان اليابانيون يقاتلون بغرض محدد للغاية وهو تأمين السيطرة على نطاق معين .وكانت هذه الحرب فى صالح اليابان ، فقد كانت المسافة بين القاعدتين الروسيتين « موسكو » و « بورت آرثر » أكثر من ٥٠٠ر٥ ميل ، وبالطبع كان الروس يمتلكون موارد أكبر فى الرجال والمواد ، ولكن كان لديهم مشكلة رهيبة وهى كيف يمكن جلبهم إلى مسرح الحرب .

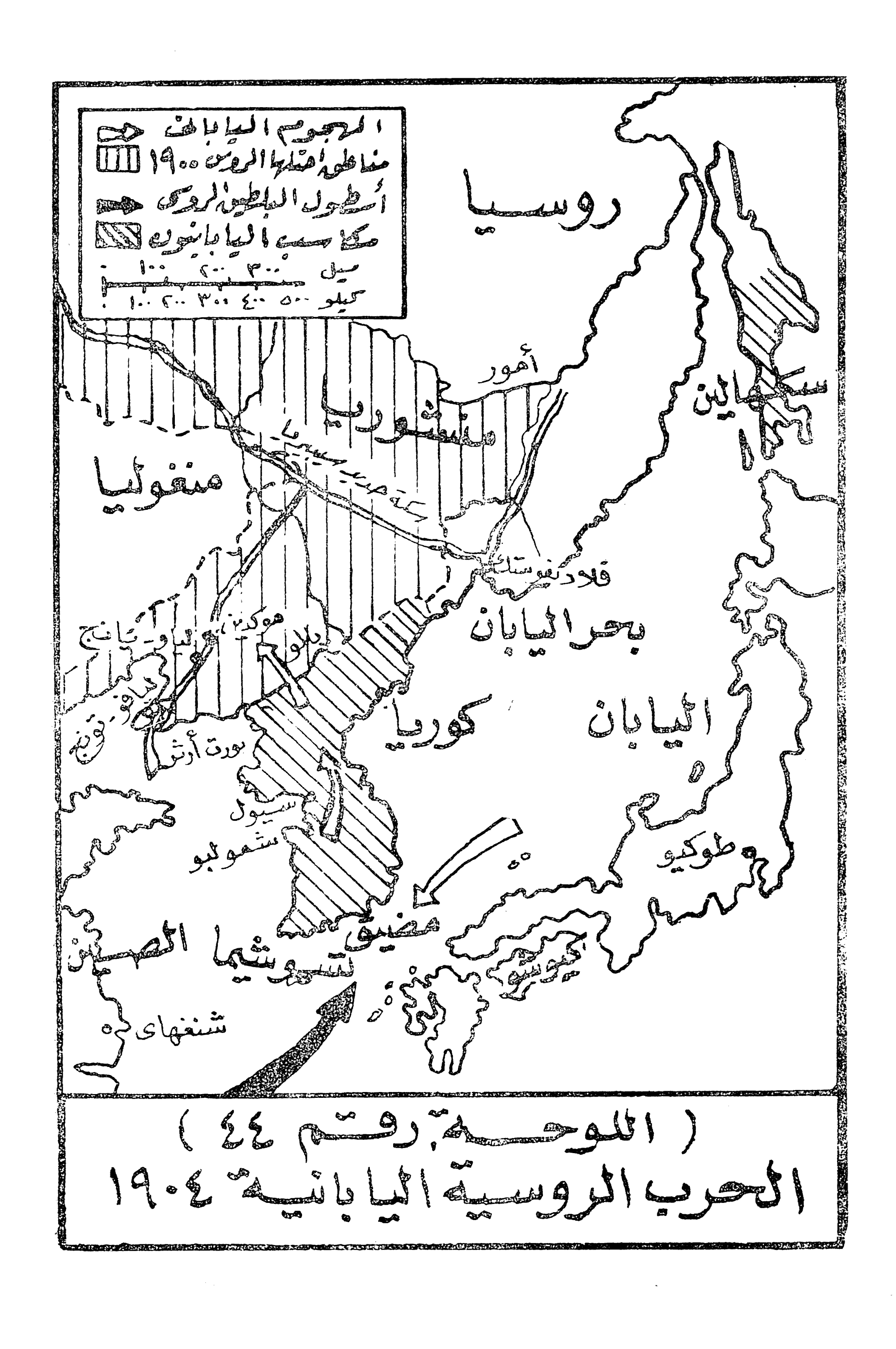
وعندما بدأ القتال كانت هناك ثغرة فى سكة حديد سيبيريا وهى التى حول بحيرة « بيكال »، وعلى الرغم من المجهود الجبار للمهندسين الروس فى السكة الحديد ، فكان يستغرق نقل كتيبة من موسكو إلى « بورت آرثر» شهراً .

وفى عام ١٩٠٤ إستطاعت اليابان أن تدفع على الفور إلى الميدان بحوالى ٠٠٠ر٣٠٠ رجل يشكلون ١٣ فرقة ، علاوة على ٠٠٠ر٤٠٠ رجل مدرب فى الاحتياط ، بينما زادت القوات الروسية المتيسرة من ٠٠٠ر٨٣ رجل إلى ٠٠٠ر٢٥٠ مقاتل فى نهاية هذا العام .

---

(١) كانت هذه الثورة تهدف إلى طرد الأجانب من الصين دفعة واحدة وإلى الابد . «المعرب»

وتساوت المعدات فى كلا الجانبين تقريباً من ناحية الـكفاءة ، ولـكن كما أظهر القتال ، فـكانت القيادة اليابانية المشكلة على الطريقة الألمانية أفضل من الروسية ، كما كانت الروح المعنوية لليابانيين مرتفعة .



(اللوحة رقم ٤٤)
الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤

وكانت القوة البحرية عاملا حيويا ، نظراً لأن طرق المواصلات اليابانية مع آسيا تعتمد على السيطرة البحرية .

وقد تفوق الأسطول اليابانى قليلا فى الحجم والخواص على الأسطول الروسى فى الشرق الأقصى ، المتمركز فى « بورت آرثر » مع وجود قسم منفصل فى « فلاديفوستك » ، بينما كان لدى الروس أسطولا آخر فى بحر البلطيق والذى يمكنه الوصول إلى مسرح العمليات على الرغم من الوقت الطويل الذى تستغرقه الرحلة البحرية .

وكان هدف اليابان توجيه ضربة حاسمة لبورت آرثر وبالتالى يزيلوا أى تهديد لليابان نفسها وتأمين حرية تحركات قواتها البرية، وبذلك تنتصر فى معركة رئيسية ضد روسيا فتقتنع روسيا باحترام اليابان فى الشرق الأوسط .

وجرت العمليات الأولى الهامة فى البحر . ففى بداية الحرب ، أخذ الأسطول اليابانى الرئيسى بقيادة الأدميرال « توجو » المبادأة ، ففى ليلة ٨ فبراير فاجأت زوارق الطوربيد اليابانية الأسطول الروسى فى بورت آرثر ، ملحقة دماراً جسيما ببارجتين وطراد روسى ، وفى نفس الليلة أغرق طراد روسى وأعطب آخر فى ميناء « شمولبو » فى كوريا ، بينما كانت السفن الروسية فى ميناء « فلاديفوستك » محصورة بالجليد .

وأقام اليابانيون حصاراً محكماً على « بورت آرثر » . وقد سمح لهم ذلك بإنزال قواتهم بدون إعاقة فى كوريا حيث دفعوا الروس للخلف حتى نهر « يالو » . وقد كان حصار « بورت آرثر » فى الشتاء بمثابة إختبار للأسطولين ، فقد إشتبكت البوارج اليابانية مع البطاريات الساحلية ، كما حاول كل جانب تدمير سفن الآخر باستخدام الطوربيدات والألغام .

وفى مارس تولى الأدميرال «مكاروف» قيادة الأسطول الروسى وقام بسلسلة من الغارات المفاجئة خارج الميناء مما سبب قلقاً شديداً « لتوجو » .

ولكن فى منتصف شهر إبريل نسف لغم سفينة القيادة الروسية ، وقتل الأدميرال « مكاروف » ، وكان موته كارثة للروس .

وفى أغسطس أدى خروج الأسطول الروسى من الميناء إلى نشوب معركة ولكنها لم تكن حاسمة من الناحية التكتيكية نظراً لأن القتال تم فيها من مسافات بعيدة ، ولكن إنسحاب الأسطول الروسى ثانية إلى بورت آرثر ؛ كان بمثابة نصراً إستراتيجياً لليابانيين . وحافظ اليابانيون على حصارهم وحققوا هدفهم باستمرار بإقصاء القوة البحرية الروسية عن دائرة العمليات والذى كان أمراً حيوياً بالنسبة لليابانيين .

وفى يونيه ١٩٠٤ تم نقل قوات برية يابانية كافية لعملية حصار «بورت آرثر» من البر . وكان «أوياما» قائد القوات البرية اليابانية ، جنديا عالى الكفاءة وجسوراً ويشجع قادة جيشه المرؤوسين على إستخدام مبادأتهم الشخصية فى حدود توجيهاته العريضة .وكان منهم الجنرال « توجى » االذى كان قائدا موهوبا فى المعركة .

أما فى الجانب الروسى فكان « كوروباتكين »[1] القائد البرى الروسى،ذكيا ولكنه كان يميل إلى الحذر بشكل غيرمناسب وتنقصه الثقة بنفسه . وقد كان الحصار الطويل لبورت آرثر صراعاً مريراً ، إستخدم فيه اليابانيون الديناميت ووصلت الخسائر ٥٢٠٠٠ رجل ، وفى النهاية إنتصر اليابانيون .

وفى أول يناير ١٩٠٥ سلم الروس ميناء « بورت آرثر » ووقع منهم فى الأسر ٢٤٠٠٠ رجل و٥٤٦ مدفع ، بالإضافة إلى ما تبقى من أسطولهم . وفى نفس الوقت كانت اليابان تسعى إلى المعركة الكبرى التى ستجعل الروس يوقفون الصراع وذلك بعد معركة «لياو- يانج» والتى إستمرت أسبوعين فى أغسطس .

وبعد معركة « شا - هو » فى أكتوبر، قرر « كوروباتكين » الإنسحاب إلى «موكدين» فى مارس ١٩٠٥ والتى كانت آخر الحروب على البر ، ومن حيث حجم العمليات فكانت أكبر المعارك التى تمت حتى ذلك الوقت ، فقد وصلت قوة كل من القوتين المتقابلتين حوالى ٣١٠٠٠٠ رجل فقد إنتشروا على جبهة طويلة لأكثر من ٤٠ ميلا وكانت محصنة تحصيناً قوياً ومنيعاً .

وفى هذه المعركة بدأ اليابانيون الزحف ، وكان أسلوب تكتيكهم عبارة عن القيام بفتح نيران البنادق من على مسافة حوالى نصف ميل على الموقع المراد مهاجمته ، بينما ينطلق

(١) كان واحد من ضباط أركان حرب سكوبليف « المعرب »

الجنود فى دفعات يعدون للأمام وأجسامهم منحنية ، ثم ينبطحون أرضاً بإشارة من اليد ، مع المحافظة على النظام والضبط والربط الصارم . وإستغرقت الكتيبة أكثر من ثلاثة ساعات للوصول إلى مسافة ربع ميل من الهدف ، حيث يبدأ الاقتحام من هذه المسافة . وعند « موكدين » نجح « توجى » فى إجبار الجناح الروسى الأيمن على الإنسحاب للخلف كما فشل هجوم مضاد قوى قام به الروس ، وبعده قام الروس بانسحاب منظم مسيطر عليه جيداً .

تأثير القوة البحرية على التاريخ

أما أسطول البلطيق الروسى بقيادة الأدميرال « روز هستفنسكى » فقد كان فى رحلته الطويلة حول نصف العالم، ومشغولاً إلى حد كبير بمشاكل الحياد والتزود بالفحم. وبعد سقوط « بورت آرثر » أعاد « توجو » سفنه إلى اليابان لإعادة تجهيزها . أما الأسطول الروسى [١] فكان لا يقهر ... على الورق فقط ، على الرغم من الشائعات القائلة بعدم كفاءة هذا الأسطول وسوء ضبطه وربطه ، لذلك كان قلقاً .

وفى ٢٧ مايو ١٩٠٥ عندما أقترب الروس من مضايق « تسوشيما » كان أسطول « توجو » فى إنتظارهم ، ولم يكن لدى « توجو » سوى أربع بوارج فقط ولكن كان هذا النقص يعوضه التفوق فى الطرادات .

وفى الواقع تميزت السفن اليابانية بالسرعة ، إذ أن بعض السفن الروسية كانت قديمة وبالتالى كان على الأسطول الروسى السير بسرعة السفن القديمة البطيئة . ودخلت السفن الروسية إلى المعركة ، والفحم مكدس عالياً على أسطحها الأمر الذى خفضها فى الماء ، وأفقدها الكثير من قدرتها على المناورة ، وعلى العموم كان الأسطول به بعض الاضطراب . وبدأ القتال بالاشتباك مع الطرادات ، ونتيجة لتفوق سرعة اليابانيين إستطاع خط الأسطول اليابانى عبور مقدمة الخط الروسى وذلك فى التكتيك المعروف باسم « T » . وأصبحت السفن الروسية القائدة واقعة تحت تأثير نيران متشابكة من كل سفينة يابانية وبالدور ، بينما كانت السفن الروسية التى فى الخلف فى موقع لا يمكنها من الرد ، وتفوقت المدفعية اليابانية .

---

(١) ٣٨ سفينة تشتمل على ٧ بوارج

ولم يمض أكثر من أربعين دقيقة حتى خرج من الصراع بارجتان روسيتان وطراد . وبعد الساعة بقليل إفترق الأسطولان ، إلا أن توجو عاود الهجوم مرة ثانية عند الغروب حيث أغرق ثلاثة بوارج وطراد روسى . وهكذا دمر الأسطول الروسى تقريباً . أما ما تبقى فقد هاجمته المدمرات اليابانية خلال الليل والتى ظلت تطارده بدون هوداة فى اليوم التالى . ولقد كانت معركة « تسوشيما » أول معركة بحرية كبرى منذ معركة « الطرف الأغر »، كما أن عبور توجو بتشكيل (T) يعتبر إنجازاً رائعاً فى تاريخ التكتيكات البحرية . وفى الواقع كانت الهزيمة البحرية الساحقة هى التى أقنعت الروس أكثر من الموقف البرى بعد « موكدين » على ترك الحرب وقبول وساطة الرئيس الأمريكى . وحصلت اليابان بمقتضى معاهدة صلح « بورتسموث » (سبتمبر ١٩٠٥) على أهدافها المحدودة وبإحكام فى كوريا أى فى شبه جزيرة « لياو — تونج » والنصف الجنوبى « لساخالين » ، ولكن ليس أكثر . ومن الناحية السياسية، فلم يحدث سوى تغيير طفيف نتيجة للحرب الروسية — اليابانية.

وقد أدى شعور روسيا بهزيمتها من اليابان إلى نذير سوء ، ففى روسيا إنتابت الحركة الثورية لعام ١٩٠٥ شعوراً بالإستياء وبالتالى فقد زادت من قلق الشعب وأضعفت من النظام القيصرى، بينما بدأ الفلاحون فى اليابان بل عبر كل أرجاء آسيا بالتأثر لهذه الأنباء وبالرغبة فى التخلص من السيطرة الأوروبية .

وقد برزت لنا دروس مستفادة من الحروب التى دارت فى العام بين ١٨٧٠و ١٩١٤، فقد ثبت بوضوح فى القتال البحرى ، بإن الفحم والطوربيد والغواصة من أكثر الأسلحة أهمية .

وأوجد «توجو» فكرة لأسلوب تكتيكى جديد يناسب عصر الدفع بالبخار والمدفعية البعيدة المدى. وقد وضع المؤرخ البحرى الأمريكى «ا.ت. ماهات» عام ١٨٩٠ كتاب إسمه «تأثير القوة البحرية على التاريخ» وقد لقى إهتماما واسعاً لتحليله العميق والقوى للدور الاستراتيجى للقوة البحرية ، لأن الدولة الحديثة أصبحت تعتمد على الثروة ، وهذه الثروة عادت عليها أصلا من التجارة والمستعمرات ، وهذا يتطلب ربط كل جزء من العالم إقتصاديا بأوروبا .

لذلك كان على كل دولة طموحة الإحتفاظ ببحرية قوية ، مع وضع إستراتيجية بحرية لنفسها يكون مجالها العالم أجمع .

وهكذا أصبحت الحرب الأوروبية فى العصر الحديث لا يمكن أن تكون سوى حرب عالمية .

أما الموقف بالنسبة للحرب البرية فلم يقدر جيداً مثلما قدر للحرب البحرية. وفى هذا الوقت كان أكثر خواص هذه الحروب هى القوة التكتيكية للدفاع. وقد أدى إستخدام البنادق والمدفعية والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية من داخل الخنادق والحفر الأرضية المحاطة بالأسلاك الشائكة ، إلى صعوبة الهجوم إذا حاول المهاجمون الإقتراب مع تكبيدهم خسائر فادحة .

وأصبح الجاروف أداة عسكرية حيوية فى التجهيز العسكرى ، لأن الدفاع الوحيد ضد نيران المدافع الرشاشة ونيران المدفعية هى حفر الخنادق للاحتماء بها . ولفترة من الوقت بعد عام ١٨٧٠ حاول المفكرون العسكريون وضع نظريات على أساس التجارب التى خرجت بها من الحروب الفرنسية — البروسية .

وكانت فرنسا وألمانيا تميل إلى التخلى عن «رياضيات» جومينى مع التفكير فى مفاهيم «كلاوزفتز » الخاصة بالقوة والتى تخفف منها طريقة مولتكة الأكثر عملية . وقد تلقى التكتيك إهتماما أكثر من الاستراتيجية .

وقد أصبحت النظرية العسكرية أقل واقعية عندما تقدم المجال التكنولوجى وتقلصت تجارب الحرب الواقعة فى أوروبا .

وفى ألمانيا وضع الكونت فون شليفن رئيس الأركان العامة من ١٨٩١ إلى ١٩٠٥ «خطة شليفن » لغزو فرنسا والتى ستناقش فى الفصل ٢٠ .

وفى فرنسا أدى الكبرياء الوطنى إلى التركيز على الهجوم حيث كتب فوش قائلا : — « مهما كانت الظروف، فإن النية من التقدم هو الهجوم » ، ثم أصبح الأمر كما وصفه دكتور «لوفاس» :— « أصبح التهور من أفضل جوانب الشجاعة » . وبدا أكثر من أى وقت من

قبل « أن الطريق للنصر هو السعى لتطويق جانب العدو » ، وعندما أصبح هذا غير عملى فقد تبعه توقف وجمود .

ومن أفضل الكتب التى ظهرت فى إنجلترا كتاب وضعه « كالويل » ، إلا أن موضوعه لم يكن فى إطار الخط الرئيسى للتطور الأوروبى .

وقد أدى إهتمام الجيش البريطانى بالمصالح الراسخة إلى الاقتراب الغير واقعى للحرب ، فقد أنشأ آلايات معينة كتبت عنها «جريدة الفرسان» عام ١٩٠٦ وكان الهدف منها هو تعزيز الفكرة بأن هجوم الصدمة للفرسان لا يزال عملا تكتيكيا رئيسيا فى مواجهة قوة نيران المشاة . وحيث أن شعب البوير كانوا حملة بنادق راكبين فقد كان ذلك عذرا للابقاء على القوات الراكبة لجيل آخر ، وذلك بعد فترة طويلة من المناقشة سلموا بفاعليتهم فى القتال . وقد تجاهل أكثر قواد أوروبا معركة « بلفنا » واعتبروا جنوب أفريقيا حرب عصابات لا علاقة لها بفن الحرب ، وإعتبروا النصر اليابانى ما هو إلا إنتصار لأسلوب مولتكة ، ولم يلاحظوا تأثير الخنادق والأسلاك الشائكة والأسلحة الصغيرة الحديثة على القتال . وفى هذه الأثناء كانت بلاد جنوب شرق أوروبا فى حرب مع بعضها مرة أخرى فى الفترة من (١٨٨٥ و١٨٩٧) ومن (١٩١١ إلى ١٩١٣) وزادت حدة المنافسة الصناعية من سباق التسلح بين القوى العظمى كما زاد التوتر فى النسيج السياسى . وقد أعطى كتاب نشر فى ١٨٩٨ ألفه « ى . س . بلوش[1] إشارة واضحة لما سوف يحدث مستقبلا .

وفى هذا الكتاب قدم « بلوش » تنبأ دقيقاً إلى حد كبير لطبيعة الحرب الشاملة ، فقد وضح فى ذهنه أن حدوث حرب عظمى لن يتأخر كثيراً . وناقش فى حالة حدوث حرب ذات مجال واسع فى أوروبا فسيحدث لا محالة ، جمود وتوقف بين القوات المسلحة للدول المتصارعة ، وذلك بسبب التطورات الفنية للأسلحة مع إستخدام جميع القوى السياسية والاقتصادية للدول القوية فى الحرب . وستكون النتيجة الوحيدة لذلك هو وقوع أقسى المحن المخيفة للمدنيين ، كما أن المنتصر سوف يعانى بنفس القدر الذى سيعانى منه المهزوم ، مع الإنهيار الكامل للتنظيم الاجتماعى .

---

(١) كان صاحب بنك من وارسو.

ولم تلق تحذيرات « بلوش » إلتفاتاً من القادة العسكريين فى أوروبا لأنه لم يكن عسكريا محترفاً .

وعلى أى حال فقد كان هناك على الأقل رجل واحد وهو « بلوش » الذى لم يخش الإشارة بيده إلى ما سيحدث فى العالم ، الشيء الذى حدث فعلا كما سنرى فى الفصلين القادمين .

الفصل العشرون

الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)

حرب لانهاء الحرب

لقد تطور القتال الذى بدأ فى أوروبا فى أغسطس ١٩١٤ ليصبح أدمى حرب فى التاريخ؟ وكانت النتائج المؤثرة والمثيرة فى هذه الحرب هى الخسائر الفادحة والتى أثرت على تفكيرى العسكرى بعمق. فلم يتوفر لعدد كبير من القتلى أى قبور معروفة لأن نيران المدفعية نسفتهم وحولتهم إلى أشلاء مبعثرة. وفى بعض الأحيان كانت هذه الجثث تكون جزءاً من الخنادق، وكانت فى النهاية تلتهم الفئران هذه الجثث.

وعلى كل حال يجب أن نفحص بعناية كل من القيادة السياسية والعسكرية فى ذلك الوقت، لأنه قد ثبت أن مسئولية هذه الحرب تقع على عاتقهم. فقد ظهر لى أن القيادة فى الجبهة الغربية فى أوروبا قد سيطرت عليها وبطريقة خيالية، فلسفة الجنرال الفرنسى «فوش» والتى تتضمن « الحرب تعنى دائماً الهجوم مهما كان الموقف والظروف » . وكانت هذه هى الإجابة الوحيدة للقادة، عندما رأوا القوى الضخمة التى منحها المدفع الرشاش والأسلاك الشائكة والخنادق والمدفعية للموقع الدفاعى، فلم يعد أمامهم سوى الهجوم المباشر بالمشاة[1] فى تشكيلات منضمة خلال الأرض الحرام لإقتحام الموقع الدفاعى للعدو. وقد شاهدت وقاسيت من هذا، ووضح لى أنه لا يمكن أن يكون مثل هذا الأسلوب التكتيكى هو مفتاح النصر. ولسوف يلاحظ القارىء أن كتابة قصة حرب ١٤ — ١٩١٨ فى فصل واحد ليعتبر عمل ضخم، لأن معظم الكتاب تناولوا هذه الحرب إما فى كتاب كامل أو فى عدة أجزاء، وعلى كل حال فهذه مشكلتى، لكن سأحاول عرض بعض صور هذه الحرب والتى تتمشى وتنطبق مع دراستنا للحرب عبر التاريخ. وسنرى أن لوحة هذه الحرب كئيبة لأنها لا تحتوى إلا على

(١) كان يحمل جندى المشاة ما يقرب من نصف وزنه معدات وأسلحة وخلافه. « المعرب »

فقط لامعة قليلة جداً . وقد إشتركت فى هذه الحرب جنباً إلى جنب مع شباب صغير يانع لا يعرفوا لماذا يقاتلون؟وعلى الرغم من ذلك ضحوا بأرواحهم لأن زعمائهم السياسيين أفهموهم أنها ستكون « حرب لإنهاء الحرب » .

وعلى كل حال نرى أولا لماذا حاربت هذه الأمم ؟
وهل كان من الممكن تجنب هذه المأساة ؟ .

فى ٢٨ يونيه ١٩١٤ أغتيل الأرشيدوق فرانز فرديناند[١] فى « سراجيفو » « بالبوسنة » ، وأيقنت النمسا أن سبب الحادث هو الشعور الموالى للصرب فى البوسنة ، وعلى الفور قدمت النمسا إنذاراً للصرب فى ٢٥ يوليه ، وفى اليوم التالى أعلنت الحرب عليها . وفى ٣٠ يوليه عبأت روسيا[٢] قواتها ضد النمسا ، فى ذلك الوقت كانت ألمانيا حليفة النمسا بينما كانت فرنسا وبريطانيا حليفتين لروسيا . وفزع العالم من سرعة تطور الاحداث ، عندما أصرت كل قوة من هذه القوى على موقفها وتأييدها لحليفها .

وفى أوائل أغسطس كانت ألمانيا والنمسا[٣] قد إنضمتا للحرب ضد فرنسا وبلجيكا وبريطانيا وروسيا[٤] .

وفى سبتمبر ١٩١٤ خرجت تركيا من الخفاء لتعلن عن إنضمامها إلى قوى الوسط ، وبعد ذلك دخلت دول أخرى الحرب . وهكذا تسببت جريمة قتل فى البلقان فى إشعال حرب ١٤ — ١٩١٨ ، وفى الحقيقة لم يرغب كل من ساسة أوروبا ولا شعوبها فى الحرب ، ولم يتعمد أحد منهم تدبيرها . وتبع هذا سلسلة من قطع العلاقات الدبلوماسية وكان الهدف منها أن يحافظ السياسيون على سلامة بلادهم ، ولكنهم أخطأوا جميعاً الحساب ، فقد أدت التلميحات المقصود بها الخداع والردع إلى إثارة أعمال مضادة عنيفة وكانت غير مقدرة أو

---

(١) كان المفتش العام للجيش النمساوى — الهنغارى .
(٢) كانت روسيا هى النصير الحامى للشعوب السلافية .
(٣) كانت تسمى بقوى الوسط .
(٤) كانت تسمى بقوى الحلفاء

محسوبة . لذلك نجد أن السياسيين لعبوا بالدبلوماسية فى جو كان سريع الإشتعال بدرجة عالية . وعلى كل حال كانت المنافسة قائمة بين القوى المختلفة ، فنجد أن إنجلترا كانت مدركة فى الواقع التحدى الألمانى لقوتها التجارية والصناعية وذلك بقيام ألمانيا بنشاط كبير لبناء أسطولها الحربى التجارى .

وقد إستغل حزب المحافظين الشعور المعادى لألمانيا فى الحملة الإنتخابية العامة عام ١٩١١ . أما فرنسا فكان يوجد حقد دفين نحو ألمانيا نتيجة لحوادث (١٨٧٠ — ١٨٧١) وإحتلالها للالزاس واللورين ، بينما تنافست كل من ألمانيا وروسيا على فرض نفوذها على البلقان . أما الامبراطورية العثمانية المتداعية فلم يكن هناك أى شىء مقنع تكسبه من معاداتها لأحد الجانبين ، ولكن الألمان حاولوا إغرائها لتنضم إليها لتصفى حسابها مع كل من بريطانيا وروسيا ، القوتان التى تنمرت عليها خلال القرن ١٩ .

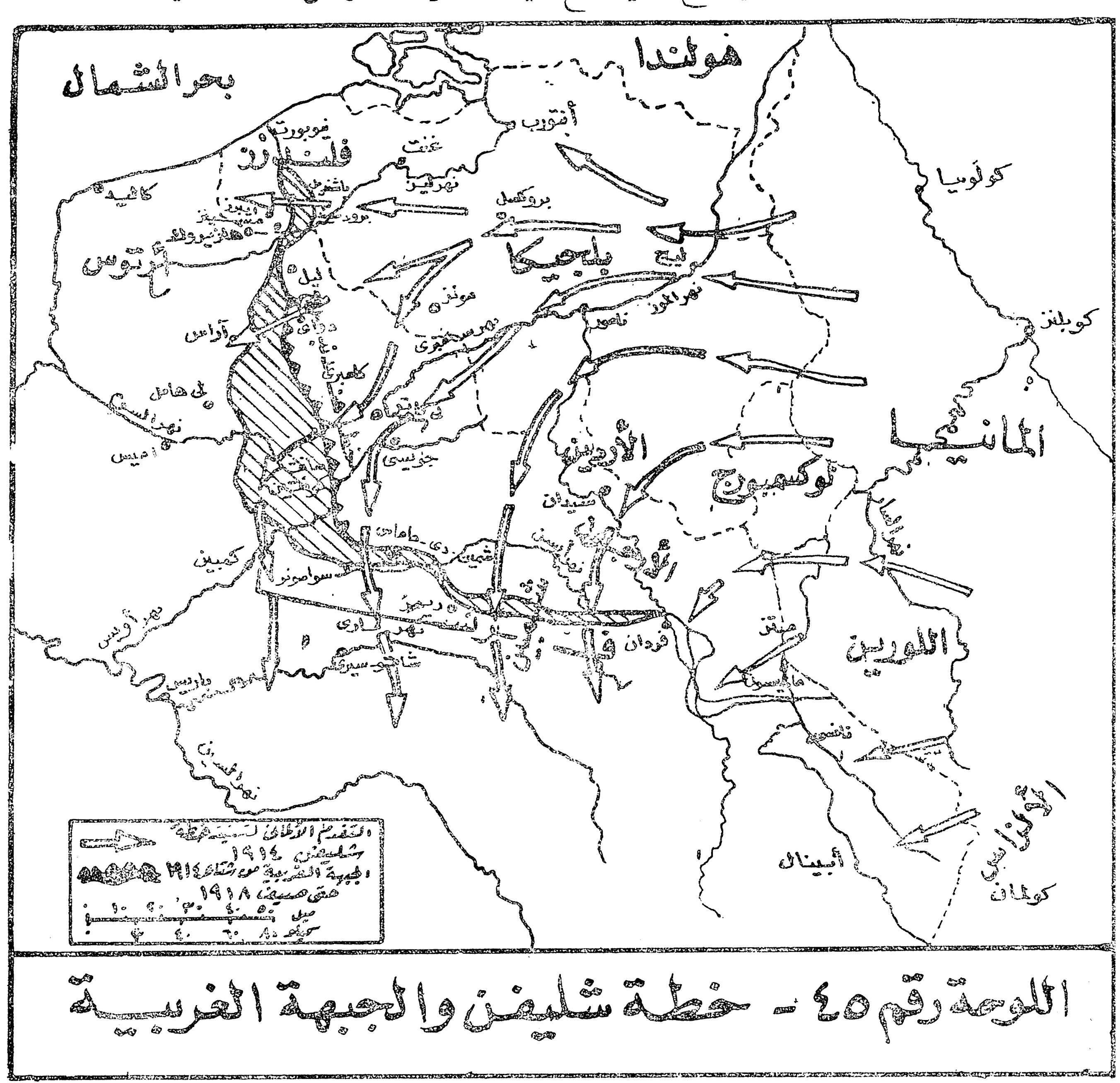
وعلى أى حال لم تكن كل هذه الخلافات تؤدى إلى إشعال الحرب ، ولكن ظهر أن الجو كان معبأ بدرجة عالية ، مما أدى إلى إشعال الحرب .

وفى الواقع لم يدرك المسئولون فى هذه الدول ماستؤدى إليه الحرب من خطورة ، بينما كان يدرك هذا عدد قليل جداً من الرجال .

وقد أخذت فكرة الحرب عامة بالإستخفاف وعدم المسئولية ، لأن المسئولين لم يتخيلوا هذه الحرب غير أنها حرب حديثة صغيرة فى البلقان .

وكانت أوامر التعبئة هى الخطوة الأولى المميتة ، لأن من هذه النقطة خرجت الأحداث من سيطرة الأفراد وأصبحت تمليها الخطط الحربية لرئاسات الأركان المختلفة ، والتى تتبع العقيدة العسكرية لذلك الوقت وهى « الهجوم » . وقد تبع الجنون الدبلوماسى تصاعداً عسكرياً ، وقد كتب ا . ج . ب . تايلور : — « لقد أدت الجيوش الجبارة التى جمعت لتوفر السلام وتضمن الأمن إلى حمل الأمم للحرب نتيجة لثقلها » . وقد أثارت حادثة البلقان هذه ذعراً واسع الإنتشار ، وأدت إلى إتخاذ وسائل متطرفة من الدول . وعلى كل لو أدرك الزعماء السياسيين المشتركين حقيقة ونتائج مايفعلونه ، وقدموا إنذاراً واضحاً فى الوقت المناسب ، لكان من الممكن تجنب هذه الكارثة الرهيبة فى عام ١٩١٤ . وقد كتب سيريل فوللر

يقول : ـــ « لقد رفضت بريطانيا أى إرتباطات حتى الدقيقة الأخيرة فى عام ١٩١٤ ، إلا أنها بعد ذلك قبلت إرتباطات محددة ، لذلك لو أن الحكومة البريطانية تولت أعمالها بحزم فى عام ١٩٠٦ لكانت تستطيع منع قيام الحرب إذا وقفت بقوة وبسياسة أجرأ بجانب فرنسا » . وقد ناقشت هذا الموضوع كثيراً مع سير ونستون تشرشل ، وكان رأيه أنه عندما



اللوحة رقم ٤٥ - خطة شليفن والجبهة الغربية

تبدأ الأحداث تتطور فى البلقان وتتدخل ألمانيا ، فلا يمكن لأى قوة بشرية أن تمنع الحرب، وبذلك فقيام الحرب أصبح أمراً حتمياً . وهذه الآراء مفيدة وهامة ، ولكن كما يبدو لم يحاول أحد منع قيام الحرب .

خطة شليفن (أنظر اللوحة رقم ٤٥)

وفى الحال وضعت خطط التعبئة فى حيز التنفيذ وزالة سيطرة الأفراد على الأحـداث . ومن ضمن خطط الدول المختلفة ، الخطة الألمانية الممتازة التى تتضمن الجرأة فى الهجوم ، وكانت ألمانيا تأمل أن تحقق المبادأة بهذه الخطة.

وقد أملت هذه الخطة الألمانية المثيرة فى الواقع سير الأحداث الرئيسية فى المراحل الأولى للحرب خلال خريف ١٩١٤ ، فى نفس الوقت ثبتت باقى المسارح الرئيسية التى كانت تقاتل بها باقى القوات . وقد وضعت هذه الخطة بواسطة « كونت فون شليفن » رئيس الأركان العامة الألمانية من عام ١٨٩١ إلى ١٩٠٦ ، وقد توفى قبل عام ١٩١٤ ، وكانت فكرته تتضمن دفع جيوش قوية لمهاجمة فرنسا بسرعة والقضاء عليها فى ستة أسابيع وذلك قبل توجيه الضربة لروسيا . وكان من الصعب القيام بغزو مباشر لفرنسا لأن الحدود الفرنسية — الألمانية كانت محصنة بخط من القلاع ذات الحاميات القوية . وكانت خطة شليفن الأصلية تتضمن سحب الفرنسيين للأمام ودفع الجناح الأيسر الألمانى فى اللورين لإيقافهم وتثبيتهم بينما تدفع القوة الرئيسية الألمانية الموجودة فى اليمين لتقوم بإلتفاف واسع من خلال بلجيكا ثم تدور فى إتجاه الجنوب الشرقى لمهاجمة فرنسا ، ولـكن خليفتـه « مولتـكة الثانى » عـدل هـذه الخطـة بتقوية الجنـاح الأيسر الألمانى ، وعندما كان يحتضر شليفن تفوه بهذه الـكلمات : —

« لابد وسيحدث قتال ، عليـكم فقط تقوية الجناح الايمـن » . وقد ناقشت الخطة فى إطالة مع ليدل هارت .

وقد وصف الخطة بأنها « كالباب الدوار » وكان صائباً فى وصفه . « فـكلما كان إندفاع الفرنسيين قوياً خلال هجومهم الأول كان إلتفاف الجانب الألمانى من حولهم أشد وأكثر أثراً ليضربهم من الخلف ».

وقد كتب الـكاتب الألمانى ج . ريتر فى مقدمة كتابه عن خطة شليفن قائلا : — « كانت خطة شليفن تتمشى مع جرأة نابليون». ثم ينتقل الـكاتب إلى النقطة القاتلة، بأنه بالرغم من ملاءمة الخطة لعصر نابليون إلا أن وجود السكة الحديد مكن الفرنسيين من نقل قواتهم

وإحباط ما كان يرغبه شليفن فى حصد الفرنسيين بالمنجل ، وأعطى ذلك إحتمالات قليلة لنجاح الخطة لو قوعها فى عصر أكثر حداثة. وفى الحقيقة فشلت خطة شليفن عام ١٩١٤ لأسباب إدارية . وقد إستطاعت التحركات الفرنسية السريعة بالسكة الحديد من مقاومة تقدم المشاة الألمانية التى تسير على أقدامها ومعها حملتها التى تجرى الخيل علاوة على أن هذا التقدم الألمانى تعثر أكثر من مرة بواسطة الكبارى وخطوط السكة الحديد الفرنسية المدمرة . وقد لا يوافق البعض على هذا التعليق ولكنه فى رأيى تعليق مفيد كثيراً ويستحق الإهتمام .

وفى عام ١٩١٤ ، وجدت القوى الأخرى نفسها وهى تدخل الحرب دون أن يكون لديها سوى خطط سطحية غامضة. وكانت النمسا تأمل أن تحطم الصرب بسرعة ثم تتقدم إلى الشمال الشرقى لملاقاة الروس .

أما فرنسا فقد قال جوفر : — « لم تكن هناك خطة للعمليات موضوعة ومكتوبة ، ولم أتبع أى فكرة أو خطة تم وضعها مسبقا بل كان كل تفكيرى وتصميمى القيام بالهجوم بكل قواتى » . وفى الحقيقة فقد قرر الفرنسيون بعكس الألمان إحترام حياد بلجيكا . ولم يكن لدى بريطانيا جيش كبير ولكن كان فى إمكانها إجراء حصار بحرى على العدو ، بينما يقوم جيش بريطانى صغير بتغطية اليسار الفرنسى. أما الخطة الروسية فكانت تتضمن الهجوم بإرسال جيشين إلى بروسيا الشرقية ، مع إرسال قوات أكثر لتتعمق فى الجنوب لتطويق النمساويين شمال جبال الكروبات .

وفى الحقيقة بدأت الأحداث فى الظهور فى الإتجاه الذى حددته خطة شليفن ، فإستطاع الألمان إصابة الهدف بسرعة ، فقد تحرك ٣٥٠٫٠٠٠ جندى إلى اللورين و ٤٠٠٫٠٠٠ إلى الأردين .

وفى ١٤ أغسطس دفعت ثلاث جيوش ألمانية[١] خلال لوكسمبرج وبلجيكا لتطويق الفرنسيين ، بينما دفع الفرنسيون بقواتهم الرئيسية فى شمال شرق فرنسا[٢] : — ٤٥٠٫٠٠٠

---

(١) كان أحجامها ٧٥٠٫٠٠٠ مقاتل .

(٢) بالضبط كما أمل وتوقع الألمان . « المعرب »

مقاتل فى اللورين و ٣٦٠٫٠٠٠ مقاتل فى الأردين . وبحلول ٢٤ أغسطس كان الفرنسيون تكبدوا خسائر فادحة فى هذه المناطق وإضطروا إلى الإنسحاب إلى خلف الحدود . وفى هذا الوقت لم تستطع بلجيكا مقاومة التقدم الألمانى خلال أراضيها . وفى ٢٠ أغسطس إلتف الألمان من خلال بروكسل ففاجأوا القوات الفرنسية عند الحدود الفرنسية — البلجيكية والتى كانت تحت قيادة « لانرزاك » . ووجد لانرزاك أن القوات الألمانية تتفوق عليه بنسبة ٢ : ١ لذلك حاول التمسك بموقع على نهر السامبيرى ولكنه فشل فى ذلك. وأخذت القوات الفرنسية تنسحب تحت ضغط القوات الألمانية المتفوقة ، بينما وصلت الحملة البريطانية فى ٢١ أغسطس وكانت تتكون من ١٠٠٫٠٠٠ مقاتل تحت قيادة « سيرجون فرنش » إلى منطقة الموز وفى الحال هوجمت بالقوات الألمانية المتقدمة ، إلا أن الحلفاء قاتلوا بشدة وتراجعوا ببطء . وفى ٢٣ أوقف الألمان عند « الموز » وفى ٢٦ عند « لى كاتو » وفى ٢٩ عند « جويسى » .

وأصبح الآن الألمان متأخرين عن برنامجهم بينما فوجئوا بقوة المقاومة التى قابلتهم ، فأخذ يضطرب التقدم الألمانى الذى وصل متأخراً أمام باريس .

وفى ٣٠ أغسطس أدار « فون كلوك » جيشه الأول(١) فى إتجاه الجنوب الشرقى ماراً من شرق باريس بدلا من تطويق المدينة . وعلى الفور جمع الحلفاء شعثهم ، وخرجت القوات الفرنسية من باريس لتضرب جانب جيش فون كلوك مما أدى أنه بدأ فى الإنسحاب إتجاه الشمال الشرقى فى ٥ سبتمبر . وفى الحقيقة منذ ذلك الوقت وأصبحت الأمور تسير خارج الخطة الألمانية . فى نفس الوقت تحرك « جوفر » ومعه قوات كبيرة من اللورين ، وهاجم جيش « بلو » على « المارن » .

وقد توقف الجيشان حتى يتقدم الجيش البريطانى إلى داخل الثغرة الموجودة فى الجبهة الألمانية على يمين « بلو » والتى سببها إنسحاب « فون كلوك » ، وبالتالى إضطر « بلو » أيضاً إلى الإنسحاب. وقد سميت المعركة التى أجبرت الألمان على الإنسحاب خلف نهر « الأيسن » بـ « معركة المارن » ، وتعتبر هذه المعركة من المعارك القليلة جداً فى حرب ١٤ — ١٩١٨ والتى لها قيمة

(١) جيش الجناح الأيمن للتقدم الألمانى . « المعرب »

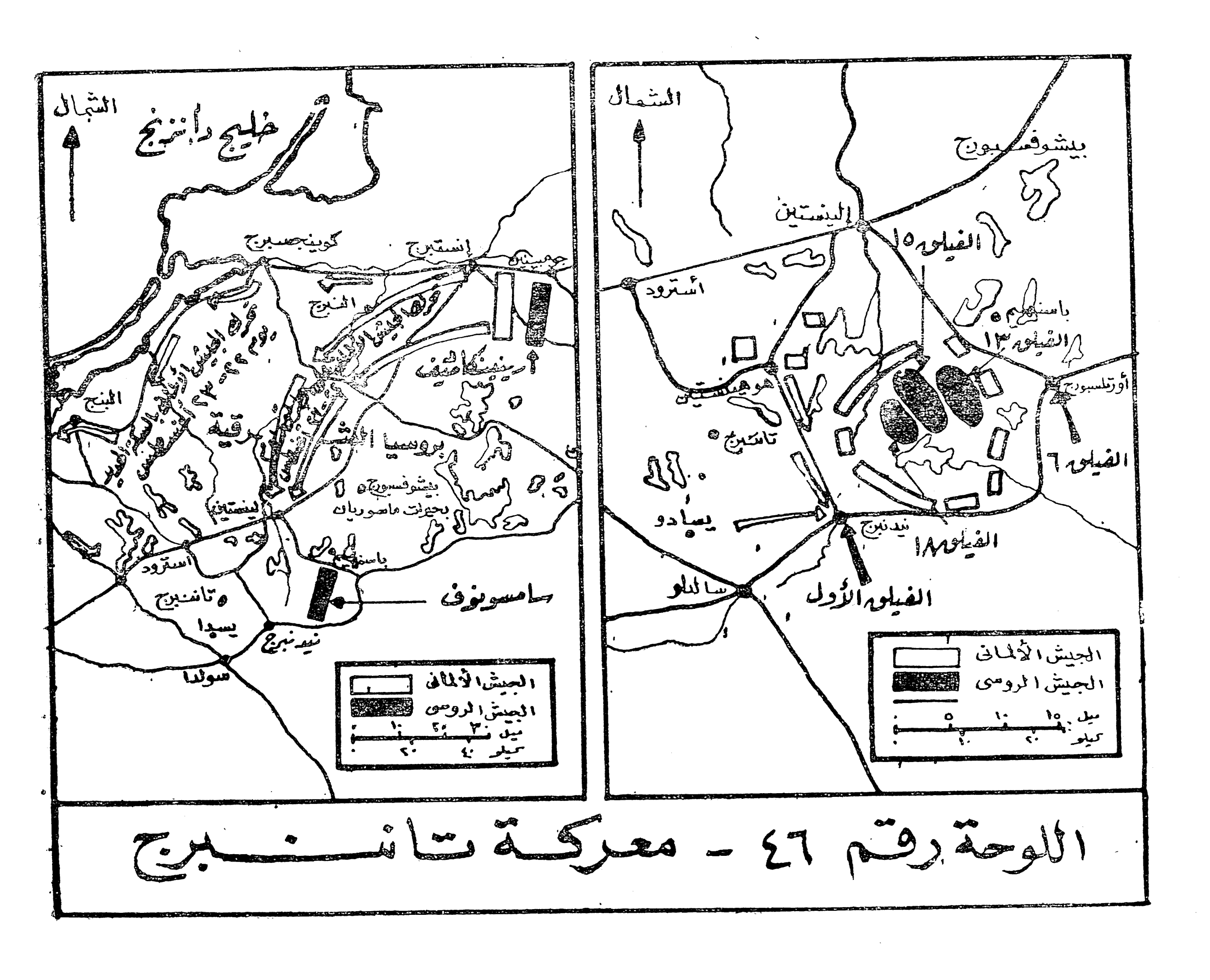
إستراتيجية هامة ، بالرغم من عدم إدراك ذلك فى هذا الوقت ، لأنها فى الواقع منعت الألمان من كسب الحرب . بعد ذلك أخذ الألمان يعيدون تنظيم مواجهتهم خلف « الأيسن » مع تجهيز موقع دفاعى ، وفى ١٧ سبتمبر صدوا الهجوم الفرنسى الذى تم عليهم . وأخـذ كلا الجانبان فى التسابق لتطويق جانب خصمه الشمالى المفتوح . وإمتدت خطوط الخصمين شمالا من « الأيسن » مارة « بامبذس » و « أراس » ثم أخذت تضيق وتضيق حتى وصلت إلى البحر عند « نيوبورت » فى « الفلاندرز » . حاول الألمان تطويق جبهة الحلفاء فى معركة « أيبر الأولى » ، ولـكن فشلت الهجمات الألمانية المتـكررة المركزة والمنفذة بإعداد متفوق من دفع الحلفاء للخلف. فى نفس الوقت وصل القتال فى الجنوب الشرقى إلى منطقة « نانسى ». وفى نهاية ١٩١٤ حدث توقف تام على الجبهة الغربية فى أوروبا، وتحولت إلى حرب الخنادق، وسيطرت الأسلاك الشائـكة والمدافع الرشاشة على ميدان المعركة مما أدى إلى إنتشار الشقاء بين الجنود المتعبة . وكانت حرب بدون فائدة ،لأن الجميع لا يعرفون الإجابة عن ...
كيف تـكسب الحرب ؟ وكانت مجرد أنها حرب دمرت أرواحاً كثيرة .

وفى يوم عيد الميلاد عام ١٩١٤ حدثت حادثة غريبة، فقد إختلط جنود الجانبين فى الأرض الحرام حيث تبادلوا السجائر ولعبوا كرة القدم ، إلا أن هـذا التصادق والإختلاط لم يقر . وعلى أى حال لم يحدث مثل هذا التآخى مرة أخرى أبداً .

يوم الحصاد (أنظر اللوحة رقم ٤٦ ، ٤٧)

ولم يستطع الألمان هزيمة أعدائهم فى الغرب فى ستة أسابيع حسب الخطة الموضوعة ، فأدى هذا عدم إمـكان تنفيذ الخطة الموضوعة للجبهة الشرقية ولذلك لم تبدأ العمليات كما توقع وقدر من قبل . فنى الحقيقة تم طرد القوات النمساوية وفشل غزوهم للصرب ، وبدأ الروس فى التحرك بسرعة . وقد أظهرت العمليات الروسية الأولية خاصتين وهما : — الإخلاص لحلفائهم ... وعدم الـكفاءة . فقد قام القائد العام الروسى « الدوق نيـكولاس» بالإستجابة للنداءات الفرنسية ، ودفع فى أغسطس بجيشين فى إتجاه شرق بروسيا بالرغم من عدم إستعداد الجيشين .

وقد قسم مسرح العمليات بواسطة بحيرات « ماسوريان » ، فتقدم جيش بقيادة الجنرال



اللوحة رقم ٤٦ - معركة تاننبرج

« رينينكاميف » من شمال البحيرات ، بينما تحرك جيش آخر بقيادة الجنرال «سامسونوف» موازياً تقريباً لجنوب البحيرات . وعبر « رينينكاميف » الحدود ولم يندفع للأمام بقوة بالرغم من أن الألمان كان لديهم جيشاً واحداً تحت قيادة الجنرال «بريتويتز» فى شرق بروسيا، ويرجع ذلك لأن الجيش الروسى كان فى حالة مضطربة للغاية . ومثال لذلك كان لدى هيئة القيادة «بوصلات» بينما لم يكن لديهم أى خرائط للمنطقة . وعلى كل حال ففى ٢٠ أغسطس إصطدم الروس مع الفيلق الألمانى عند « جومبينين » وكان تفوقهم العددى كبيرا مما أدى إلى إنتصار الروس على الألمان .

ولم تكن هناك أى إتصال أو تنسيق بين قوات « رينينكاميف » و « سامسونوف » ويرجع ذلك لوجود كراهية شديدة بين القائدين ، ولذلك إعتقد «سامسونوف[1]» دون أن يتحقق بأن الجيش الألمانى قد هزم تماماً ولذا قرر الإندفاع للأمام بأقصى سرعة . فى هذا الوقت إقترح « بريتويتز » على رئيس أركان حرب القوات الألمانية الإنسحاب إلى خلف نهر « الفستولا » ، ونتج عن ذلك طرده من القيادة وتعين الجنرال « بول فون هندنبرج » خلفاً له .

وقد ولد « هندنبرج » عام ١٨٤٧ ودخل الكلية الحربية وتخرج ضابطاً فى مشاة الحرس وكان عمره ١٨ عاما، وحضر الخدمة العاملة بالنمسا عام ١٨٦٦، وبفرنسا فى عامى ٧٠ ـ ١٨٧١ ، وترقى من رتبة النقيب إلى رتبة الجنرال خلال سنوات السلام الأربعين ، وذلك ليس لأنه متفوقاً بل لأنه ضابط مهذب وحى الضمير . وقد تقاعد عام ١٩١١ وعمره ٦٤ عاماً .

وفى ٢٢ أغسطس ١٩١٤ إستدعى من التقاعد وكان عمره وقتها ٦٧ عاما وقد أسندت إليه قيادة الجيش الألمانى الثامن فى بروسيا الشرقية .

وقد عين الجنرال « أريك فون لدندورف » رئيسا لأركان « هندنبرج » وكان عمره ٤٩ عاماً ويعتبر من أكثر الضباط عبقرية فى الجيش . وقد إكتشف « هندنبرج » فى « لدندورف » ضابطاً يتمتع بعقلية قوية جبارة ، وكان هذا الشىء ينقص هندنبرج نفسه،

---

(١) كان قائداً متهوراً وطائشاً ، حاد المزاج . « المعرب »

ولذا قرر السماح له بمطلق الحرية فى التصرف فى الأمور حتى يحصل منه على أقصى فائدة من مواهبه العسكرية .

وسافر الإثنان سويا إلى مركز قيادة الجيش الثامن عند « مارينبرج » فوصلاها فى ٢٣ أغسطس. وبعد وصولهما بعشرة أيام جرت معركة «تاننبرج» وإنتصر فيها الألمان على الروس. وبما أن « هندنبرج » كان قائد الجيش فقد حصل على الثناء ، وقفز بالتالى من الظلام إلى الشهرة ، وأصبح محبوباً ومشهوراً فى كل ألمانيا .

ولم يفترق مطلقاً من ذلك الوقت كل من «هندنبرج» و«لدندورف»وهذا يدل على حكمة كبيرة ، وإستمر هذا حتى قبل نهاية الحرب بقليل فى عام ١٩١٨ .

وعندما وصل « لدندورف » إلى « ماينبرج » وجد أن الموقف هناك قد تولاه أحد ضباط هيئة قيادة « بريتويتز » ، وهو العقيد « هوفمان » ، وكانت التحركات الأولية فى خطـــة العمليات التى وضعها « هوفمان » يتم تنفيذها فعـلا وكانت مقاربة إلى أفـكاره هو .

أما « رينينكاميف، فلم يستغل نجاحه عند « جومبينين » وكل ما قام به هو التحرك قليلا للأمام ، بينما كان « سامسونوف » يتقدم بتهور يؤدى إلى الخطورة . ولذلك قرر الألمان إبقاء قوات ساترة لحجز جيش «رينينكاميف» فى الشمال ، مع دفع جميع القوى المتوفرة جنوبا لهزيمة « سامسونوف » .

وكانت هذه الخطة جريئة وخطرة لأنه من الممكن أن يثار « رينينـكاميف » فيقوم على الفور بعمليات نشطة ، وعلى كل حال فقد وجد الألمان نسخة من أوامره مع ضابط روسى أسير وتدل على أنه لا توجد لديه خطط للهجوم فى الوقت الحـالى وتعرضت الخطة الألمانية للخطر ، فى نفس الوقت فبحيرات « ماسوريان » ستمنعه من التقدم مباشرة لمعاونة « سامسونوف » .

وقد عرف الألمان أيضاً نوايا « سامسونوف »المستقبلة لأن عادة الروس إرسال إشاراتهم اللاسلـكية بدون شفرة ، فى نفس الوقت أدت سرعة تقدمه الحـالى إلى توسيع الثغرة

الموجودة على يمينه والتى كانت غير محمية. وأصبح فى إمكان « لدندورف » التقدم، ولذا فعلى الفور تحرك بقواته .

وفى الفترة مابين ٢٧،٢٤ أغسطس إنتقلت الوحدات المواجهة لرينينكاميف إلى الجنوب ، وقد تم هذا التحرك خلسة وبدون أن يتنبه له الروس ، فقدتحرك ثلاثة فيالق ، إثنان منها على الطريق إلى « الينستين » بينما الفيلق الآخر نقل بالسكة الحديد وفى دورة واسعة .

وفى ٢٧ أغسطس أرسل لواءان من الفرسان فقط لتثبيت قوات « رينينكاميف » ، فى نفس الوقت كانت القوات الألمانية المواجهة « لسامسونوف » فى موقف حرج فكان عليها إيقاف التقدم الروسى بالرغم من تفوق الروس عدديا بنسبة ٦ : ١ حتى تتم جميع التحركات الألمانية إلى الجنوب .

وفى ٢٦ أغسطس وصل للدندورف بعض التعزيزات الألمانية ، فأصبح فى إستطاعته تنفيذ خطته التكتيكية ، وكانت تتضمن إيقاف تقدم « سامسونوف » فى الوسط مع دفع جناحيه إلى الخلف بغرض فتح الطريق أمام القوات الألمانية لتطويق الوسط .

وفى يوم ٢٦ أغسطس حدث بعض التقدم ولكن بقتال شاق ، ولم ينزعج «سامسونوف» بهذا الهجوم على الوسط لأنه كان يجهل ما يحدث على أجنابه .

وفى ٢٧ أغسطس نفذت الخطة بقوة مما أدى إلى إجبار اليمين الروسى على الإنسحاب إلى الخلف من « الينستين » إلى « بيشوفسبورج» بينما إنسحب اليسار الروس من «يسادو» إتجاه « نيدنبرج » .

وفى ٢٧ أغسطس حسمت المعركة ، فقد قام اليمين الألمانى بالضغط على « نيدنبرج» بينما دار اليسار الألمانى إلى الداخل نحو « باسنهيم » ، فى نفس الوقت دفع بقوات قوية للهجوم على الوسط .

وفى خلال يومين بعد بعض التقدم والإنسحاب للجناحين الروسيين دفعاً أخيراً خارج مسرح العمليات بينما طوق الوسط وحوصر.

وكانت الخطة جريئة وصائبة لأن « رينينكاميف » لم يتحرك برغم كل ذلك . وكان يوم ٣١ هو يوم « الحصاد » كما سماه « هندنبرج » .

وقد كتب إلى القيصر يقول : — « تم أمس إغلاق الحلقة حول الجزء الأكبر من الجيش الروسى ، وتم تدمير الفيالق ١٣ ، ١٥ ، ١٨ الروسية ، ولدينا حالياً أكثر من ٦٠٫٠٠٠ أسير . ولازالت المدافع الروسية المأسورة موجودة فى الغابات وجارى الآن إحضارها . وكمية الغنائم كبيرة جداً .

أما الفيلقان ١ ، ٦ الروسيان اللذان كانا خارج حلقة حصارنا ، فقد تكبدا خسائر فادحة ، وهما ينسحبان الآن فى عجلة كبيرة خلال « ملاوا » و «ميزانيك »، وقد إنتحر سامسونوف » . وقد سمى لدندورف هذه المعركة بـ « تاننبرج » (١) ، وتعتبر من المعارك التكتيكية البارعة فى حرب ١٤ — ١٩١٨ .

وبعد أن دعم « هندنبرج » و « لدندورف » النصر ، وجها القوات ضد « رينين‍كاميف » .

وفى معركة بحيرات « ماسوريان » دفع الألمان بالروس إلى الخلف حيث إستسلم منهم أكثر من ٣٠٫٠٠٠ أسير .

وبذلك إستعاد الألمان مواقعهم فى بروسيا الشرقية والتى كانت فى خطر . وبالرغم من هذه الخسائر إلا أن الروس إنتصروا فى مناطق أخرى، فقد إستولوا على «غاليسيا» من النمساويين، وفى القوقاز إستطاعوا دفع الأتراك للخلف . وعلى كل لو هزم « هندنبرج » فى شرق بروسيا لأصبح ذلك كارثة مروعة لألمانيا ، إلا أن روسيا تلقت ضربة قاسية هناك .

الأفكار الجذابة

وعلى شتاء ١٤ — ١٩١٥ إستنفذت القوة الدافعة فى خطة الحرب الألمانية ، ولم يبق منها إلا تراثها فى مواقع ثابتة على جبهات القتال .

وحاول الزعماء السياسيون والعسكريون فى كلا الجانبين السيطرة على مجرى الأحداث . وعلينا الآن إيجاز الصورة الأستراتيجية الكاملة لحرب ١٤ — ١٩١٨ بعد الصدام الأولى التى قامت به هذه القوات الكبير، فنجد أن الألمان قد كسبوا مزايا كثيرة فى المرحلة الأولى والتى إنتهت الآن ، ففى الغرب إستولوا على مناطق صناعية هامة من فرنسا ، أما فى الشرق

---

(١) هو اسم تل فى المنطقة تمسك به الوسط الألمانى فى أول الأمر . « المعرب »

فقد وجهوا ضربة ضخمة إلى الروس . وأصبح من ناحية أخرى ، الحلم المزعج [١] الذى أرعب هيئة الأركان الحرب الألمانية حقيقة واقعة ، وأصبحت ألمانيا مضطرة الآن إلى القيام بذلك ، فى نفس الوقت كانت على النمسا وتركيا القيام بذلك بالقتال على أكثر من جبهة . وقد أصبح واضحاً فى ذلك الوقت أن على الألمان تدعيم مجهود كل من الحليفتين [٢] بالمساعدات الإقتصادية والأفكار العسكرية والقوة البشرية ، كان « فلانكهاين » رئيس أركان حرب القوات الألمانية فى ذلك الوقت والذى خلف مولتكة الصغير .

وكانت إستراتيجية « فلانكهاين » لعام ١٩١٥ هو الإلتزام بسياسة دفاعية فى الغرب مع المحافظة على المكاسب الألمانية هناك ، ثم القيام بهجوم رئيسى لإنهاء الأمر فى الشرق ، وبهذه الطريقة يستطيع الألمان تجميع كل قواتهم بعد ذلك فى الغرب لإنهاء الحرب لصالحهم .

وكان الألمان يستطيعوا تحويل الضغط من نقطة إلى أخرى حسب إرادتهم ، وأيضاً مقابلة التهديدات الجديدة بسرعة ، وذلك لتمتعهم بخطوط داخلية جيدة تربط بين الجبهة الغربية والشرقية علاوة على نظام جيد للسكك الحديد وموارد إقتصادية ممتازة . أما الناحية البحرية ، فقد ردت ألمانيا على الحصار البحرى للأسطول البريطانى ، بالسير فى سياسة حرب الغواصات .

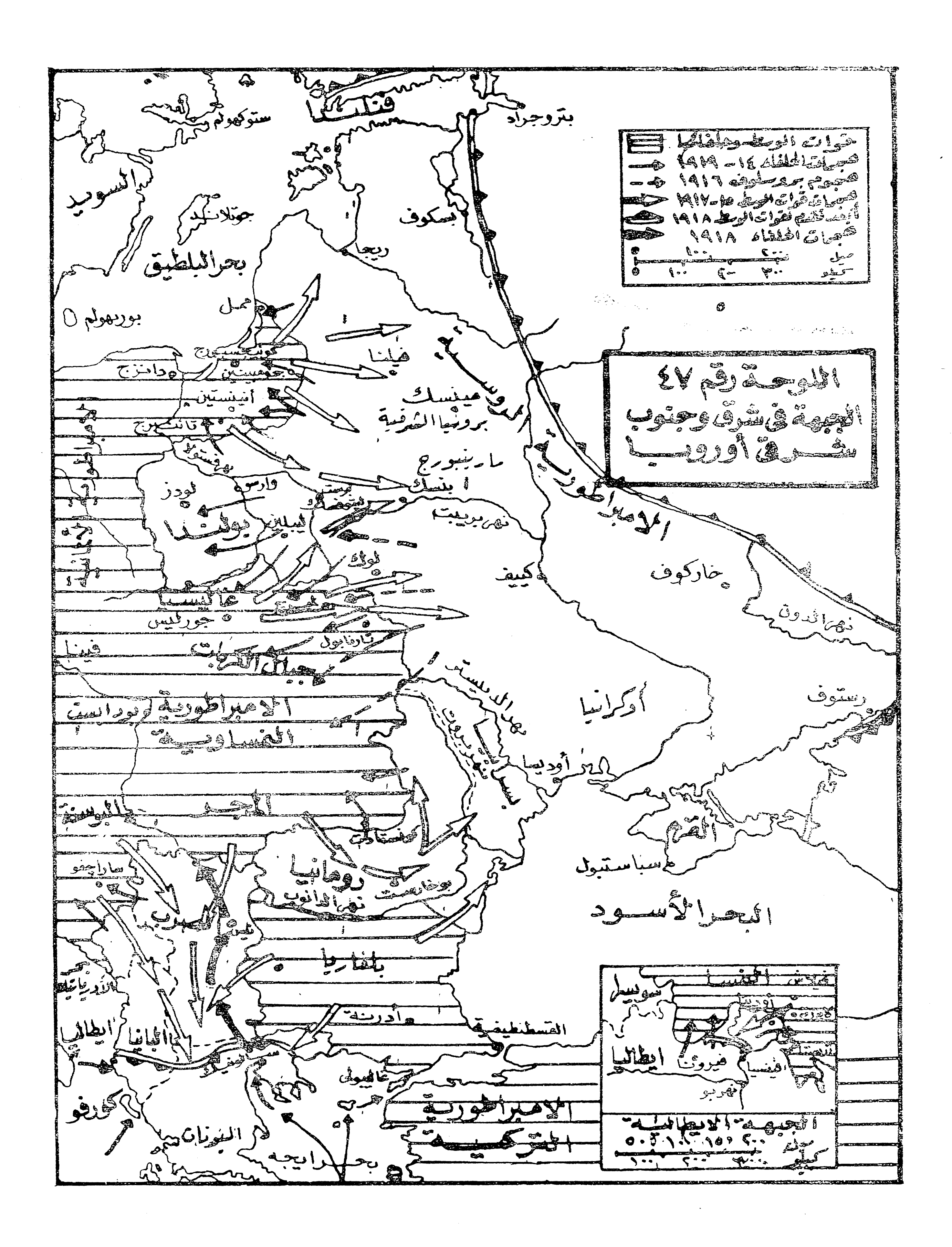
أما إستراتيجية الحلفاء فلم يكن هناك تنسيق كبير بين قواها ، فلم ينعقد أول مؤتمر عسكرى يجمع كل الحلفاء إلا فى ديسمبر ١٩١٥ . وكان الطريق الوحيد أمام الحلفاء لكسب الحرب هو هزيمة ألمانيا هزيمة حاسمة على إحدى جبهاتها الرئيسية ، ولما كان من المحتمل أن يستطيع الروس تحقيق ذلك ، فأصبح من واجب الحلفاء السعى للحصول على النصر على الجبهة الغربية . وبالطبع قبل الفرنسيون هذه الخطة وإعتبروها المهمة الرئيسية للحلفاء وذلك لأنهم محتلون بواسطة الألمان ، بينما نظروا إلى كل الأفكار الإستراتيجية الأخرى بشك كبير .

وعلى العموم فقد طالب الروس بتنسيق عملياتهم مع عمليات الحلفاء فى الغرب لإجراء

---

(١) يقصد اضطرار ألمانيا للقتال على جبهتين .

(٢) يقصد النمسا وتركيا .


اللوحة رقم ٤٧
الجبهة في شرق وجنوب شرق أوروبا
١٩١٨
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
كيلو
بتروجراد
فنلندا
ستوكهولم
السويد
جوتلاند
بحر البلطيق
بورنهولم
بسكوف
ريجا
ممل
فلنا
دانزج
أمبنستين
مينسك
بروسيا الشرقية
تاننبرج
وارسو
لودز
بولندا
بنسك
نهر بريبت
كييف
خاركوف
نهر الدون
جورليس
فينا
الإمبراطورية النمساوية
بودابست
المجر
أوكرانيا
أوديسا
رستوف
القرم
سباستبول
البحر الأسود
رومانيا
بوخارست
نهر الدانوب
سراجيفو
الصرب
بلغاريا
أدرنة
القسطنطينية
ألبانيا
إيطاليا
كورفو
اليونان
سالونيك
بحر إيجه
الإمبراطورية التركية
الإمبراطورية الروسية
سويسرا
إيطاليا
فيرونا
فنيسيا
نهر بو
الجبهة الإيطالية

أقصى ضغط على جبهتى قوى الوسط فى وقت واحد ، ولـكن نادراً ما تمت هذه العمليات بنجاح .

وبما أن بريطانيا هى القوة البحرية العظمى فأصبح واجبها الرئيسى هو حصار ألمانيا بحراً لمنع تجارتها فتخنقها إقتصاديا ، بينما إعتمدت بريطانيا على المسرح الحاكم للحرب البرية وهى الجبهة الغربية . ولم توافق على هذه الحقيقة كل الأحزاب السياسية فى بريطانيا إلا أن رئيس وزراء بريطانيا « سير وليام روبرتسون[1] » كان مقيداً للعمل حسب رغبة الفرنسيين ، أى التركيز على بناء القوات البريطانية على الجبهة الغربية ، وكان موافق على هذا الرأى معظم الخبراء العسكريين فى بريطانيا ، إلا أنه كانت هناك مدرسة أخرى أعتبرت هذه المدرسة من الفكر مجرد إعتبارات عمياء . وقدرت أنه يمكن هزيمة ألمانيا فى الجبهة الغربية ، ولـكن بحشد قوات بريطانية كبيرة تماثل قوات العدو ، وكانت بريطانيا تفضل الإبقاء على جيشها الصغير ، بدلا من إنشاء ودفع أعداد كبيرة من الرجال إلى القتال ، بل وحتى إذا إستطاعت إنشاء جيش كبير ، فهل سيعرف الخبراء العسكريون البريطانيون كيف يستخدموه ؟ ولذلك كانت المدرسة الأخرى ترى وتفضل ترك الجبهة الغربية للفرنسيين بينما تقتصر مساهمة بريطانيا فى الحرب البرية عن طريق الإستراتيجية الغير مباشرة ، والتى سيكون لها فائدة عظمى ، وفى نفس الوقت أكثر إقتصاداً فى القوة البشرية .

وعرفت هاتان المدرستان من الفكر باسم « الشرقية والغربية » . وقد تزعم « الشرقيون » « لويد جورج » وقد أعتبر أنه يمكن كسب الحرب « بالتخلص من الدعامات » أى بهزيمة حلفاء ألمانيا ، أما « الغربيون » فاعتبروا أن الحرب ممكن كسبها فقط بالهزيمة الحاسمة للألمان على الجبهة الغربية .

وكان « ونستون تشرشل » و « لويد جورج » من أهم المناصرين السياسيين لفكرة التخلص من الدعامات ، ويتم ذلك فى منطقة جنوب شرق أوروبا حيث يجرى تطور إستراتيجية الحلفاء . لأنه لو سيطرت الحلفاء على هذا المسرح ، فسينتج عنه نتائج هامة ، منها خروج تركيا من الصراع ، فيسهل على الروس حشد كل مجهوداتهم على الجبهة

(١) لقد أصبح بعد ذلك رئيساً لأركان حرب القوات البريطانية . « المعرب »

الشرقية بعدغلق جبهة الأتراك ووصول الإمتدادات لها من الغرب وبذلك تجبر النمسا على القتال على جبهتين ؛ فتضطر ألمانيا إلى تحويل قوات أكثر لتقويتها ومساندتها . أما إذا أمكن إخراج النمسا من الصراع فسوف تضطر ألمانيا نفسها إلى القتال على ثلاث جبهات ، وكان كل هذا مجرد أفكار جذابة .

وفى عام ١٩١٥ أرسلت بريطانيا حملة إلى الدردانيل . وفى هذا العام والعام التالى له تسابقت دول الحلفاء ودول الوسط للحصول على رضا دول جنوب وجنوب شرق أوروبا المختلفة .

وفى عام ١٩١٥ دخلت إيطاليا الحرب فى جانب الحلفاء ، وأيضاً رومانيا فى عام ١٩١٦ . بينما كانت الصرب تحارب من قبل النمساويين . ومن ناحية أخرى إنضمت بلغاريا إلى قوى الوسط فى عام ١٩١٥ .

معركة الفردان (أنظر اللوحة رقم ٤٥ ، ٤٨)

وكانت إستراتيجية الحلفاء فى جنوب شرق أوروبا تثير الإعجاب الكبير ، فقد فرض أن الحرب يمكن كسبها فى هذا المسرح ببعض الإستعراضات الجانبية ، وطبعاً فهى فكرة جذابة لأنها فى نفس الوقت لو إستطاع الحلفاء كسب اليد العليافى هذا المسرح ، فسيحصلوا على مزايا عديدة جداً . ولكن كما سنرى لم يتحقق هذا بسرعة ، وكلما طال أمد القتال كلما عظم إستنزاف القوات والتى يمكن إستخدامها فى مكان آخر . وإضطر البريطانيون فى النهاية إلى إنشاء جيش بريطانيا كبيرا ، وأرسلت معظم القوات إلى الجبهة الغربية كما طلب « الغربيون » . فى ذلك الوقت فتح البريطانيون مسرحاً حربياً منفصلا فى الشرق الأوسط ، وكان الغرض من العمليات فى مصر والتى إمتدت إلى العربية السعودية وفلسطين وسوريا ، هى حماية المصالح الإقتصادية البريطانية وخاصة قناة السويس ، مع توجيه ضربة من إسفل للامبراطورية التركية . وتم التدخل المسلح فى العراق ، وقد برره البريطانيون بأنه لحماية الإمدادات البترولية فى منطقة الخليج العربى ، بينما أرجعه الفرنسيون إلى الطمع الإستعمارى البريطانى . ولكى تكتمل الصورة الإستراتيجية يجب ذكر الحرب فى الأجزاء الأخرى للعالم .

ففى عام ١٩١٤ تحركت اليابان إلى داخل المنطقة الألمانية فى « شانتونج » بالصين ، ونجح اليابانيون مابين عام ١٩١٤ — ١٩١٨ فى مد نفوذهم كثيراً فى الصين ، وكان الدافع لذلك بدون شك الطمع الإستعمارى .

وبما أن مستعمرات الخصوم كانت متجاورة كما فى إجزاء من أفريقيا وجنوب المحيط الهادى ، لذلك إغتنم الطرفان الفرصة للقيام « بمحاولة » ضد بعضهما هناك . وكانت هذه « الإستعراضات الجانبية » من وجهة النظر الألمانية ذات فائدة وهى « إزعاج العدو » ، أما تأثيرها على الجانبين فكانت تحويل قواتهما من المسارح الرئيسية ، وقد تم تحويل قوات بريطانية وفرنسية أكثر من القوات الألمانيـة . وعلى كل يمكن القول بأن الحرب فى المسارح خارج أوروبا لم يكن لها أهمية إستراتيجية كبيرة . وفى الحقيقة كانت حرب ١٤ — ١٩١٨ حرباً أوروبية .

وقد سميت هذه الحرب بعد ذلك « بحرب عالمية » لإشتراك وحدات من أجزاء كثيرة من الإمبراطورية فى أوروبا علاوة على إنضمام الولايات المتحدة فى عام ١٩١٧ إلى قوى الحلفاء . ولكن يمكن أن نقول أيضاً بأنها حرب أقل من « حرب عالمية » لأن دور القوة البحرية كان فى الحقيقة سلبياً ، وفى رأيى فهى لا تخرج عن بعض الصراعات السابقة مثل حرب الأعوام السبعة .

وبعد أن ألقينا نظرة عامة على صورة الحرب ، فإنى أقترح الآن أن ندقق النظر على أجزاء معينة من المشهد والتى هى ذات أهمية ، آخذين المسارح واحداً تلو الآخر محللينه وخاصة طبيعة القتال والقيادة .

وكما ذكرنا من قبل فقد تجمدت الحرب على الجبهة الغربية إلى الدفاع الثابت منذ معركة « إيبر الأولى » . وإمتد الخط الدفاعى الألمانى بين « الفلاندرز » و « سويسرا » إلا أنه كان بارزاً فى نتوء عريض على شكل رأس ضعيفة عند « كومبنى » . ولم يحدث قتال رئيسى فى هذا المسرح سوى هجمتين كبيرتين للحلفاء فى « أراس » (أرتوس) ، وإثنتين أخرتين فى « شمبانيا » . وبلغت الخسائر فى هجمات الخريف حوالى ١٩٠٠٠٠ فرنسى و ٥٠٠٠٠ بريطانى و ١٤٠٠٠٠ ألمانى . وكانت النتيجة النهائية لهذه المذبحة هى إنبعاج المواقع الألمانية

قليلا . أما المعارك الكبرى فى عام ١٩١٦ فكانت معارك « الفردان » و « السوم » ، وقد إستمرت معركة الفردان ، حوالى عشرة أشهر تقريباً ، والتقدير الرسمى الفرنسى للخسائر الإجمالية للجانبين فى الفردان هى : — ٤٢٠٠٠٠ قتيل و ٨٠٠٠٠٠ جريح ومصاب بالغاز، وكان العدد الإجمالى للقوات مليون وربع تقريباً . وعند نهاية المعركة كانت الجبهة تقريباً كما كانت عندما بدأت المعركة .

وكتب « اليستار هورن » فى « ثمن المجد » يقول : — « فى معركة الفردان لم يكسب أى جانب شيئاً، وكانت معركة غير حاسمة فى حرب غير حاسمة ، بل أنها معركة غير ضرورية فى حرب غير ضرورية . إنها معركة ليس فيها منتصرون فى حرب ليس بها منتصرون » .



معركة الفردان وتستخدم فيها القوات الألمانية المدافع الرشاشة

أما معركة السوم التى جرت من ١ يوليه إلى ١٨ نوفمبر فكلفت كل جانب حوالى ٥٠٠٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح وأسير، بينما كسب الحلفاء نتوءا من الأرض الموحلة عمقه حوالى تسعة أميال ومواجهته حوالى ٢٠ ميلا ، ولم يكن له فى نفس الوقت أى قيمة

إستراتيجية . وكان الجنرال « فلا كنهاين » هو المسئول عن إدارة العمليات فى الجانب الألمانى خلال هذين العامين .

وقد تولى منصبه بعد مولتكة الصغير فى سبتمبر ١٩١٤ ، وقد إستطاع أن يمنع كارثة كبرى بسبب الفشل فى خطة « شليفن » ، فقد قدر أن الخطة السليمة التى تتبع فى الغرب فى ذلك الوقت هو الدفاع . أما الهجوم الرئيسى للألمان بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ فكان الهجوم على الفردان[1] .

وفى أغسطس ١٩١٦ تم إستبدال « فلا كنهاين » بدلا من « هندنبرج » و « لدندورف » ، وبعد قليل أثبت « فلا كنهاين » فى رومانيا بأنه قائد ومقاتل ميدانى ماهر .

ويعتبر « فلا كنهاين » الإستراتيجى البارز الوحيد فى كلا الجانبين ، وهو صاحب نظرية « من الحكمة السعى وراء شيء أقل من النصر الكلى » . أما الحلفاء فلم يكن لهم قائداً أعلى للقوات على الجبهة الغربية قبل عام ١٩١٨ .

وقد إعتبر القائد العام الفرنسى الجنرال « جوفر » فى عامى ١٥ — ١٩١٦ القوة المرشدة بالنسبة لكل الحلفاء . أما القادة البريطانيون[2] فكانوا مستقلين نظرياً ، فى نفس الوقت لم تكن لديهم قوات كافية تجعلهم فى موقف يمكنهم من إملاء إستراتيجيتهم بأنفسهم ، ولذلك فقد أتبعوا الإستراتيجية الفرنسية فى كل الأمورتقريباً .

وقد كان الجنرال « جوفر » قاسياً وصلدا ، ولا يستسلم مهما قاسى ، ولكنه فى نفس الوقت غبياً . وقد كسب معركة « المارن » بالحظ المطلق ، فكما ذكر « ليدل هارت » ، فقد دفع بمليون فرنسى ضد مليون ونصف ألمانى وفى المكان الخاطىء ، وقد أدى فشله فى اللورين أنه تمكن من إيقاف الألمان فى الدقيقة الأخيرة بعد أن وصلوا تقريباً إلى مؤخرة قواته .

وفى عام ١٩١٥ لم يكن فى الجبهة الألمانية أى أجناب معرضة حتى يستطيع « جوفر »

(١) هى قلعة على الحدود وقد أصبحت رمز الكفاح الفرنسيين ، فقد رضوا بإستنزاف دماء شبابهم فى الدفاع عنها .

(٢) يقصد فرنش ، وقد حل محله دوجلاس هيج فى ديسمبر ١٩١٥ . « المعرب »

تطويقها ، ولذلك فقد قام « جوفر » بالهجوم بالمواجهة على كلا الجانبين [1] لقطع البروز الألمانى . وطبعاً لا يمكن تسمية هذا بإستراتيجية . وقد شاهدت طيلة حياتى قتالا كثيراً وتعلمت « أنه مايكون مرغوباً إستراتيجياً يجب أن يكون ممكناً تكتيكياً بالموارد التى تحت يد القائد » ، وأعتقد أن « جوفر » لم يفهم هذه الحقيقة الرئيسية .

غاز المستردة

لقد طالب الرأى العام بقيام الحلفاء بعمل هجومى لطرد الألمان الذين يحتلون الأراضى الفرنسية والباجيكية،فى نفس الوقت يجب عدم ترك الألمان بدون إزعاج على جبهتهم الغربية حتى لا يقووا فيستطيعوا تسديد ضربة قوية للروس فى الشرق.وقد برزالسؤال التالى:— كيف يتم الهجوم.. وماهى الطريقة؟ وتواجدت إمكانيات وإحتمالات عديدة، منها إغراء العدو على التقدم للأمام بغرض الإستيلاء على المدن ، ثم يتم تطويقه من كلا الجانبين ، كما حدث ذلك مصادفة فى عام ١٩١٨.على أن يتم ذلك على المواجهة الألمانية بإستخدام القوةالبحرية البريطانية المتعاونة تعاوناً كاملا مع الهجوم البرى الذى سيتم على جانب « الفلاندرز » . وأخيراً تم ببساطة إختيار طريقة الضرب بالمواجهة على أن يتم ذلك فى هجمات متكررة ، وطبعاً فكان هذا حسابا خاطئاً من أساسه لإفتراض أن مثل هذه الطريقة يمكن أن تنجح ، وعلى كل فقد أساء كل القادة تقدير القوة التكتيكية للدفاع . ولم يدرك قادة الحلفاء مبكراً فى عام ١٩١٥ أن مثل هذه الهجمات الأمامية لن تحقق نتائج إيجابية لأنهم لم يدرسوا بجدية التاريخ العسكرى ، فى نفس الوقت لم يكونوا جنوداً محترفين . وعلى كل حال فقد قرروا الإستمرار فى نفس السياسة فى السنة التالية وعلى مجال أكبر كثيراً ، وطبعاً هذه لم تكن الحرب التى أفهمها .

وكانت قوة الدفاع أساساً تتكون من المشاة التى تطلق نيران المنادق والمدافع الرشاشة من الخنادق الآمنة وتعاونها المدفعية .

وكانت المشكلة الرئيسية أمام المهاجمين كيف الوصول إلى مسافة قريبة من المدافعين ؟وفى الحقيقة كانت حرب الخنادق عبارة عن معارك حصار أكثر منها معارك مفتوحة ، وقدظهرت

(١) الهجمات فى أراس وشمبانيا . « المعرب »

هذه المشكلة بوضوح فى الحرب الروسية — اليابانية وحروب البلقان وفى الإشتباكات التى جرت عند « مونز » و « لى كاتو » و « جريسى » حيث أمكن لعدد قليل جداً من القوات صد وإيقاف الإكتساح الألمانى الكبير المتقدم . وأثناء الإصطدام الأولى فى منطقة « مونز — لى كاتو » إستطاعت فرقتان بريطانيتان من إيقاف فيلقين ألمانيين . وقد أدت القوة التكتيكية للدفاع والعوامل الإدارية إلى تأخير خطة شليفن عن الجدول الزمنى الذى وضع لها مما أدى إلى فشلها فى تحقيق أهدافها . وكان حامل البندقية الموجود فى موقع ثابت يستطيع إطلاق ١٥ طلقة فى الدقيقة عبر الأرض الحرام ، بينما يستطيع المدفع الرشاش إطلاق سيل من الطلقات ، لذلك زاد عدد المدافع الرشاشة بسرعة . فى أول الأمر قرر « هيج » مدفعين لكل كتيبة ، ولكن لويد جورج لم يوافقه فى ذلك لعدم كفايتهما . وعلى نهاية الحرب تشكلت كتائب كاملة من المدافع الرشاشة بكل منها ٤٨ مدفع رشاش . وأصبحت الأسلاك الشائكة تحقق عائقاً آخر للتقدم . وبمرور الوقت أضيفت تحسينات إلى الدفاع .

وقد أدخل الألمان الغاز بأنواع عديدة منها : — الخانق ... والمسيل للدموع .. والحارق [١] . وكان غاز المستردة[٢] أسوأها جميعاً لأنه كان أكثرها تعجيزاً وبغضاً ، ويحتاج إلى وقت أطول فى التطهير . وأصبحت الخنادق تتكون من عدة خطوط فى العمق وبذلك لا يسقط الموقع الدفاعى إذا إخترق المهاجمون الخط الأول ، فى نفس الوقت يستطيع المدافعين إحضار قوات من الخلف بواسطة السكة الحديد والحملة الميكانيكية لملأ الثغرة أسرع من إمكان المهاجمين مواصلة الإندفاع للأمام . ومثال لذلك فى معركة « إيبر الأولى » إستطاع الألمان إختراق الخطوط الدفاعية البريطانية حتى وصلوا إلى المنطقة الخلفية للأسلحة الإدارية ولكنهم لم ينجحوا فى إستغلال هذا المكسب .

وخلال شتاء ١٦ — ١٩١٧ جهز الألمان مواقع دفاعية إحتياطية[٣] إنسحبوا إليها فى أوائل عام ١٩١٧ ، وقد تم إختيار هذا المكان لمزاياه الطبيعية والإستراتيجية . وكانت

---

(١) يحرق أنسجة الجسم . (٢) من نوع الغاز الحارق .
(٣) سميت بخط هندنبرج . « المعرب »

المواقع الدفاعية تتكون من ملاجىء عميقة تجعل المشاة آمنة من الناحيـة العملية من كل أنواع المدفعية، بينما بنيت دشم خرسانية للمدافع الرشاشة مع إنشاء شبكة من السكة الحديد الخفيفة لنقل الرجال والمواد والأمداد إلى المناطق الأمامية . وفى الواقع أصبح الدفاع يتمتع بمزايا كبيرة نتيجـة للأسلحة المتوفرة ، ولـكن كان هناك نظرية عـكسية تـكونت قبل الحرب ، ويمـكن تلخيصها بـكلمات فوش : — « الحرب معناها دائماً القيام بالهجوم » . وقد إفترضت هذه النظرية أن نيران المدفعية الحديثة والأسلحة الصغيرة سوف تعطى قوة للهجوم ، لدرجة أنه يمـكن مهاجمة العدو وبنجاح فى مناطقه الدفاعية القوية . وقـد كتب فوش : — « الحرب لا يمـكن أن تخسر مادياً بل يمـكن أن تخسر فقط معنوياً ، والمعركة التى تـكسب هى المعركة التى لن يعترف فيها القائد بأنه هزم » . وأنا أوافقه على أن المعركة لا تخسر مطلقاً إلا عندما يعتقد القائد العام هذا . ولـكن من الضرورى وجود حـكم متزن بالرغم من أن القائد سيسعى دائماً لفرض إرادته على خصمه . فالقائد العام يجب أن يعرف متى يكون التعقل أفضل من الشجاعة ؟ كما يجب ألا تعلو رغبته فى السيطرة على خصمه ، الإمـكانيات الحقيقية للموقف ، كما أن القائد الجيد الذى يـكسب معاركه بأقل خسارة ممـكنة فى الأرواح. وعلى كل حال ليس الهجوم الأعمى فى جميع الأوقات هو أفضل طريقة لتنفيذ هذه الفلسفة، وعادة ما يكون الدفاع الإستراتيجى أمراً مستصوبا عندما يسعى وراء هدف تـكتيكى موات. وعندما يوجد هذا فيصبح الوقت مواتياً للجرأة ، فقد تم عمل كل شىء يمـكن أن يمليه العقل لضمان النجاح ، وأعتقد أن فوش لم يفهم هذا .

صرخات الموتى الأخيرة

وكان الأسلوب العادى للهجوم هو تمهيد أولى بالمدفعية يتبعه إقتحام موجات من المشاة المسلحة بالبنادق والسنا كى ، بينما كانت المدافع الرشاشة والغاز أقل فائدة فى الإقتحام عنها فى الدفاع .

وقد سبق الهجوم على الجبهة الغربية قصفات بالمدفعية إستمرت عدة أيام . وكان الغرض الرئيسى من هذا القصف هو فتح ممرات فى الأسلاك الشائـكة وإسكات المدافع الرشاشة للعدو قبل أن تبدأ المشاة الإقتحام .

وفى أول الأمر تفوقت المدفعية الألمانية فى الـكمية والنوع ، ولـكن بعد ذلك أصبحت أنواع المدافع تشبه بعضها كثيراً فى كل الجيوش . وأكثر المدافع البريطانية التى إستخدمت كانت من أعيرة ٢٥ رطلا و٦ بوصة والهاوتزر ٢ر١ بوصة . وقد زاد المدى حتى وصل إلى أكثر من ٠٠٠ر١٠ ياردة . وإستخدمت الحملة الميـكانيكية فى نقل المدافع ولـكن كانت الخيل هى التى تحركها فى معظم الأحيان . أما أسلحة المدفعية الـكبيرة جداً مثل المدفع الشهير عيار ١٧ بوصة والمسمى « برتا الـكبير » والذى يستخدم فى الضرب على الأهداف الموجودة بالعمق البعيد ، وقد إستخدم الألمان معظم هذه الأسلحة . وعادت الهاونات للظهور والتى أهملت منذ مدة طويلة ، لأن هذه الحرب كانت من نوع حرب الحصار . وحلت الدانات شديدة الإنفجار تدريجيا محل الشرابنل ، كما إستخدمت أيضاً دانات الغاز والدخان . وقد تطلبت المدفعية درجة عالية من التنظيم لأن القصفات كانت تتم بحشدوتركيز وعلى مواجهات كبيرة ، ولذلك أصبحت قيادة المدفعية على طول قطاعات الجبهة وإزداد عددها وتركيزها ، حتى يمـكن تنسيق القصف وتركيز النيران على المـكان الصحيح وفى الوقت المطلوب .

وقد إستفادت المدفعية أثناء تنفيذ مهامها بالوسائل المتطورة للمواصلات مثل التليفون واللاسلـكى وطائرات الملاحظة علاوة على إستخدام وسائل أخرى مثل الصوت واللهب لتحديد المـكان والمسافة .

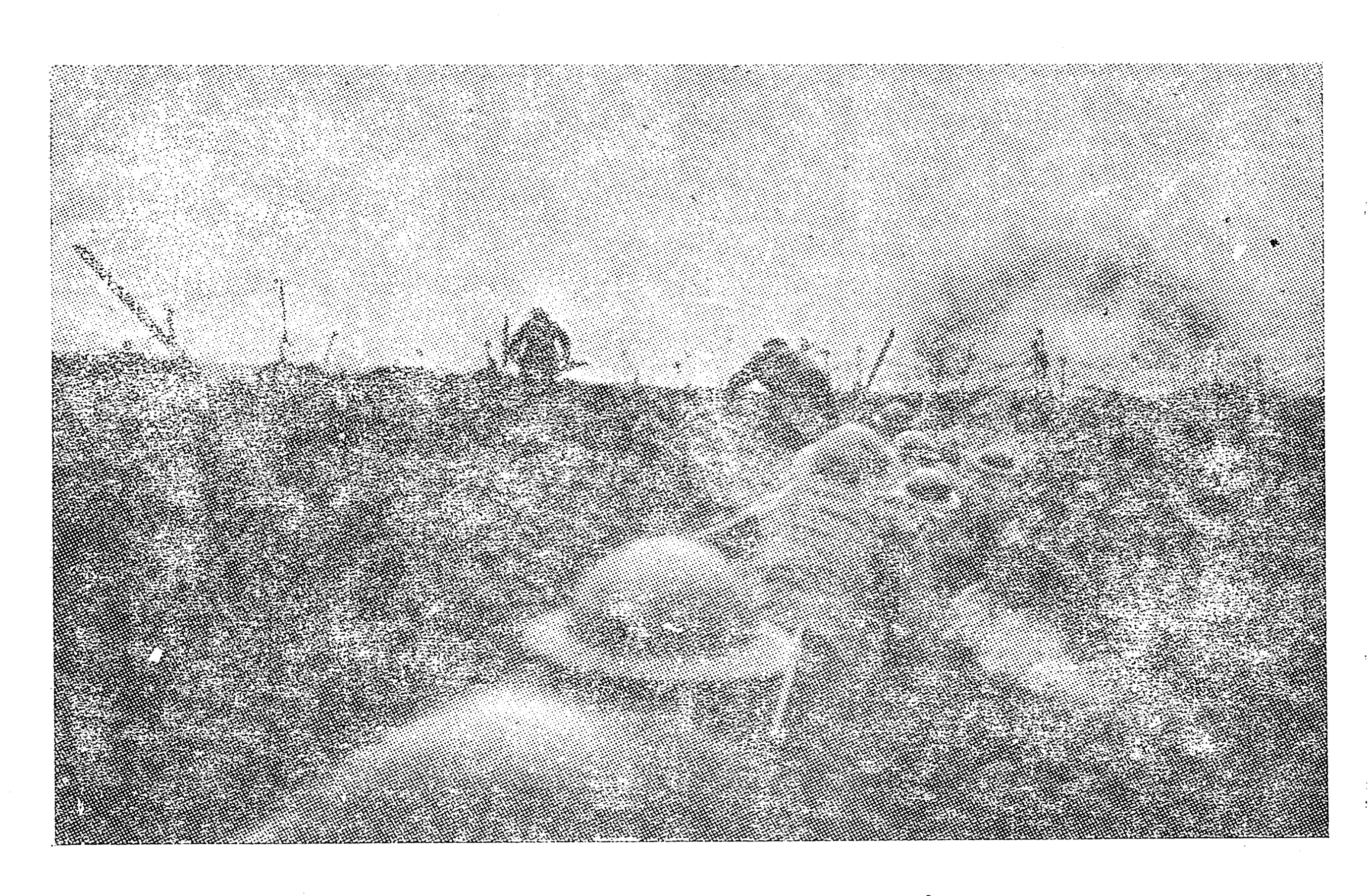
وعلى عامى ١٦ ، ١٩١٧ كانت فنون المدفعية قد تطورت بدرجة كبيرة . وكان من عيوب مثل هذه القصفات أنها تفقد تحقيق المفاجأة التـكتيكية ، علاوة على ذلك كانت المدفعية فى الجو الممطر تحول الأرض إلى بركة من الطين فيصبح تقدم المشاة المترجلة والتى تحمل معدات تزن حوالى ٦٦ رطلا صعباً جدا .

وعندما تنتهى القصفة ، وكانت فى بعض الأحيان تنتهى بستارة من الدخان لإخفاء التحركات ، تترك المشاة المهاجمة خنادقها وتتقدم فى موجات لتشق طريقها بحذر خلال الأسلاك الشائـكة الموجودة على جانبيها ، ثم تتشكل وتتقدم بسرعة خلف غلالة زاحفة من المدفعية .

ويصف أحد ضباط الآلاى ١٨٠ ألمانى الفرقة المشاة البريطانية وهى تهجم فى معركة السوم ، وكان هذا الهجوم هو النوع السائد فى ذلك الوقت : « ولقد أدرك الجميع أن القصفة

المركزه التالية هى إبتداء إقتحام المشاة البريطانية ، ولذلك إنتظر الرجال فى حفرهم على أهبة الإستعداد .

وكانت أحزمتهم مملوءة بالقنابل اليدوية ، بينما قبضوا على بنادقهم وأخذوا يستمعون وينتظرون رفع القصفة من المنطقة الدفاعية الأمامية إلى الدفاعات الخلفية . وكان من الأهمية القصوى أن يتخذ الجميع مواقعهم لمقابلة المشاة البريطانية التى ستتقدم مباشرة خلف غلالة



المشاة الانجليزية تتحرك فى خنادقها إستعدادا للهجوم

المدفعية . وعند النظر إتجاه الخنادق البريطانية من خلال بيرسكوبات الخنادق الطويلة والممتدة إلى أعلا الملاجىء يمكن رؤية حشد من الخوذ الحديدية خارج المواقع الدفاعية إستعدادا للاقتحام . وفى الساعة ٧½ ، توقفت عاصفة النيران فجأة كما بدأت ، وعلى الفور أسرع رجالنا خارج الملاجىء فراداً أو جماعات إلى أقرب حفرة سببتها دانات مدفعية العدو . وأخرجت المدافع الرشاش من مخابئها ووضعت بسرعة فى أماكنها وأخذ أطقم المدافع فى سحب صناديق الذخيرة الثقيلة فوق السلالم نحو المدافع . وهكذا أقيم خط رهيب من النيران .

وبدأ الخط الأول فى التقدم وكأنه يمتد إلى اليمين واليسار بدون نهاية ، وسرعان ماتبعه خط ثانى وثالث ورابع .

ونقدمت الجنود البريطانية ببطء وثبات وكأنهم لايتوقعون وجود شيء حى فى خنادقنا الأمامية . وكان يسبق الخط الأول خط رقيق من المناوشين وقاذفى القنابل اليدوية.وأصبح الخط الآن فى منتصف مسافة الأرض الحرام .

وأخذت تمر كلمة «إستعد» على طول جبهتنا من حفرة إلى حفرة ، ، وظهرت الرؤوس على حافة الحفر وأخذ الجنود أوضاعهم الأخيرة بحيث تعطى أفضل رؤية بينما ثبتت المدافع الرشاشة القوية بقوة فى أماكنها . وبعد دقائق قليله وعندما أصبح الخط البريطانى الأمامى على مسافة ١٠٠ ياردة ، بدأت قعقعة نيران المدافع الرشاشة والبنادق من على طول خط حفر الدانات .

وكان الجنود يطلقون النيران من الوضع مرتكزا ليحصلوا على أفضل رؤية للهدف فوق الأرض المكسرة ، بينما إنتاب الأخرون نشوة المعركة ووقفوا يطلقون النيران على حشد العدو المتقدم بغض النظر عن سلامة أنفسهم .

وأسرعت إلى السماء الزرقاء صواريخ حمراء كأشارة لبدء المدفعية ، وعلى الفور مزقت أعداد كبيرة من دانات البطاريات الألمانية الموجودة فى الخلف الهواء لتنفجر بين الخطوط المتقدمة . وبدا وكأن جماعات كاملة تسقط ، وسرعان ماتفرقت التشكيلات البريطانية الخلفية وكانت تتحرك فى تشكيل منضم ، وأخذ يتعثر التقدم تحت وابل الدانات والطلقات . وكان يرى على طول خط الرجال المتقدم وهم يلقون بأسلحتهم ويسقطون بلا حركة إلى الأبد . وتدحرج الجرحى بينما زحف المجروحون الأقل خطورة إلى أقرب حفرةسببتهاالمدفعية لأتخاذها كملجأ للوقاية .

وعلى كل حال لم ينقص الجندى البريطانى الشجاعة ، فعندما يضع يده على السلاح فلم يكن من السهل تحويلة عنه .

والآن ظهرت فى الصورة بسرعة الخطوط الممتدة ولكنها أهتزت بشدة وحدث بها ثغرات كثيرة ، بينما قطع الجنود البريطانيون الأرض فى إندفاعات قصيرة وبخطوة سريعة

بدلا من الخطوة البطيئة . وفى خلال عدة دقائق ، وصلت القوات القائدة المتقدمه إلى مسافة إلقاء الحجر من خنادقنا الأمامية ، وقد إستمر بعضنا فى إطلاق النيران من هذه المسافة القاتلة بينما ألقى آخرون بالقنابل اليدوية على القوات المهاجمة . ورد البريطانيون بقذفة من القنابل بينما أندفعت مشاتهم للأمام والسناكى مثبتة فى بنادقهم .

وأصبح من المستحيل تحمل ضجة المعركة ، وكان يسمع من خلالها صراخ الأوامر والتشجيعات الصاخبة مختلطة بصوت الوابل الكثيف والعنيف للمدافع الرشاشة والبنادق وإنفجار الدانات ، ومع كل هذا إختلط أهات وتأوهات الجرحى والمعاونة وصرخات الموتى الأخيرة. ومرة أخرى تحطمت خطوط المشاة البريطانية الممتدة على الدفاعات الألمانية .

وكانت الصورة تشبه إلى حد كبير موجات البحر وهى تصطدم بالصخر ، والتى ينتج عنها تحطم الموجات فقط . »

وبهذا الشكل دارت الحرب على الجبهة الغربية فى أوروبا . وبالرغم من توفر هذه الأسلحة القاتلة والموقف الأستراتيجى القائم فلم تتوفر إلا فرص قليله ليغير قتال الخنادق من شكل القتال العام ، لذلك لم يخلق مهارات تكتيكيه جديدة تمكن المهاجم من إتمام عملية الأختراق .

حرب الأنهاك

وبالرغم من ذلك ففى بعض الفترات دار قتال جيد مما يدل على أنه من الممكن حدوث قتال أفضل قليلا من ذلك النظام العادى للهجوم .

وفى معركة الفردان حاول الألمان تحقيق المفاجأة ومهاجمة العدو فى أضعف نقطة بدلا من مهاجمته فى أقوى نقطة ، ولذلك قامت جماعات الإستطلاع بشجاعة وذكاء وتحت ستر الظلام بأستكشاف جبهة العدو لمعرفة الأماكن الضعيفة .

وعندما يجد الألمان الفرنسيين فى نقطة متنبهين وأقوياء ، يحولوا هجومهم إلى مكان آخر أو يؤجلوا الهجوم بينما يستمروا فى تمهيد إضافى بالمدفعية . وكان يحالف الألمان دائما النجاح فى هجماتهم الصغرى متأكدين أن فى إمكانهم إختراق خط العدو .

وقد أستغلوا منحنيات نهر الموز وصلاحية الأرض هناك للقيام بتطويق العدو . وكان هناك تعاونا وثيقا بين المدفعية والمشاة الألمانية حققها أستخدام الإشارات المضيئة (الصفراء والحمراء والخضراء) ، بينما لم تستطع قوات الحلفاء تحقيقها .

وقد قام الجنـــود الألمان أيضاً بتنظيم خنادقهم بدقه عاليه . وعلى أى حال وخاصة فى الفردان فقد أستغل الألمان الفرص التكتيكية أفضل من أعدائهم . ولكن فى النهاية لم يستطيعوا تحطيم المقاومة الفرنسية فى الفردان ، لأن الوسائل التكتيكية المطبقة فى حرب الخنادق لم تعطى أى نتائج حاسمة . وقد جاء فى التاريخ الرسمى البريطانى عن منطقة « الباشنديل » خلال معركة « ايبر الثالثة » فى عام ١٩١٧ ما يلى : « لقد تحولت المنطقة القريبة من الجبهة والتى قصفت بالمدفعية إلى حاجز من المستنقعات الطويلة لأن جسور الأنهار إنهارت ، وأصبح عبور المستنقعات فى مدقات محددة جداً والتى أصبحت أهدافا جيده لمدفعية العدو ، فى نفس الوقت كان الخروج عن المدقات معناه المخاطرة بالموت غرقا .» وفى هذه الأحوال البشعة حطم الأرهاق والضجر المعنويات ،مثلما حطمها الخطر والقذارة . وأخذ الحماس يضعف تدريجيا ، ولكن الشجاعة والتضحية بالنفس ظلت ثابتة ويتوجها الزمالة . وقد كتب سيدنى روجرسون يقول : « لم تكن حياة الخنادق كلها بشعة ، لأنها كانت مزيجا لأشياء كثيرة ، الرعب والضجر . . . والفكاهة والزمالة . . . والمأساة والتعب . . . والشجاعة وقنوط . » وكانت هناك حقيقة غريبة ومخزية ، فمعظم الضباط الكبار كانوا يجهلون الأحوال التى يقاتل فيها الجنود .

وكانت الأوامر تصدر لتنفيذ الهجمات « بغض النظر عن الخسائر » وكانت تستمر لأيام متتاليه . وكان هناك تناقض كبير بين معدن الرجال المقاتلين والقادة الذين أعطوا الأوامر . وقد كتب بصراحة م . ح . ب .تايلور : « كان الجندى هو بطل الحرب العالمية الأولى . » ويمكن أن نقول أن الجنود كانوا يستحقون قيادة أفضل لأنهم فى مجموعهم كانوا أفضل من قادتهم الكبار ، ولو أنه تواجد بين القادة بعض الاستثناءات القليلة جداً .وأصبح الموقف على الجبهة الغربية بطريقة الهجوم بالمواجهة ، حرب إنهاك وإختبار لتحمل كل جانب ودرجة توفر مواردة . ومن المثير أن جنود الجانبين لم تفترهممهم ، فنجد أن الألمان نجحوا

بدرجة معقولة في القتال على الجبهتين ، وصمدوا فى مواقعهم وقتلوا أعداداً كبيرة من أعدائهم أكبر مما فقدوه هم .

وإستطاع الألمان إمداد جبهاتهم بقوات ممتازة ويرجع ذلك لنظامهم فى التجنيد الموضوع قبل الحرب ، وطول مدة تدريب جنودهم .

أما الفرنسيون فقد صمدوا أيضاً ، وقد إرتفعت معنوياتهم فى الحقيقة بعد الفردان ، بالرغم من خسائرهم الفادحة فى الإعداد أو فى نوعية الرجال الذين قتلوا ، فكانو فى الواقع أفضل جنودهم العاملة.

أما البريطانيون فكانوا على وشك الوقوف على أقدامهم فى الجبهة الغربية ، ففى ذلك الوقت قام « كتشنر » وزير الحرب بحملة للتجنيد مما أدى إلى تطوع ٤٠٠ر٠٠٠ مدنى من أجل الجيش الجديد[1] وتم تدريبهم بقدر الإمكان وكانت معداتهم ناقصة ، وبالرغم من ذلك شعر البريطانيون على عام ١٩١٦ بقدرتهم على تحمل المسئولة بالتساوى مع الفرنسيين .

وفى عام ١٩١٦ كانت قوات الحلفاء عند السوم تقريباً جميعها بريطانية ، ومعظمهم من الرجال الذين تطوعوا أخيراً .

وخلال تجارب عام ١٩١٦ تحول المسرح الأصلى للمتطوعين إلى عزم ضار شرس فقط . وقد تمتع كلا الجانبين خلال الحرب بموارد ضخمة من الأهالى والمعدات أمكن السحب منها .

ففى عام ١٩١٠ كان التعداد السكانى كالآتى : — ألمانيا ٦٥مليون — فرنسا ٣٩ مليون — بريطانيا ٤٥ مليون[2] .

وكانت بريطانيا وألمانيا (عدا الولايات المتحدة) أعظم قوتين صناعيتين وتجاريتين فى العالم .

وكان يدير الاقتصاد الألمانى خلال الحرب الرأسمالى العبقرى « والتراثنو » والذى ساربه قدماً . وقد أعتمد الألمان من أجل الطعام على الأراضى الزراعية فى وسط أوروبا بينما أعتمد الفرنسيون على أراضيهم أما البريطانيون ، فاعتمدو على الاستيراد . وقد أثرت تعبئة

(١) كان الجيش البريطانى فى ذلك الوقت حوالى ٠٠٠ ر ١٠٠ فقط

(٢) لقد سحبت بريطانيا أعداد كبيرة من سكان مستعمراتها أكثر من الدول الأخرى «المعرب»

الملايين من الرجال على طبيعة المجتمع فى الدول المشتركة ، لأن الصراع أصبح « حرب شاملة » بينما أخذت « الجبهة الداخلية » أهمية لم تأخذها من قبل . وظهر « دافيد لويد جورج » كزعيم حربى عظيم فى بريطانيا ، وقد قوى بخطبه حماس الشعب ، حتى إستطاع دفع زعماء النقابات ورجال الأعمال لمعاونته فى إعادة تنسيق الصناعة لمقابلة إحتياجات الحرب ، بينما شجع النساء على العمل فى المصانع والمكاتب لملأ أماكن الرجال الذين يقاتلون بعيداً . وهكذا نجد أن الحرب تركت علامات ثابتة على الحياة فى بريطانيا كما أنشأت أشياء جديدة مثل التوقيت الصيفى وتحديد ساعات غلق المحلات العامة ، وكان الغرض من هذا هو جعل الناس تعمل أكثر .

وقامت الدعاية والرقابة الماهرة فى كل البلاد بمنع الجمهور من إدراك ما يحدث حقيقة على الجبهة ، وعلى العموم كانت الأهالى متحمسة للحرب ، ولم تؤثر الغارات الجوية على حياة المواطنين .

باشنديل (أنظر اللوحة رقم ٤٥)

ونجد أن قوة دول الحلفاء ودول الوسط تكافأة تماماً بالنسبة للقوة البشرية والإمداد بالمعدات ، بينما كانت الجبهات الداخلية تتمتع بروح معنوية عالية .

وكانت الصورة فى عام ١٩١٦ أنه من الممكن إستمرار حرب الإنهاك لبعض الوقت .

وفى نهاية عام ١٩١٦ قام لدندورف بأخبار الألمان بأنه لا يوجد صلح يحقق حلا وسطا ولذلك لابد من كسب الحرب .

وفى ديسمبر من ذلك العام أصبح « لويدجورج » رئيساً لوزراء بريطانيا وأعلن نفس الكلام . وفى ذلك الوقت وصل فى فرنسا شخصية جديدة إلى العلا ، وهو الجنرال « روبرت نيفيل » وقد رقى إلى رتبة القائد الأعلى مكان « جوفر » وذلك لأنه حصل فى الفردان على نجاح مظهرى ، فقد إستولى على شريط من الأرض بخسائر قليلة نسبياً . وقد أدعى « نيفيل » معرفة « سر النصر » .

وكان « لويد جورج » قائدا ممتازا للشعب البريطانى على الجبهة الداخلية ، ولكنه لم

يتفوق فى الإدارة الحربية . وقد كره « لويد جورج » الحرب على الجبهة الغربية كما كان رأيه ضعيفاً بالنسبة لهيج .

وقد أقترح « لويد » فى عام ١٩١٧ القيام بهجوم رئيسى على الجبهة الإيطالية ولكن الحلفاء لم توافق . بعد ذلك تأثر بنيفيل ، وقرر دفع المجهود البريطانى لمعاونة نيفيل ، وتآمر ليضمن أن يكون هيج تابعاً للقيادة الفرنسية العليا . وكتم نيفيل سره ، ولكنه سرعان ما كشفت أعماله عندما تولى القيادة وأنه لا يوجد لديه وصفه جديدة للنجاح .

ومرة أخرى فى عام ١٩١٧ ألقى الحلفاء ثقلا أكبر من الرجال والمعدات ضد الألمان أكثر من السنة السابقة .

وفى ربيع عام ١٩١٧ كانت خسائر الفرنسيين فادحة أثناء الهجوم فى معارك « أراس » و « أيسن » ، مما أدى أن الجيش الفرنسى بدأ يتصدع فى مايو . وعزل نيفيل من القيادة وعين بدلا منه « بيتان » البطل الحقيقى لفردان . وكان هذا الوقت أحلك أيام الحلفاء فروسياً فى آلام الاحتضار من الثورة بينما كانت الغواصات الألمانية تدمر سفن الحلفاء . فى ذلك الوقت أصبح « هيج » المخطط الرئيسى لعمليات الحلفاء بالجبهة الغربية ، وكانت خطته القيام بهجوم قوى بالمواجهة ضد الألمان فى الفلاندرز ، وهذا يعنى أن البريطانيين سيسحبون الضغط من الفرنسيين ، وعلى كل حال كان الأمر الأكثر أهمية فى نظره هو تجنب التشابك والتورط مع الفرنسيين . وكان يعتقد أنه إذا إنتصر فى هذا الهجوم فيستطيع طى جانب من المواجهة الألمانية ومعاونة القوى البحرية البريطانية فى منع غواصات العدو من العمل فى الموانى الواقعة بجوار بحر الشمال ، وكمثال فى الأراضى الواطئة .

وفى يونيه ١٩١٧ إستولى البريطانيون على سلسلة « مسينى » المرتفعة ، وتبع ذلك فترة توقف ، حدث بعدها معركة « أيبر الثالثة » والتى إستغرقت الفترة من ١١ يوليه حتى ١٠ نوفمبر ، وسقطت الأمطار فى أغسطس ضعف المعدل العادى ، ثم هبطت من ٣ أكتوبر فصاعدا بدون تقف تقريباً .

وقد قاتل الرجال وماتوا فى الطين وغرقوا فى حفر الدانات . ويتذكر الكثير من الجنود هذه الأيام كلمة « باشنديل » برعب شديد وعلى كل فقد إنتهت ذروة الهجوم

بالاستيلاء على سلسلة «الباشنديل» ولـكن ليس أكثر ، وقد فقد البريطانيون ٢٤٠٠٠٠ رجلا وبالمثل فقد الألمان نفس العدد تقريباً .

وفى أكتوبر دفع « بيتان » بهجوم عندالجنوب الشرقى الأبعد أى عند « ماليسون » وكانت نتيجة هذا الهجوم مجرد إزالة لبعض النتوءات القليلة التى ليس لها قيمة من جبهة القتال .

وقد برهنت إستراتيجية الحلفاء لعام ١٩١٧ على أنها عقيمة . وعلى كل حال فليس معنى الإشارة إلى خطأ وفظاعة حرب الخنادق أن ننكر أن الروح القتالية للرجال كانت لا تزال تتحمل الحرب .

وقد أديرت بعض العمليات بقدرة فائقة ، وكان من الممكن تحت قيادة ماهرة الحصول على مكسب من الأرض ، ولـكن سيكون محدوداً .

ظهور الدبابات (أنظر اللوحة رقم ٤٥)

وقد أدى قتال عام ١٩١٧ والذى كان عبارة عن الخوض بصعوبة فى الوحل والدماء إلى تحطيم الفرنسيين ،لأنهم كانوايندفعون منذ فترةطويلةفىهجمات إنتحاريةضد الخنادق وحدثت سلسلة من التمردات بعد هجمات « نيفيل » ولـكن تخلص « بيتان » من العناصر السيئة وعالج الباقى حتى عادوا إلى حالتهم الطبيعية .

وفى خريف عام ١٩١٧ كان الجيش الفرنسى قد شفى تماماً. وظل البريطانيون مستبشرين كما كانوا سعداء بقدوم الوحدات الممتازة من الدومنيون لتدعمهم مع وصول الأفواج الأولى من الأمريكيين . ولـكن ما هو أكثر روعة ويلفت النظر هو تحمل الجنود الألمان للقتال فى الجبهة الغربية لمدة أربع سنوات على عاتقهم وبدون أى معاونة خارجية . وإذا ألقينا نظرة على معركة « أيبر الثالثة » لوجدنا أن الأمطار والوحل والبرد أكسبت « باشنديل » سمعة رهيبة فى نفس الوقت وصل علم التطبيق المتواصل المثابر والمستخدم إلى أعلى مستوى لمجرد إختراق مواجهة العدو . والرجل الذى حقق ذلك هو قائد الجيش البريطانى الثانى الجنرال « هربرت بلومر » والذى خدمت فى جيشه فى ذلك الوقت . وكان « بلومر » أحد القادة القلائل جداً فى الحرب ، فكان جنديا محترفاً وعلى درجة عالية بكل ما يعنى ذلك ،

ولذلك وثق به رجاله وأحترموه . وأخذ يخطط لمدة سنتين ويعد لعملية التلغيم والتى حققت له الإستيلاء على سلسلة المسينى المرتفعة فى يونيه ١٩١٧. فقام بحفر ١٩ نفقاً عميقاً وعلى مسافة أكثر من ١٠٠ قدم تحت الأرض ملأها بمليون رطلامن المواد المتفجرة . وجهزهالتنفجر كلها معا فى فجر صباح ٧ يونيه ، ونتج عن ذلك مجرد سير القوات البريطانية والإستيلاء على السلسلة .

وفى نهايه أغسطس أصبح جيشه الثانى رأس حربة فى المعركة ، فعلى الفور تولى « بلومر » إدارة العمليات بنفسه ، وقد كتب تيران يقول : — « كان أسلوب « بلومر » هو التجهيز الواعى والتقدم المحدود خطوة خطوة أى حوالى ١٥٠٠ ياردة فى المرة ، بعد أن يغطى ١٠٠٠ ياردة منها بغلالة أولية » . وقدر « بلومر » كثيراً أهمية المدفعية ، فقد طلب التجهيزلهجومه الأول ثلاثةأسابيع وأكثر من ١٣٠٠ مدفع هاونزر لتنفيذ الهجوم ووضعت هذه المدافع مع ٢٤٠ مدفع رشاش على طول مواجهة الهجوم . وعندما حدث الهجوم الأول لبلومر كان نموذجاً للتجهيز والعزم .

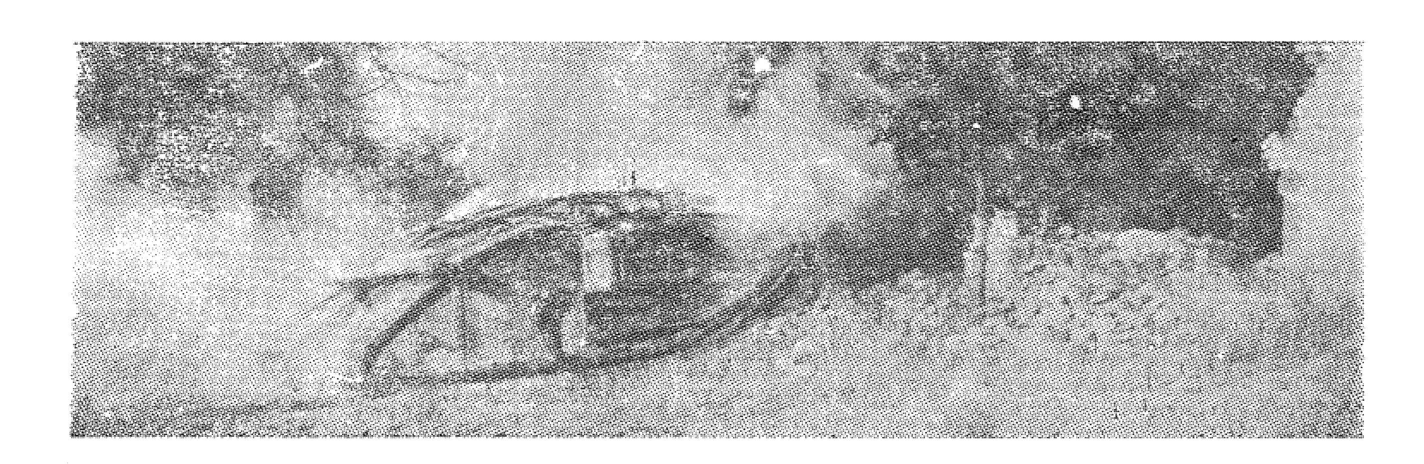
وفى ٢٠ سبتمبر أثناء معركة سلسلة طريق مينين كانت مواجهة الهجوم ٤٠٠٠ ياردة ويقوم بالهجوم ٤ فرق[1] وإستولت القوات البريطانية على مواقع العدو بمقاومة قليلة ، بينما كسب رجال « بلومر » فى مرتين أخرتين مواجهة محدودة من الأرض عند غابة « بوليجون » و « برووديسيند » مستخدمين نفس الوسائل أى القيام من قبل بتمهيد كثيف ومركز بالمدفعية .

وكانت نسبة الخسائر أقل بكثير من مثيلتها عند « السوم » وعند « ووترلو » .وبهذه الطريقة كان يتم كسب الأرض ، ولكن إذا كان سيتم بمعدل ١٥٠٠ يادرة كل ثلاثةأسابيع فمعنى هذا أن طرد الألمان إلى موطنهم سيأخذ وقتاً طويلا . ولكن وصلوا أخيراً إلى مايمكن فى الحقيقة تحريك الحرب بسرعة أكثر .

ففى ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ إستخدم البريطانيون الدبابات فى الهجوم على « كامبرى » . وتقدمت ٣٠٠ دبابة فى تشكيلات كثيفةللامام وبدون أىقصف تمهيدى للمدفعية . وأحدثوا فى ذلك اليوم ثغرة عرضها ٤ أميال فى خط هندبرج ، وخسروا ١٥٠٠ رجلا بينما أخذوا

(١) ٢ أسترالية و ٢ بريطانية

١٠٠٠٠ أسير ألمانى و٢٠٠ مدفع . وإخترقت الدبابات عمقاً وصل خمسة أميال[١] ويصف النقيب د . ج . برونى[٢] : — « عبرت الدبابات الأحزمة الثلاثة للأسلاك الشائكةوبدت الأسلاك وكأنها كنبات ذووبرةشائكة، وقامت الدبابات بفتح ٣٥٠ ممراً فى الأسلاك للمشاة . وبينما كان المدافعون فى الخندق الأول يخرجون بسرعه من ملاجئهم ودشمهم لمقابلة ضجة لهب الغلالة، عندماشاهدوا الدبابات القائدة و هى تقترب عليهم وكان منظراً هائلا ومرعباً » . وفى الواقع فالفوائد التى كسبتها الدبابات ضيعتها بذلك عدم كفاءة القياده العليا ، فكانت الاحتياطات الوحيدة المتوفرة لاستغلال النجاح هى الفرسان ذلك السلاح الذى أختفت خفة حركته التكتيكية فى وجه الأسلحة منذ زمن بعيد .



أول أنواع الدبابات وهى تقوم بالهجوم

وفى ٣٠ نوفمبر قام الألمان بهجوم مضاد مفاجىء موجه إلى جنب ومؤخرة المنطقة التى كسبها الاختراق البريطانى وإستولوا عليها وبالتالى على المكاسب البريطانية . وعلى كل حال فكانت هذه المعركة هى علامة بارزة فى تاريخ الحروب .

وفى عيد ميلادى عام ١٩٥٣ أهدانى سير ونستون تشرشل نسخة من كتابه « الأزمة العالمية ١١ — ١٩١٨ » ولاحظت أنه كتب فى الجزء الثانى صفحة ١٢٢٠ عن معركة

---

(١) وهى المسافة التى أستغرقت لكسبها فى أبريل أربعة شهور وكانت خسائرها ٣٠٠٠٠٠ جندى

(٢) كان حاضر هذه المعركة ورأى هجوم الدبابات «المعرب»

كامبرى يقول : « لقد إتهمت ونددت بدون إستثناء بكل هجمات الحلفاء الكبيرة فى أعوام ١٥ ، ١٦ ، ١٩١٧ . وقد وصفتها بأنها عمليات تمت خطأ بدون فائدة وبتكاليف خيالية . وهنا أجد نفسى مضطراً للاجابة عن السؤال : — ما الذى كان يمكن عمله غير ذلك ؟ وأنا أجيب مشيراً إلى معركة كامبرى : — كان يجب عمل ماحدث فى هذه المعركة ، ومن الممكن أن يتم فى أشكال متنوعة وأكبر وأفضل كثيراً .

ولكن يجب أولا يقتنع الجنرالات بأن الحرب ليست محاربه طلقات المدافع الرشاشة بصدور الرجال الشجعان » .

حروب الغواصات

أما بالنسبة لاستراتيجة الحلفاء فى البحر ، فقد تولت البحرية البريطانية الدور الرئيسى ، بينما لعب الفرنسيون دوراً مفيداً فى البحر المتوسط ، كما عملت الأساطيل الروسية فى البلطيق والبحر الأسود .

وكانت سياسة بريطانيا البحرية عادة تأمين خطوط المواصلات البحرية والتى تعتمد هى وحلفائها عليها فى البقاء مع تدمير خطوط مواصلات العدو .

وفى عام ١٩١٤ كانت قوة البحرية البريطانية ٣٠ بارجة حربية و٧ طرادات ثقيلة ضد ١٣ بارجة و٣ طراد ثقيل لدى الألمان ويرجع الفضل فى ذلك لبرنامج « فيشر » من قبل الحرب والخاص « بالدريدنوت[1] . وبدأ البريطانيون فى كنس البحار من العدو .

وفى ١ نوفمبر تقابل سرب ألمانى بقيادة الأدميرال « فون سبى » مع قوة بريطانية ضعيفة بقيادة « كرادوك » خارج « كورونل » واغرق الألمان طرادين بريطانيين .

وفى ديسمبر تقابل « فون سبى » مصادفة مرة ثانية مع البريطانيين عند جزر « فوكلاند » وتم غرق أربع من كل خمس سفن ألمانية .

ومن ذلك الوقت قررت القيادة العليا الألمانية بعدم المخاطر بأسطول أعالى البحار ضد البحرية البريطانية مع إبقائها بدلا من ذلك مستعداً للعمليات فى البلطيق ، ليصبح عنصر التهديد دائم ، ويصلح ليكون عنصرا للمساومة فى أى مفاوضات للهدنة التالية . وهكذا

(١) البوارج الثقيلة

ترك الألمان البريطانيين أحراراً لتنفيذ سياستهم التقليدية لحصار أسطول العدو فى موانيه وتدميره إذا جرؤ على الخروج .

وعلى كل حال لم تكن طريقة الحصار هى نفس طريقة الحصار أيام الشراع بأن يبقى الأسطول المحاصر خارج موانى العدو ، لأن هذا العمل يكون خطيراً جداً لوجود الغواصات والألغام .

وبدلا من ذلك أقام البريطانيون حصاراً غير مرئى، وذلك بتمركز عمليات الأسطول الكبرى على قاعدة « سكابا فلو » فى « الأركنيس » المواجهة للبلطيق . وأصبح النشاط الرئيسى للسفن البريطانية هو إعتقال السفن التجارية الألمانية وتفتيش السفن المحايدة ومهاجمة الغواصات الألمانية .

وتمت عمليات مختلفة فى بحر الشمال بين الطرادات الثقيلة ، ولكن لم يحدث غير مواجهة واحدة فقط للأسطولين على مستوى كبير وذلك خارج « جوتلاند » فى عام ١٩١٦ . فقد غامر الأدميرال الألمانى « سيشر » بالخروج ولكن لم ينوى الاشتباك فى معركة كاملة ، بينما كان الأدميرال البريطانى « جليكو » يدرك خطر الطوربيدات الألمانية ، وأن البريطانيين إذا أنتصروا فلن يكسبوا كثيراً أما إذا هزموا فسيخسروا كل شىء . وعلى ذلك إشتبك الأسطولان إشتباكا خفيفاً خلال ٣١ مايو — ١ يونية ، ثم قاما بالابتعاد .

وبعد هذه المعركة بقى الأسطول الألمانى بالكامل تقريباً بدون عمل حتى أن البحارة تمردت من مجرد الضجر فى عام ١٩١٨ .

وقد قبلت ألمانيا بدون تحدى تقريباً سيادة بريطانيا على سطح البحار ، ولكن الأمر مختلفاً تحت سطح البحار . فقد رد الألمان على الحصار البريطانى بحرب الغواصات .

وقد أدى البحث والتجربة إلى تطوير حديث للغواصة حتى أصبحت سلاحا ذا تأثير فعال . وتكمن قوتها الضاربة فى الطوربيدات التى تطلق بواسطة الهواء المضغوط من أنابيب فى مقدمة الغواصة . وكان يوجد بأكثر الغواصات أربعة أنابيب تحمل كل منها طوربيدين وبذلك يمكن إطلاق ٥٠٠ رطل من مادة ت . ن . ت بسرعة ٣٦ ميل فى الساعة ولمسافة ٧٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ياردة .

ويمكن للغواصة أثناء سيرها على عمق ٢٥٠ قدما مراقبة كل ما هو على السطح خلال البيرسكوب .

وفى عام ١٩١٤ كان لدى بريطانيا فى الواقع عـــدداً من الغواصات أكثر من ألمانيا[1] .

ولكن فى نهاية ١٩١٤ أدخل الألمان أنفسهم فى برنامج كبير لحرب الغواصات ، فبنوا بسرعة عدداً كبيراً من القوارب «ى[1]» وكان حجمها أكبر وقوة ضاربة وحمولة أكثر ممـا سبق ، فى نفس الوقت بنى أنواع أخرى مثل « ى ١٠٠٠ » وكانت عبارة عن غواصات صغيرة إستخدمت لحمايه الموانى ورص الألغام .

وفى أوائل عام ١٩١٥ إفتتح الألمان حملةالغواصات ، وكانوا يأملون فى ضرب الأسطول الـكبير ، ولـكن بالرغم من الأخطار والمحاولات ، لم تنجح الغواصات مطلقاً فى إختراق القاعدة البريطانية فى « سكابافلو » ، إلا أن تأثير الغواصات أصبح شديداً جداً فى هجومها على السفن التجارية .

وكانت السياسه الألمانية فى عام١٩١٥ هى «حرب الغواصات بدون قيود» أى الضرب فوراً بمجرد رؤية السفن التجارية المعاديه والمحايدة وبدون إنذار ، وطبعاً هذا ضـد القانون الدولى ، وقـد عارضت أمريكا المحايدة فى ذلك بشدة حتى حدد الألمان حملات غواصاتهم . وبالرغم من ذلك إستمر إغراق كميات ضخمة من سفن الحلفاء فى بحر الشمال وفى المداخل الغربية بين إرلندا ويشانت وفى البحر المتوسط .

وعلى ربيع ١٩١٧ بدا وكأن عمليات الغواصات ستكسب الحرب لألمانيا ، ففى إبريل فقط دمر أكثر من مليون طن من سفن الحلفاء والمحايدين .

وأدى هذا أن كل أربعة سفن تبحر من الموانى البريطانية تغرق واحدة منها ، ولذا رفضت بحارة السفن الأجنبية الإبحار إلى إنجلترا .

وفى ذلك الوقت قرر الألمـان عودة حرب الغواصات الغير مقيدة على أمل إنهاء الأمور تماماً .

وقد أخذ إكتشاف أفضل الوسائل المضادة للغواصات وقتاً طويلا وعلى كل فقد رصت الألغام بغزارة ، وكانت السفن تبحر فى خطوط متعرجة مع إلقاء عبوات الأعماق .

(١) كان لدى بريطانياً ٣٦ غواصة أما ألمانيا فكان لديها ٥٨

(٢) كانت الغواصات تسمى بقوارب « ى »

وقرب نهاية الحرب أخترع « الأزتيك » ، وهو جهاز يمكن كشف الغواصات القريبة بإرسال موجة صوتية حاملة .

وفى الحقيقة لم تؤثر هذه الوسائل فى الغواصات . وأخيراً فى اللحظة النهائية الحرجة فقط إكتشف « لويد جورج » الإجابة .. وكانت الإجابة القوافل . فقد أمر « لويدجورج » بالرغم من عدم موافقة الأدميرالية والتى لم تقدم أى حل ، بإنشاء نظام القوافل وذلك فى نهاية إبريل عام ١٩١٧ ، فبالرغم من إزدياد عدد الغواصات العاملة إلى ١٤٠ غواصة فى شهر أكتوبر ، فإن معدل الخسائر فى سفن الحلفاء قد هبط كثيراً فى ذلك الوقت ، كما زاد معدل تدمير غواصات العدو . فكان من الصعب على الغوصات مهاجمة القوافل لأن قطيع السفن التجارية كان يصحبه سفن من البحرية لديها كل وسائل الدفاع المتوفرة ، وقد أعطى نجاح نظام القوافل ضد الغواصات شعاعا من الضوء للحلفاء فى نهاية عام ١٩١٧ بينما أعطى قرار الولايات المتحدة الأمريكية دخول الحرب[1] إلى جانب الحلفاء فى إبريل أملا كبيراً للحلفاء فى النصر وقد ساهمت القوى البحرية البريطانية مساهمة فعالة فى مجهود الحلفاء الحربى ، فسيطرتها على البحار مكن نقل القوات إلى المسارح المختلفة مع ضمان تدفق الأمدادات باستمرار .

وعلى كل حال فقد لعبت القوى البحرية البريطانية دوراً آخر لبريطانيا ألا وهو العمل كبنك قوى للحلفاء ، علاوة على أن الحصار البريطانى أضعف فى نهاية الأمر قوى الوسط بدرجة خطيرة ، بالرغم من إمتلاك قوى الوسط لموارد محلية هائلة من الطعام والمواد . فى نفس الوقت أدت حرب الغواصات ولأكثر من سنتين إلى تهديد خطير للحلفاء ، وفى نهاية سددوا ضربة مميتة لهم علاوة على الضربة القاتلة الاخرى بدخول الامريكان الحرب إلى جانب الحلفاء .

التخبط الروسى (أنظر اللوحة رقم ٤٧)

لقد لعبت القوة الجوية دورا صغيراً خلال حرب ١٤ ـ ١٩١٨ ، وأستخدمت الطائرات لمعاونة عمليات الجيش والبحرية . وكانت الطائرة مفيده جداً فى الاستطلاع ومهاجمة

---

(١) لقد أثار أمريكا حرب الغواصات الألمانية الغير مقيدة « المعرب »

الأمداد ، وعلى كل وحتى السنه الأخيرة من الحرب لم تشترك الطائرات فى تكتيكات الحروب البرية إلا قليلا . وكانت هناك أعمال بطولية قام بها بعض الطيارين الأبطال المسمون « بالاس »[١] ولكنهم فى الواقع لم يؤثروا تأثيراً كبيرا . أما قصف الطائرات فلم يكن له أى تأثير مادى حقيقى بالرغم مما سببته غارات زيبلن من ذعر كبير على المدن البريطانية . وعلى كل حال فعلى عام ١٩١٨ تطور سلاح الطيران الملكى وأصبح قوة كبيرة .

وسوف تصبح القوة الجوية سلاحا جباراً خلال حرب ١٩٤٥/٣٩ ، كما سنرى فى الجزء القادم . وكانت الجبهة الشرقية منطقة حسم للحرب لمن ينتصر فيها .

وقد أستخدمت فيها نفس تكتيكات الجبهة الغربية ولكن حدثت تحركات أكثر فى تلك الجبهة ، فنجد أن الجبهة تحركت للأمام وللخلف لمسافة ٥٠ ميلا وفى بعض المرات أكثر من ذلك .

كانت المواقع الدفاعية فى تلك المساحات الواسعة غير عميقة ، وفى نفس الوقت أفتقرت القوات النمساوية والروسيه إلى المعدات والتدريب . وأدى هذا أن أستطاع المهاجمين كثيراً دفع المدافعين للخلف لمسافات طويلة .

وكانت القيادة فى هذا المسرح تختلف عن مثيلتها فى الغرب أى من الجهل المطبق إلى العبقرية النادرة ، فى نفس الوقت كانت الحرب على الجبهة الروسية أكثر فظاعة من الحرب فى الغرب ، ويقال أن روسيا خسرت وحدها مليونين من الرجال فى عام ١٩١٥ ومليون آخر فى عام ١٩١٦ . وبدلا من أن يستغل الألمان النصر عند « تانبزج » بالتقدم إلى داخل بولندا ، توجهوا لنجدة النمساويين فى غاليسيا .

وهناك عاود الروس الهجوم فى ربيع ١٩١٥ ، فحول « فلاكنهاين » أعداد كبيرة من القوات الألمانية إتجاه الشرق[٢] بواسطة السكة الحديد لتوجيه هجوما كبيراً ضد الروس .

وفى عام ١٩١٥ نجحت الحملة الألمانية ضد هذا العدو الخاص . . وفى مايو قامت قوات

(١) وهو الطيار الذى يسقط خمس طائرات معادية على الأقل .

(٢) لم يرتدع فلاكنهاين بهجوم جوفر فى الغرب .

ألمانية ونمساوية مشتركة تحت قيادة « ما كنسين » بالهجوم على جبهة الروس[١] بمواجهة ٢٨ ميلا عند « جورليس »،وهذه هي المرة الوحيدة فى الحرب التى تحطمت فيها جبهة وأخترقت بعرض وعمق كبيرين لدرجة أن المدافعين لم يستطيعوا سد الثغرة .

وطرد الروس إلى خارج غاليسيا وبعدها أجبروا على التخلى عن معظم بولندا ، وتبع هذا الإنسحاب ١٠ ملايين لاجىء مدنى .

وعلى كل حال لم تكن هذه هزيمة حاسمة لأن الروس كانوا ينسحبون إلى بلادهم حيث يوجد إحتياطى من البشر لاينتهى ، بينما أخذ يتحسن إنتاجهم للأسلحة .وفى سبتمبر أقيمت جبهة جديدة على مسافة ٣٠٠ ميل شرقى الجبهة القديمة .

وكانت تتميز بسهولة الدفاع عنها لقصرها وليس لها أجباب معرضة . وعرض الألمان إجراء تسويه سلمية ولكن القيصر « نيكولاس الثانى » والذى كان يقود شخصيا القوات الروسية ، رفض الموافقة على فكرة التضحية بالأراضى الروسية والتخلى عن حلفائه الغربيين .

وعلى كل حال فقد أثبت نيكولاس أنه قائد ضعيف جداً فى قيادة الجيوش الكبيرة لأن الملوك والأباطرة فى الأزمنة الحديثة غير مدربين على هذا العمل ، فالقوات الروسية تحت قيادته لم تعطى أى إستراتيجية مترابطة .

وكانت الروح المعنوية للقوات الروسية لازالت مرتفعة فى نفس الوقت تحسن موقف الأمداد . فبينما كانت القيادة الروسية تتخبط أكثر من ذى قبل ، فنجد مثلا فى مارس ١٩١٦ ألقيت حشود من الرجال ضد أقوى أجزاء الجبهة الألمانية فى الشمال مما أدى أن أصبحت الخسائر الروسية إلى الألمانية بنسبة ٥ : ١ . وبعد هذا الفشل بقليل طلبت إيطاليا من روسيا نجدتها بمهاجمة النمساويين ، وقد أستجاب لهذا الطلب « بروسلوف » قائد مجموعة الجيوش الروسية الجنوبية — الغربية .

وعلى كل حال كان الجنرال « الكيمى بروسلون » أحد القادة القلائل المستثنين ، وقد لمعت قدراته فى ظلام سوء الإدارة الحربية لمعظم حرب ١٤ — ١٩١٨ .

---

(١) لم يكن لدى الكثير من جنود الروس حتى البنادق «المعرب»

وكان يتمتع بسجل رائع للنجاح فى القيادة قبل عام ١٩١٦ . ففى الشهور الأولى للحرب تقدم بجيشه إلى داخل غاليسيا ، وأستولى على « لمبرج » بعد ٣٠ يوما من إعلان الحرب. وقد أحرق بعد ذلك سهل المجر مسببا ذعرا للعدو . وقد إضطر لإجراء إنسحاب عام عندما تدمر الجيش الموجود على يمينه ، وبالرغم من تعرض جانبه الأيمن لهجمات متفرقة من العدو ، علاوة على نقص الذخيرة لديه ، فقد أستطاع « بروسلوف » الإنسحاب بجيشه خلال أرض صعبه وفى نظام جيد ، وفى الواقع كان قادرا على هزيمة الألمان عند نهر « السان » .

وكان رجلا مرحا وعطوفا وهى صفات ساهمت كثيراً فى قدرته العسكرية . وبعد أن تولى القيادة فى عام ١٩١٦ ، كان أول عمل له قيامه بالتفتيش شخصيا على قواته فى الجبهة وبذلك عرف قواته وأصبح قادراً بالتالى على معرفة مايتوقع أن يأخذه منها .

وكان « بروسلوف » يقوم دائما بدراسة ماهرة للأرض ، ودراسة أسلوب قتال العدو ، علاوة على وجود هيئة قيادة لديه ذات كفاءة عالية . وفى الواقع كان « بروسلوف » جنديا على درجة عالية من الأحتراف . وكانت خطته القيام بالهجوم على نقط متعددة وفى وقت واحد ، مدركا قيمة المفاجأة التى ستتحقق من ذلك ، على أن يكون منها هجومين رئيسيين فى قطاعين فقط : على اليمين فى مواجهة « لوك » وفى اليسار فى وديان « الدنيستر » و « البروت » ، وقد ساعده على ذلك توفر تفوقا عدديا فى جبهته : — ٤٠ فرقه روسية كبيرة فى مواجهة ٣٨ فرقة نمساوية .

وتعتبر حملته ضد القوات النمساوية — المجرية مثلا ممتازاً للقيادة وإدارة الحرب . وهى تستحق دراسة أكثر مما خصصت لها فى هذا الفصل . وعموما فقد بدأت الحملة فى ٤ يونية ١٩١٦ . وقد تأرجح هجوم « بروسلوف » للأمام والخلف إلا أنه فى أكتوبر ١٩١٦ ذبل عند أعالى جبال « الكروبات » ، لأن التدعيمات الالمانية أدت إلى تقوية المقاومة فى نفس الوقت أصبحت المواصلات الروسية مجهدة حتى قاربت الوصول إلى نقطة التحطيم . وفى النهاية توقفت الجيوش الروسية بعد أسرها ٤٠٠٠٠٠ أسير و ٥٠٠ مدفع ، وبعد ذلك بدأ الانسحاب الروسى .

وقد عبر بروسلوف عن رأيه فى هذا الموضوع بقولة : « لو صمم « نيكولاس » على

قيام بهجوم رئيسى فى الشمال فى الوقت الذى أقوم به بهجومى لأدى هذا إلى هزيمة قوى وسط فى كل مكان على الجبهة الشرقية » وطبعاً هذا أمر بعيد الاحتمال ولكن إستياؤه مايبرره . وبعد مرور سنتين ، خدم بروسلوف مع سيد آخر هو « تروتسكى »

القطار المغلق المتجه الى روسيا (أنظر اللوحة رقم ٤٧)

لقد أنقذ المجهود الروسى [1] فى عام ١٩١٦ ، كل من فرنسا وبريطانيا ، لأنه أجبر الألمان لى إبقاء قوات كبيرة على الجبهة الشرقية ، ولكن هذا المجهود أيضاً كان سبب كارثة لامبراطورية النمساوية لأنه أدى إلى الأنهيار الكامل بين شعبها وأيضاً جيشها ولكنه فى س الوقت كان السبب فى إنهيار روسيا نفسها ، فقد أدى تجمع مليون أصابه حرب عام ١٩١٦ علاوة على إجهاد الإنتاج مع وجود تعفن فى الحكومة مع وجود نقص فى الطعام خلال الشتاء إلى التأثير على الشعب الروسى وحدوث إضطرابات فى المدن ، ونتج عن ذلك ن أجبر القيصر على التنازل فى مارس ١٩١٧ .

وأستغل « لاندورف » الفرصة ليضع « القطة بين الحمام » فسمح للينين بالسفر من سويسرا خلال ألمانيا فى قطار مغلق إلى روسيا .

فى ذلك الوقت لم تخرج روسيا تماما من الحرب ، ولكن كان النظام فى الجيش ينهار عندما دفع « كرنسكى » القوات الروسية مرة أخرى ضد الألمان فى يولية . وقد دمر هذا الهجوم الأخير الجيش الروسى وفتح الطريق للثورة البولشفية . وفى ٨ نوفمبر تعين الكونجرس السوفيتى مكان الحكومة فى « بتروجراد » حيث قرأ عليهم لينين « مرسوم السلام » . قد أمل البولشفيون فى السلام . . . « سلام عادل لكل الأمم بدون إستثناء » . ومن الطبيعى لم يكن الألمان فى موقف صعب مثل الروس ، ولذلك فالشروط التى أملوها عند برست — ليتوفسك » فى مارس ١٩١٨ ، أقتطعت من الإمبراطورية الروسية السابقة ربع سكانها ، وأراضيها الصالحة للزراعة ، وثلاثة أرباع مواردها من الفحم والحديد نصف مصانعها .

وقد سبق أن ذكرت فى خطوط عريضة الغرض الإستراتيجى العام من العمليات فى

(١) كان هذا المجهود الروسى نتيجة لتصميم القيصر فى البداية وبروسلوف فى النهاية « المعرب »

جنوب شرق أوروبا ، ولكن الحملة البريطانية فى عام ١٩١٥ تستحق أن نفحص بعض
تفاصيلها . وفى ديسمبر ١٩١٤ سأل الروس الحلفاء الغربيين معاونتهم للقيام بعمليات ض
الأتراك وقد أستقبلت الفكرة بحماس فى إنجلترا وخاصة من « كتشنر » و « فيشر
و « تشرشل » ، لأن الحلفاء ستحصل على فوائد إستراتيجية كثيرة بالسيطرة على جنو
شرق أوروبا ، كما أن فى هذه المرحلة كان مطلوب تحقيق أى نجاح ومن أى نوع وخاصة أن
إفترضوا أن تركيا أقل دول الوسط قوة ومناعة .

فى ذلك الوقت تحسن تدريب وتنظيم الجيش التركى بفضل البعثة العسكرية الألما
برئاسة « ليمان فون ساندرز » ، علاوة على تميز الجندى التركى بالشجاعة الملحوظة وذا
ضبط وربط عالى .

ولكن كان الجيش التركى يفتقر إلى المعدات فلم يتسلح بالبندقية الموزر الحديثة سوى القوا
الممتازة فقط ، والأكثر من ذلك الخسائر التى منوا بها فى قتال الشتاء ضد الروس
القوقاز والتى بلغت ٥٣٩٠٠ رجل من ٦٦٠٠٠ . وبالرغم من هذه الخسائر كانوا مضطر
لدفع قوات على الجبهة الروسية مع وضع حاميات فى الأمبراطورية العثمانية الممتدة ، وا
نجد فى بداية عام ١٩١٥ كان يحرس المداخل إلى القسطنطينية من خلال الدردنيل فرقتا
فقط وقليل من القلاع الخربة المتهدمة .

وفى يناير ١٩١٥ قرر مجلس الحرب البريطانى بعد بعض التردد ، أن الحملة ض
القسطنطينية يجب أن تكون بحرية خالصة . ولكن فى ١٩ فبراير عندما قصفت سف
البحرية البريطانية القلاع الخارجية للدردنيل تغيرت الخطة وصدرت الأوامر بتكو
جيش مصر تحت قيادة الجنرال « سيرايان هاملتون » للقيام بعملية برمائية تهدف إلى فت
ممر خلال الدردانيل ، على أن يكون جيش « هاملتون » مستعد لبدء العمليات فى ٨
مارس ، ولكن تأخر بسبب التحميل الخاطىء لسفن النقل حيث وضعت معدات حيوية معي
فى قاع عنابر التخزين .

وبالرغم من ذلك دخلت مرة ثانية السفن الحربية المضايق الضيقة ، ولكن عندما أغرق
الألغام ثلاث سفن قرر الأدميرال «دى روبيك» عدم المخاطرة وإنسحب بالتالى . وفى الحقي

، نفذت الذخيرة من الأتراك ، وبالتالى كان من الممكن للسرب الأبحار حتى القسطنطينية
ون مقاومة ، ولكن ضاعت الفرصة . وكانت نتيجة هاتين العمليتين البحريتين الغير
سقتين هو ضياع المفاجأة وإعطاء إنذار للأتراك ليقووا دفاعاتهم الحارسة للمضايق .

مصطفى كمال اتاتورك

وقامت البعثة الألمانية خلال مارس وأبريل بزيادة عدد القوات التركية الموجودة على
به جزيرة « غاليبولى » إلى ٦ فرق ، بينما بذل الأتراك مجهودا كبيراً فى حفر الخنادق
تجهيز الشاطىء للدفاع .

ورفع الحلفاء قواتهم إلى ٨٤ سفينة و ٥ فرق وعدد كبير من حيوانات النقل والمركبات.
فى الحقيقة كانت هناك فرقة عاملة واحدة فى هذه القوة بينما كانت باقى القوات عبارة عن قوات
ليمية أو من الدومنيون . وكلها تفتقر إلى التجربة والخبرة ، فى نفس الوقت لم تدرس
لم تتدرب مطلقا على عمليات النزول على الشاطىء المعادى تحت ضغط مقاومة . وغادر
« هاملتون » لندن بدون أركانات حرب وبدون الخرائط الملائمة بل وبدون معلومات عن
دفاعات التركية غير التى يعرفها فى عام ١٩٠٦ .

وعلى أى حال ففى ٢٥ إبريل تم الأنزال الأولى وفاجأ الأتراك ولكن سرعان ما هبطت
قوة الدافعة الأولى وتحولت العملية إلى إختناقات حرب الخنادق . وأستطاع مصطفى كمال
اتورك القائد التركى من صد الأستراليين والنيوزيلنديين شمال « جاباتيب » ومن يومها
ذاعت شهرته .

وتكرر إقتحام المواقع الدفاعية التركية بالمواجهة، ولكنها لم تنجح وكانت خسائرها باهظة
ثل مثيلتها فى الجبهة الغربية ، علاوة على أن الأحوال الطبيعية فى المسرح التركى كان أكثر
سوءا فلا يوجد للحلفاء منطقة خلفية آمنة ولا حماية من الشمس المحرقة .

إستمر الأتراك فى جلب التدعيمات والأمدادات حتى أصبح لديهم فى يوليه ١٥ فرقه ،
بينما كان لدى الحلفاء ١٢ فرقة . وفى ٦ أغسطس قام « هاملتون » بهجوم مزدوج ،الأول
ن خليج « الأتراك » إلى سلسلة « سارى بور » حيث تقدمت قوات ليلا بصعوبة خلال
رض جبلية ، وفى المرحلة الأخيرة أخطأتهم سفنهم وقصفتهم بالنيران ، أما الهجوم الثانى

فكان من خليج « سوفلا » تحت قيادة الجنرال « ستوبفورد »[1] حيث نزلت القوات
بدون أى خسائر تقريبا، حيث هنأهم ستوبفورد وأمر لهم بفترة راحة و. ولم يتوجه «ستوبفورد
إلى الشاطىء ولكنه بقى فى سفينته ليأخذ فترة راحة، ولكن «هاملتون » أيقظه من نو
معترضا بأدب على عمله هذا. عندما حاولت القوات البريطانية التقدم مرة ثانية كان الدف
التركى قد تنبة وأصبح قويا جداً.

وعزل « ستوبفورد » من قيادته، وأتذكر أننى رأيته فى لندن فى نفس الشهر وه
مرتدى ملابسه المدنية، فاستنتجت مايدور فى منطقة غاليبولى.

وظلت القوات البريطانية طوال الخريف فى منطقة غاليبولى وكانت تفتقر إلى العزم، وف
السياسيون فى إنجلترا أكثر من مرة فى إنسحاب هذه القوات، ولكنهم خشوا أن تفة
بريطانيا هيبتها بهذا العمل، مما أدى أن ظل الرجال فى غاليبولى يموتون. وبناء على طلد
جوفر ألقيت قوات بريطانية أكثر فى هجوم الخريف على الجبهة الغربية، وفى النهاية أجليد
الحملة فى تركيا عند نهاية السنة، ونفذت هذه العملية على أى حال جيداً.

وكانت النتيجة إفساد فكرة إستراتيجية رائعة تسبب فيها القادة الذين عملوا جميع الاخط
الممكن تصورها عند التنفيذ.

لورانس والعرب (أنظر اللوحة رقم ٤٨)

وفى عام ١٩١٥ فتح الحلفاء منطقة عمليات ثانية فى البلقان وذلك من « سالونيكا »
بينما كان الألمان يجهزون لتسديد ضربة إلى الصرب، وإمداد الأتراك بمعونة قوية، فى نفس
الوقت أنضم البلغاريون إلى صفوفهم.

وفى أكتوبر نزلت قوة الحلفاء فى «سالونيكا» لمعاونة الصرب ولكن البلغاريون دفعو
إلى الخلف. وقد بقيت هذه القوة فى « سالونيكا » حتى نهاية الحرب بالرغم من إقتناع بعض
القادة بأن ليس لها فائدة هناك. وعلى كل حال زيدت هذه القوة لتصل إلى حوالى

(١) كان من قبل قائد برج لندن ولم يقود قوات فى الحرب قبل ذلك
(٢) كان عددهم ٢٠٠٠٠٠ مقاتل .

٥٠٠٠٠٠ رجـل وكانوا لايخدمون أى هـدف مفيد ، وقد سماهم « كليمنصر » بـ « بستانية سالونيكا » .

وقد قاموا بحفر الخنادق ضد هجوم لم يـكن لدى الألمان والبلغار أى نية للقيام به . وأعتاد ممثلى الفـكاهة فى قاعات الرقص فى عام ١٩١٧ بلندن أن يغنوا : — « إذا كنت تريد أجازة فأذهب إلى سالونيكا » . بينما سمى الألمان « سالونيكا » بـ « أكبر معسكراتهم للأعتقال » .

وفى سبتمبر ١٩١٨ فقط قامت هذه القوة بهجوم جدى تحت قيادة الجنرال « فرانشيت دى أسبيرى » ، إلى داخل بلغاريا فشطر الجيش البلغارى إلى نصفين ، وعلى كل كانت الحرب فى مقدونيا خاطئة فى مفهومهـا . ودخلت دولة أخرى الحـرب فى جنوب شرق أوروبا وهى إبطاليا .

وقدر الحلفاء أن إيطاليا ستهاجم النمسا مستفيدة بالباب الخلفى ، ولـكن الإيطاليون أغتروا بقوتهم وأعتقدوا أنهم يجب أن يمثلوا دور القوة العظمى .

وعلى كل حال لم يستفد الحلفاء من الإيطاليين بل كانوا يمثلون عبئاً إقتصادياً كبيراً عليهم، فى وقت كان البريطانيون يمدون فرنسا أيضاً بالامدادات .

وتعاونت البحرية الأيطالية فى البحر المتوسط ، بينما كان الجيش الأيطالى يفتقر للمعدات بعد الحرب الليبية ١١ — ١٩١٢ . وفى الحقيقة كان الباب الخلفى للنمسا عبارة عن سد من الجبال تمسك به النمساويون بسهولة ضد الإيطاليين ، وفشل الإيطاليون فى دفع النمساويون من مواقعهم الجبلية فى معارك « أسونزو » المتـكررة .

وفى أكتوبر ١٩١٧ تدخل الألمان وقاموا بهجوم مضاد قوى عند « كابوريتو »، حيث دفع الإيطاليين للخلف لمسافة ٧٠ ميلا وخسروا أثناء ذلك ٢٠٠٠٠٠ مقاتل إيطالى ، بينما فر الـكثيرون قبل أن تستطيع القيادة الإيطالية أقامة مواجهة أقصر على نهر « البياف » . وتعتبر معركة « كابوريتو » من الفترات المريرة للحلفاء فى نهاية عام ١٩١٧ . وكانت الحرب بصفـة عامـة فى المسارح خارج أوروبا لهاقيمـة إستراتيجية قليـلة ، إلا أنهـا أنجبت بعـض القـادة الممتازين ، وخاصـــة القتـال الذى دار فى الشرق الأوسط ضد الأتراك .

فى عام ١٩١٦ توفر للبريطانيين فى مصر ٢٥٠٠٠٠ رجل تحت قيادة الجنرال «موراى»، وكان الغرض الرئيسى لهذه القوة هو إبعاد الأتراك عن قناة السويس .

وفى شتاء ١٩١٦ تقدم موارى إلى صحراء سيناء ليستطيع الدفاع عن قناة السويس . وتم وضع الخطط أثنـاء ذلك مع حسين شريف مكة للقيام بثورة عربية فى الحجاز مما سيؤدى إلى جذب إنتباه الأتراك بعيداً عن القوة البريطانية ، وفى يونيه ١٩١٦ نشبت الثورة العربية فى مـكة .

وإندفعت الأتراك بأسلحتهم المتفوقة جنوباً من المدينة إلى مـكة حيث تفرقت القوات العربية ، وقد أدت الفظائع التى قام بها الأتراك إلى إنتشار الثورة .

وفى أواخر عام ١٩١٦ أيدت بريطانيا العرب وأرسلت لهم النقيب ت . لورانس الذى يبلغ من العمر ٢٩ عاماً . وكان يعلم لورانس الـكثير عن العرب من دراساته ورحلاته السابقة إلى هناك . وجد لورانس أن القوات العربية مسلحة تسليحا بدائياً وغير منظمة وتتميز بخفة الحركة ، فقرر إستخدامها كقوة مستقلة غير نظامية بدلا من مواجهة القوات التركية العاملة مباشرة . وكانت إستراتيجيته تتضمن القيام بغارات من نوع إضرب ثم إهرب ، ويتم ذلك على خطوط المواصلات التركية الطويلة وخاصة ضد سكة حديد الحجاز ، مع نشر الثورة شمالا حتى دمشق مستخدماً فى ذلك الوسائل الدعائية . وفى يناير ١٩١٧ نجحت عمليته الأولى مع فيصل (ابن حسين) نجاحاً مدهشاً .

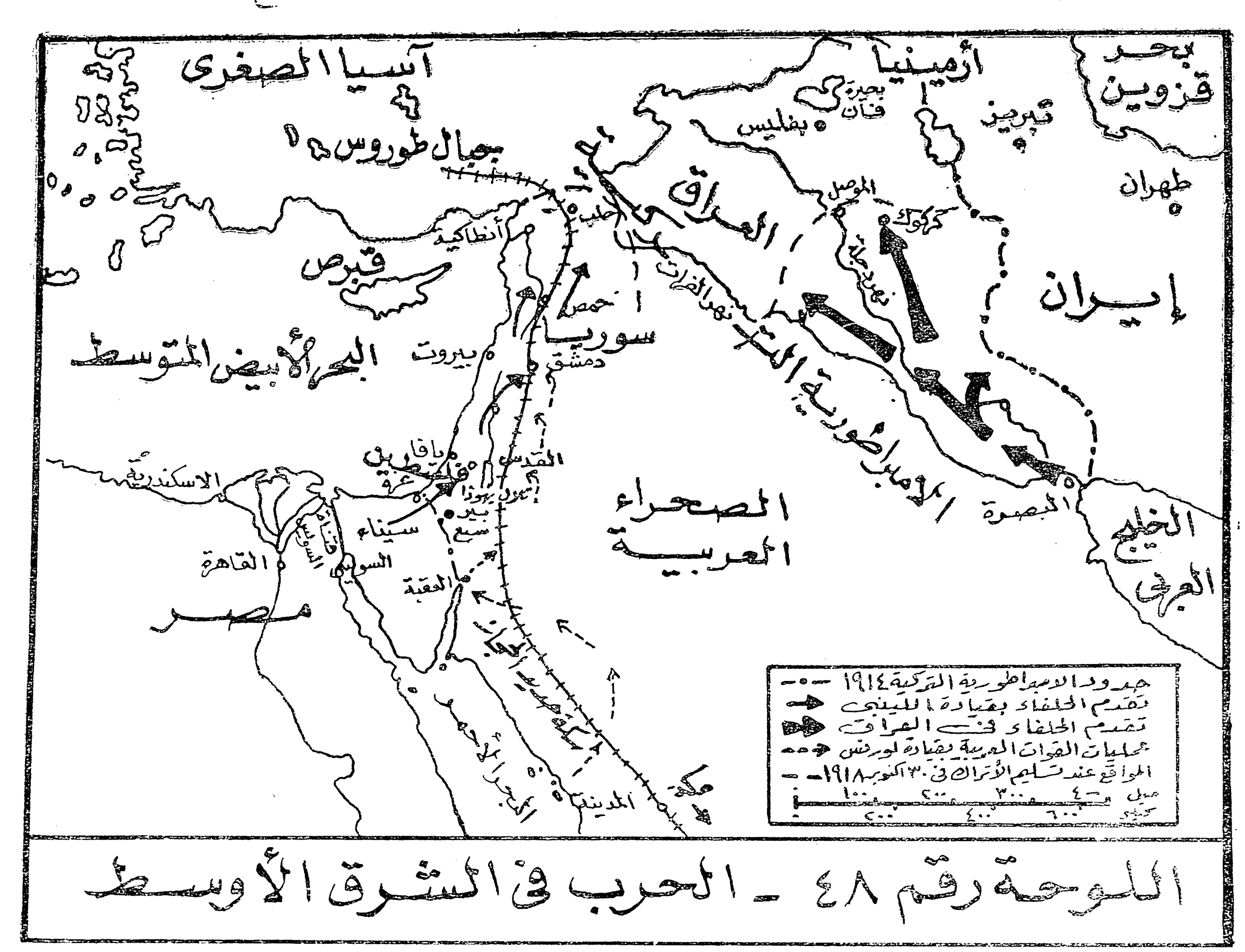
وقد قام لورانس بالألتفاف ٢٥٠ ميل حول جانب القوة التركية المتقدمة إتجاه مكة مهدداً بذلك أى تحرك فى إتجاه العقبة مستخدماً طريقاً ملتوياً حتى يتجنب الأتراك وفى نفس الوقت إنضم إليه بعض رجال القبائل .

وفى يوليه ١٩١٧ أستطاع لورانس الأستيلاء على العقبة لأنها لم تـكن محصنة ضد الهجوم البرى . فى ذلك الوقت أستطاع الأتراك صد القوات البريطانية مرتـين عند غزة . وعاد « موراى » إلى إنجلترا ، ورأى القائد البريطانى الجديد الجنرال «اللنبى» بأن العرب يمـكنهم أن يلعبوا دوراً هاماً فى هجوم آخر على غزة ، وأخذ يجهزله . وعلى الفور أرسل إلى قاعدة العرب الجديدة فى العقبة الأسلحة والذخيرة والطائرات . وبعد ذلك إندفع لورانس والعرب

نحو الشمال وأغار على سكة حديد الحجاز وهدد مؤخرة الأتراك ، وبذلك نجح فى جذب قوات تركية كثيرة من جبهة غزة مع حماية جانب « اللنبى » — وقد أصبح لورانس بطلا بين العرب لمهارته وقوة تحمله ، وقد أكسبه ذلك مكاناً بين القادة العظام لحرب العصابات ، وكثيراً ما تمنيت لو قابلته .

اللنبى وحرب فلسطين (أنظر اللوحة رقم ٤٨)

عندما تولى الجنرال اللنبى القيادة فى يونيه ١٩١٧ ، قام بالتخطيط للتقدم شمالا إلى داخل فلسطين . وكانت قواته التى تقف أمام خط غزة — بير سبع عبارة عن خليط من القوات البريطانية والإسترالية والنيوزيلندية والهندية والفرنسيه ، وقد ثبطت هممهم بسبب شدة الحر والغبار وطول التوقف ، وعلى الفور توجه اللنبى بنفسه إلى الجبهة لرفع معنويات قواته ، حيث أعاد تنظيم قواته إلى ثلاث فيالق : — الفيلق ٢٠ تحت قيادة « شيتوود » والفيلق ٢١ تحت قيادة « بولفن » وفيلق الصحراء الراكب تحت قيادة « شوفال » . أما الموقع الدفاعى التركى



اللوحة رقم ٤٨ - الحرب فى الشرق الأوسط

فكان محصناً بقوة بالخنادق والأسلاك الشائكة والمدافع الرشاشة ، وقد تولى قيادة الأتراك الجنرال الألمانى « كرسنستين » .

وكانت خطة اللنبي تتضمن إختراق خط غزة بإستخدام المفاجأة والخداع ،وذلك بتوجيه ضربات متعاقبة على كلا نهايتي الخط حتى لا يعرف الأتراك إتجاه الضربة الرئيسية . فى نفس الوقت يقوم بهجوم مخادع آخر عند غزة فيعتقد الأتراك أنه الضربة الرئيسية ، وفى الواقع كان الإختراق الرئيسى سيكون عند بير سبع حيث توجد آبار المياه الضرورية لأى تقدم تالى للقدس .

وتم الأعداد للهجوم بدقة ، وسمح اللنبي بسقوط أوراق مزيفة فى أيدى الأتراك لتضليلهم عن النوايا البريطانية الحقيقية فى نفس الوقت دعمها بالتحركات الخداعية الكبيرة للقوات والأمدادات عند غزة ، وإنخدع الأتراك . فى ذلك الوقت تم إعداد الجيش تماماً وجمعت آلاف الجمال لحمل المياة .

وفى الأسبوع الأخير من أكتوبر أفتتح الهجوم بتمهيد كثيف للمدفعية عند غزة من البحر والبر مما أدى إلى تثبيت القوات التركية المحتشدة عند نهاية الخط الدفاعى هناك تحت عاصفة من النيران التى هبطت عليهم ، بينما تحرك الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء الراكب ليلا إلى بير سبع . وعند طلوع النهار قامت المشاة بهجوم مفاجىء على المدينة بينما إندفعت الفرسان على الأجناب ، وتم الأستيلاء على آبار المياة الثمينة هناك ، وأصبح الأتراك فى تخبط تام ، بينما سقطت غزه فى اليومين التاليين . وبعد تحطيم الخط التركى إندفع على الفور الفيلق الراكب بعد بير سبع إتجاه بيت المقدس ، بينما دفع الفيلق ٢١ الأتراك للخلف على الساحل وبدون هوادة . وفى الأسبوع الثانى من نوفمبر تم التقدم لمسافة ٤٠ ميلا . وقد إستمر ضغط الهجوم البريطانى بالرغم من الأجهاد والخسائر حتى لا يتوفر للأتراك على الإطلاق الوقت لأقامة مواقع دفاعية جديدة .

وفى ١٦ نوفمبر أستولى البريطانيون على يافا ، وبعدها جمع اللنبي جميع قواته فى أسفل تلال يهوذا ، ولكن الطقس الردىء وعدم الرغبة فى إحداث أضرار ببيت المقدس جعل إقتحامها أمراً صعباً .

وفى النهاية إستطاعت حركة التطويق إلى تحطيم الدفاعات التركية والإستيلاء على المدينة فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ بعد أن حكمها الأتراك أربعة قرون . ولكن الهجوم البريطانى أوقف بعد بيت المقدس بعشرة أميال بسبب الأمطار الغزيرة . وقدتأخر اللنبى كثيراً فى التقدم نحو سوريا نتيجة لسحب بعض قواته إلى الجبهة الغربية بينما إحتاجت القوات الجديدة التى إنضمت على جيشة إلى تدريب طويل . وكانت خطة اللنبى لتحطيم الجبهة التركيةالجديدة تشبهالخطة السابقة ولكن بالعكس ، وذلك بالقيام بهجوم خداعى عند اليسار التركى فى التلال ،والقيام بالأختراق على طول الساحل .

وفى ١٩ ديسمبر ١٩١٨ بدأت العمليات ، وأستطاع اللنبى القضاء على الخط التركى إلى الخلف ، بينما حاصر جيشين تركيين آخرين ودمرهما فى مكانهما .

وتعتبر عملية الفرسان هنا من أفضل عمليات الفرسان فى التاريخ والتى كانت فى الواقع آخر عملية للفرسان فى الحرب .وقد أسرع كل من اللنبى ولورانس نحودمشق ولكن لورانس وصلها أولا فى أكتوبر . ولم يتبق سوى شرذمة من القوات التركية والتى طوردت بعد دمشق . وفى ٣٠ أكتوبر وقعت تركيا على طلب الهدنة للتسليم .

الالمان يحاصرون باريس (أنظر اللوحة رقم ٤٥)

يجب أن أذكر هنا قائداً ممتازاً كان يعمل خارج مسرح الحرب الأوروبى وهو العقيد « فون ليتوفو ربيك » ، وكان يدير العمليات الألمانية فى شرق أفريقيا لمدة أربعة سنوات مسبباً إزعاجاً خيالياً للحلفاء بالرغم من صغر حجم قواته . وكان « ليتوفوربيك» ملماً بطبيعة الحرب فى الطقس القارى وفى المساحات الواسعة فى شرق أفريقيا والتى لايوجد بها طرق ولاسكك حديدية ولذا تحدى كل المحاولات التى بذلت لوضع نهاية لأعماله ، وعلى كل حال لم يستسلم إلا بعد الهدنة فى نوفمبر ١٩١٨ .

وفى عام ١٩١٦ أدار الجنرال سمطس عمليه مشتركة على مستوى كبير ضد ليتوفوربيك ولكنه أخذيراوغ أعدائه ، بالرغم من أنه لم يكن تحت قيادته سوى ٣٥٠٠ أوروبى و١٢٠٠٠ وطنى . وكان يعلم أنه لن يستطيع هزيمة القوات البريطانية المتفوقة فى أفريقيا ، ولكنه فى الواقع حقق أكثر من الهزيمة بأن جلب ١٣٠٫٠٠٠ من جنود الحلفاء من مسارح أخرى

محتاجين اليهم فيها ، فى نفس الوقت كاف بريطانيا ٧٢ مليون جنيه . ويستحق ليتوفوربيك أن يطلق عليه « أستاذ الحرب الغير نظامية » وذلك لصفاته الشخصية ومهارته العسكرية وحضور ذهنه وعزيمته وقيادته .

فى ذلك الوقت كان فى الواقع مدرسة الإستراتيجيين الأكثر تشاؤما هى الصائبة ، لأنه مهماحدث فى أى مسرح ، فالقرار النهائى للوصول إلى نهاية الحرب يجب أن يكون فى الجبهة الغربية تماماً كما قال « الغربيون » .

فنجد فى عام ١٩١٨ قرر « لدندروف » أن تخوض ألمانيا بكامل قوتها المعركة فى الغرب من أجل النصر ، لأن روسيا أصبحت خارج الحرب ولا يوجد أى خطر من إيطاليا ، وبالتالى تستطيع ألمانيا أخيراً حشد كل قواتها على جبهة واحدة .

وقد كان من المهم الضرب بسرعة لأن النمسا بدأت تتداعى بينما بدأت القوات الأمريكية تتدفق على أوروبا . وكانت ألمانيا تستطيع إيجاد إمداد معقول من الطعام من المناطق المستولى عليها حديثاً فى الجبهة الشرقية ولكن سيادة بريطانيا على البحار سببت نقصاً خطيراً فى المواد الصناعية لألمانيا . كان لدندروف يكره فكرة السلام المبنى على التسوية ، ولذلك قام فيما بين ٢١ مارس و١٥ يوليه ١٩١٨ بهجوم ألمانى رئيسى على عدة مراحل فى الجبهة الغربية . وقد تورطت أنا نفسى فى الهجمات الثلاثة الأولى « ٢١ مارس على السوم » و « ٩ إبريل على ليس » و « ٢٧ مايو على شمن دى دامس » وعند « سواسون » .

ولم يحصل الألمان على أى مميزات خاصة من هذا الهجوم ، لأن القوات المتضادة كانت تقريباً متساوية حتى بعد تحريكهم لـ ٥٢ فرقة من الجبهة الشرقية ، فى نفس الوقت لم يكن لديهم أى سلاح جديد فى حين أن رئاسة الأركان الألمانية لم تقدر قيمة الدبابات فى القتال . وعلى كل حال نوى لدندورف الآن الاعتماد على الخداع والمفاجأة ، والتى قد نسيت فعلا فى تكتيكات حرب الخنادق ، فقرر أن يضلل الحلفاء بقدر الامكان بالتحركات للقطارات المحملة بالجنود خلف الجبهة ، على أن تتخذ القوات المهاجمة مواقع تشكيل قتالها ليلا ، مع منع القصف الأولى الثقيل للمدفعية ، فى نفس الوقت تقوم المشاة بجس خط العدو لايجاد أضعف نقط فيه بدلا من مجرد رمى أنفسهم بحشد ضد الجبهة .

وكانت إستراتيجية لدندورف تتضمن القيام بهجوم مخادع ببعض القوات في الجنوب في منطقة السوم حيث تتصل الخطوط البريطانية بالفرنسية، على أن يكون الاختراق الرئيسي في جنوب « أيبر » مباشرة، وذلك لطي مواجهة الحلفاء من الشمال .

وبهذا البرنامج الاستراتيجي الطموح حصل الألمان على درجة كبيرة من النجاح . وفي ٢١ مارس أفتتحوا الهجوم ضد البريطانيين عند السوم مستخدمين تكتيكاتهم الجديدة، وساعدهم الضباب الكثيف، وتداعى الدفاع البريطاني ودفع للخلف أمام الهجوم الألماني . قام بيتان بعمل الاستعدادات لستر باريس، بينما أهتم هيج بموانى المانش .

وقد إنتاب الذعر جبهة الحلفاء خوفا من فتح ثغرة بواسطة العدو على مواجهة الفرنسيين أو البريطانيين علاوة على سماعهم في نفس الوقت نبأ تعيين المارشال « فرديناند فوش » قائداً عاما لقوات الحلفاء في فرنسا في ١٤ إبريل .

أما « فوش » نفسه فلم يكن لديه السلطة لإصـــدار الأوامر لقادة القوات المقاتلة « هيج وبيتان وبيرشنج »[١]، وقد أستمروا في القتال حتى النهاية بدون تنسيق كامل بينهم، بينما سيطر فوش على الأحتياطيات .

أما التقدم الالماني على السوم فقد نقص قوته الدافعة نتيجة لأحضار المدافعين للاحتياطيات بالسكة الحديد، وكان هذا أسرع من القوات المهاجمة إذا شقت طريقها قتالا وهي مترجلة . وفي ٢٨ مارس حطم لدندورف المبدأ الخاص بعدم مهاجمة العدو في المناطق القوية، وأمر بأستمرار الهجوم شمالا إتجاه « أراس » ولكنه قوبل بمقاومة قوية وتكبد خسائر فادحة . أما الضربة الألمانية التي كانت ستوجه في الشمال على نهر « الليس » فلم تتم حتى ٩ أبريل، وفي ذلك الوقت لم تتوفر له سوى ١١ فرقة لتشترك في القتال بدلا من ٣٥ فرقة، وعلى كل حال إخترق الهجوم الجبهة عند « هازبورك » وكان يدافع عنها فرقة برتغالية، وألقى «لدندورف» بكل الاحتياطيات التي أمكن تواجدها، وعلى ذلك تخلى « هيج » عن « باشيندال » وأنسحب للخلف إلى الموانى طالبا إحتياطيات من فوش والذى أرسل له ٤ فرق وبذلك تماسك المدفعون بشدة .

وحتى ذلك الوقت لم يكتشف الألمان السر الخاص بكيفية تدعيم النجاح الأولى

---

(١) بيرشنج قائد القوات الأمريكية .

للهجوم . . . وهو السر الذى راوغ أيضاً الحلفاء . والآن جرب الحلفاء بعض الوسائل الجديدة . ، وهى قصف قوات العدو بالدعاية لأغرائهم بالهروب من الخدمة ، وتشجيعهم على الإنفصال كدولة مستقلة من الأمبراطورية النمساوية وذلك بالتشكيك . فى ذلك الوقت كان لدندورف يطور أيضاً خططا جديدة ، ففى مايو قام بأستعدادات تم أخفاؤها جيداً لهجوم تحويلى آخر ضد الفرنسيين فى الجنوب . وفى ٢٧ مايو فوجىء الحلفاء بهجوم ألمانى فى منطقة « الشيمن دى دامس » على « الأيسن » ، وفى ٣ يونية وصل الألمان إلى المارن حيث قصفوا باريس بمدفعيتهم البعيدة المدى . ولـكن وللمرة الثانية أغرى النجاح لدندورف على إهمال القاعدة الأساسية فى خطته وهى عدم الأستمرار فى مهاجمة أقوى نقطة . ومرة أخرى ألقى الحلفاء بـكل الاحتياطيات المتوفرة ، ومرة أخرى أوقف الحلفاء الألمان .

وقد أستخدم فوش الإحتياطيات بمهارة فائقة ، بحيث يضمن فى جميع الحالات توفر قوات كافية لأى إحتياجات فى أى مكان آخر . وتوترت الأعصاب بشدة فى باريس ولـكن فوش كان يعرف ماالذى يعمله وقد أيده فى ذلك رئيس وزارء فرنسا « كليمنصو . » . وفى يونيه رفض لدندورف مرة أخرى صلحا مشروطا . وفى ١٥ يوليو قام بهجوم على جانبى « ريمس » حيث أصبح الألمان أقرب إلى باريس عن أى وقت مضى .

ولـكن فوش كان يتنبأ ويتوقع الأحداث المستقبلة ، وأخيراً أستطاع إيقاف العدو ، وهـكذا أحبطت إستراتيجية لدندورف .

اليوم الاسود للجيش الالمانى (أنظر اللوحة رقم ٤٥)

ثم تحول المد . . وفى ١٨ يوليه قام الفرنسيون بهجوم بالدبابات على الألمان غرب ريمس مما أدى إلى ألغاء لدندورف ضربته المخطط لها فى الشمال وأمر قواته بالأنسحاب إلى خلف المارن . وفى ٢٤ يولية إتفق فوش مع قادة الحلفاء على خطط الهجوم . وتقرر إستخدام فـكرة جوفر القديمة والخاصة بقطع البروز الدفاعى الالمانى ، ولـكن هذه المرة بتـكتيكات أفضل .وكانت الخطة أن يقوم البريطانيون بالهجوم من الشمال ، والأمريكيون من الجنوب ، بينما يتمسك الفرنسيون بالوسط . وفى ٨ أغسطس قام البريطانيون بالهجوم عند « أميئس » مستخدمين حشداً كبيراً من الدبابات ، وكان البريطانيون هم أول من أنتج الدبابة ، وأيضاً أول من إستخدمها فى الحرب .

وعندما بدأت حرب الخنادق تخيل العقيد « أرنست سوينتون » فكرة الدبابة التي ستوفر له حل مشكلة القضاء على الأسلاك الشائكة والخنادق المدافع عنها بنيران الأسلحة الصغيرة .

وأخيراً ظهرت الدبابة ماركة I والتي أشترك في تصميمها العقيد « سوينتون » ، وكانت هذه الدبابة هي النموذج الأولى للدبابات التي إستخدمت بعد ذلك في ميدان المعركة في عام ١٩١٦ .

وعلى كل حال لم يستطع أي شخص في القيادة العليا في هذه المرحلة أن يقدر إمكانيات وملاءمة والإحتمالات الهائلة لهذه الدبابة . وكان سوينتون ضابطا من سلاح المهندسين وتمنيت كثيراً لو قابلته لأنه ألف كتابين رائعين عن الحرب ولا زلت أقرأهما حتى اليوم وهما « المنحنى الأخضر » و « الدفاع عن نفق دوفر » . وقد أهتم تشرشل بأفكاره ، وكتب في نوفمبر ١٩١٥ مذكرة عن إستخدام الدبابات في المعركة قال فيها تشرشل : —

« يجب عدم إستخدام الدبابات إلا إذا كانت في حشد » . ولسوء الحظ لم تتبع هذه النصيحة وأستخدمت الدبابات عند السوم في عام ١٩١٦ إستخدما سيئاً في مجموعات صغيرة وليست في حشد . وتم إستخدام الدبابات بطريقة مناسبة في نوفمبر ١٩١٧ فقط عند « كامبرى » كما سبق أن قلنا .

وبعد نوفمبر ١٩١٧ أدرك أخيراً عدد من الضباط الكبار أن مشكلة الجمود في حرب الخنادق يمكن حلها أخيراً . وخرج قائد الفيلق الاسترالي[1] بهذه النظرية : — « ليس واجب المشاة في الواقع أن تستهلك نفسها في مجهود بطولي شاق ، وليس أيضاً الذبول والذوبان تحت نيران المدافع الرشاشة التي لا ترحم .

وليس أيضاً أن تتلقى بصدورها السنا كي المعادية ، ولكن واجبها هو التقدم تحت أقصى حماية ممكنة من أقصى تنظيم ممكن للموارد الميكانيكية مثل المدافع الرشاشة والمدفعية والدبابات والهاونات والطائرات » وبناء على هذه النظرية تقرر تأييد برنامج كبير لبناء الدبابات .

وفي الجزء الأول من عام ١٩١٨ إستخدمت الدبابات في عدد من العمليات الصغرى ،

---

(١) كان سيرجون موناش . « المعرب »

بينما إختبر « موناش » أفكاره فى عملية صغيرة عند « لى هامل » فى ٤ يوليه ، ولم يكن هناك قصف أولى بل تقدمت المشاة والدبابات فى تعاون وثيق . وقد إستخدمت أربعة دبابات لنقل الحمولات إلى الأمام كان سيحتاج لنقلها ١٢٥٠ رجل ، بينما إستخدمت الطائرات لأول مرة فى الجبهة الغربية فى نقل الامدادات لميدان المعركة . وقد أصر موناش على عدم تغيير أى جزء من خطته الكبرى للمعركة والتى أعدها بعناية مع قادته المرؤوسين وهيئة قيادته . ونجحت العملية عند « لى هامل » كما وضعت تماماً مما أدى إلى تطبيق نفس المبادىء عند التخطيط لمعركة « أميانس » فى ٨ أغسطس . وقد إسترشد فيها الجنرال «رالينسون» بنظرية الجنرال موناش عن الدبابات .

وقد توفر لدى « رالينسون » للمعركة القادمة القوات الآتية : — ١٣ فرقة مشاة و ٣ فرق فرسان و ٢٠٧٠ مدفع و ٨٠٠ طائرة و ٤٥٠ دبابة[1] ، مع تزويد القوات البريطانية بكافة إحتياجاتها من الأمداد . وعلى كل حال يرجع الفضل إلى لويد جورج لقيامه بتدعيم وتقوية الإنتاج فى بريطانيا عام ١٩١٨ .

وقد تم إتخاذ كافة الإجراءات لإخفاء فتح القوات للمعركة عن العدو مع التشويش على نوايا بريطانيا المستقبلة .

وقد ساعد الضباب فى صباح ٨ أغسطس على تحقيق المفاجأة ، فقد تم قصف قصير من المدفعية وبعدها تقدمت خطوط طويلة من الدبابات والمشاة للأمام .

وسارت الخطة كما رسمت تماماً ، ما عدا فى الشمال حيث تنبه الألمان للهجوم خلال الليل علاوة على وعورة الأرض فى هذا القطاع . وقد وصل الاستراليون فى المنتصف إلى أهدافهم الأولى فى الساعة السابعة صباحاً بينما وصلوا إلى هدفهم الثانى فى الساعة ½ ١٠ ، وعلى الساعة ١١ صباحاً وصل الكنديون على جانبهم .

وقد وصل ضجيج التحركات فى هذا الوقت أعلى بكثير من ضجيج النيران . وإنتهى القتال الرئيسى بعد حوالى ساعتين ، بعد أن أستولى الاستراليون تقريباً على كل أهدافهم بينما حقق الكنديون تقدما بلغ أكثر من ٧ أميال . وقد حققت هذه النتائج الباهرة إستخدام

---

(١) مشكلة من ٣٢٤ دبابة ثقيلة ماركة٥، ٩٦ دبابة خفيفة ماركة « ويبت » ، ١٢٠ دبابة إمداد « المعرب »

الدبابات التى مرت بسهولة خلال حواجز الأسلاك الشائكة والخنادق ونيران المدافع الرشاشة والبنادق ، وفى الواقع دمرت مدفعية العدو العديد من الدبابات ، ولكن الدبابات التى واصلت تقدمها سببت فوضى شديدة بين الألمان .وعلى كل حال لم تعطى معركة « أميانس » كل ما كان مرجو منها ، لأن عند التقدم تخلفت المشاة ولم تنجح محاولة التنسيق بين الدبابات والخيالة . وقد سمى لدندورف يوم ٨ أغسطس باليوم « الأسود للجيش الألمانى » فى تاريخ الحرب .

حاول الحلفاء التقدم بالهجوم إلى الأمام إلا أن المقاومة الألمانية تم تقويتها خلال شهر سبتمبر . ووصل البريطانيون إلى منطقة معركة الفلاندرز السابقة حيث أعجزهم مرة أخرى عدوهم القديم وهو الطين والوحل عن التقدم . وفى ٢٦ سبتمبر قام الأمريكيون بهجوم فى « أرجون » وتم بالأسلوب القديم لحرب الخنادق ، مما أدى أن تكبد الأمريكيون خسائر فادحة لتحقيق تقدم لمسافة ٨ أميال وذلك بعد أسبوع من القتال الشاق .

وأخيراً فى ٤ أكتوبر طلبت ألمانيا الهدنة ، إلا أن القتال ظل مستمراً خلال المفاوضات حتى تم طرد الالمان من غربى بلجيكا ومعظم فرنسا . وفى ١١ نوفمبر ١٩١٨ توقف القتال فى الجبهة الغربية ، ووصلت الحرب إلى نهايتها فى كل المسارح فى حوالى نفس الوقت ولكن لم يكن هناك إرتباط إستراتيجى فى ذلك . وعلى كل حال لم يؤثر إنهيار الأتراك والبلغار على الألمان والنمساويين أكثر من تثبيط همتهم قليلا . وفى الحقيقة كان النمساويون والإيطاليون قد أجهدوا تماما مثل الألمان أيضاً .

وكان يرجع سبب خسارة ألمانيا للحرب هو هجوم لدندورف فى عام ١٩١٨ أكثر من هجوم الحلفاء المضاد أو من الحصار .

وأخيراً وبعد طول التحمل تحطمت الروح المعنوية للجنود الألمان وذلك عندما تحطم هجومهم على المواقع الدفاعية والتى لم تكن لديهم أى وسيلة للتغلب عليها ، كما حدث لقوات الحلفاء خلال الاعوام السابقة . وفى الحقيقة كان يوم ٨ أغسطس يوما أسوداً لنفسية الالمان أيضاً . وعلى كل حال عندما طلب الالمان الهدنة كانت جبهتهم سليمة على الاسلوب القديم للحرب . ولم ينجح الحلفاء حتى فى تحطيم وهزيمة الجيوش الالمانية بالرغم من فقد الالمان أرضاً خلال الشهر الذى أعترفوا فيه بالهزيمة . وكان الناتج القدرى لتكنولوجيه ذلك الوقت هو الجمودو الذى كان بمثابة العامل الحاسم فى فن حرب ١٤ — ١٩١٨ .ولم يكن هناك خل

كاف لهذا الجمود ، بالرغم من إستخدام الدبابات لانها لم تحصل على نصر تكتيكى حاسم . وفى الواقع كان لا يمكن كسب حرب ١٤ — ١٩١٨ بل كان يمكن فقط خسارتها لعدم قدرة رجال كلا الطرفين على تحملها إلى النهاية .

وقد حارب رجال كلا الطرفين بمهارة وشجاعة ولكن فى النهاية تحطم الالمان .

انتهاء الحرب وحلول السلام

ولقد حاول القادة السيطرة على الحرب ولكنها تحدتهم جميعاً ، فليس معنى هذا أن القيادة كانت جميعها ضعيفه .

وعلى كل حال فقد أنجبت هذه الحرب بعض القادة العباقرة أمثال «فلا كنهين» و «لدندورف» و « مصطفى كمال » و « بلومر » و « موناش » و « اللنبى » و « بروسلوف » وكانوا جميعاً قادة مقاتلين ممتازين ، فى نفس الوقت لا ننسى « لورانس » و « ليتو » فقد كان لهم قدراتهم الخاصة . وإننى أعتبر سيرجون موناش أفضل الجنرالات على الجبهة الغربية الاوروبية ، لانه يمتلك أصالة خلاقة حقيقية ، وأعتقد أن الحرب كانت تنتهى مبكراً وبخسائر أقل إذا تعين موناش لقيادة القوات البريطانية بدلا من هيج الذى يفتقر إلى الخيال الواسع .

وتعليق على إستراتيجية الحلفاء أنهم ضيعوا قوات كبيرة جداً فى المسارح الرئيسية بدون براعة وبدون خيال واسع أو تفكير صائب . وقد أخلص الروس تماما لحلفائهم ، بينما أداروا معظم حربهم على الجبهة الشرقية فى عدم كفاءة بالغة .

أما بوفر فقد بدأ إستراتيجيته العقيمة فى الغرب ، بينما ألقى اللوم على فوش بسبب نظرياته التكتيكية وألقوا المسئولية عليه بالنسبة لمجازر هذه الحرب ، وبالرغم من أن توجيهه للأحتياطيات والهجوم المضاد فى عام ١٩١٨ قد أظهر أنه بدأ يرى الضوء ولكن متأخرا .

أما فى الجانب الألمانى فقد دفعا رئيسا الأركان « فلاكنهاين » و « لدندورف » قواتها على الجبهات المختلفة بمنتهى الحكمة لمقابلة متطلبات الموقف . وقد كان صائبين فى إتباع إستراتيجية دفاعية فى الجبهة الغربية معظم الحرب ، ولكن لدندورف فى النهاية رفض الصلح الذى يحقق حلا وسطا ، ثم قام فى عام ١٩١٨ بهجوم يماثل الهجوم الذى كاد يفقد الحلفاء الحرب فى الأعوام السابقة ، مما أدى أن فقدت ألمانيا الحرب أخيراً .

وقد قدمت قبل ذلك إحترامى للجندى البريطانى ، وأحب قبل أنهى قصة حرب ١٤ — ١٩١٨ أن أعبر عن إعجابى بالجندى الفرنسى .

وقد أظهرت دراستنا للحرب أن كل الجيوش لها فترات نجاح وأيضاً فترات يأس وثبوط الهمة ، فى نفس الوقت يصعب على قوات الدول الحصول على النصر لحكومة مذبذبة تنقصها الشجاعة وغير قادرة على الروح القتاليه لشعبها فى وقت الأخطار . أما إذا كانت الحكومه على عكس ذلك فالقيادة الممتازة يمكن الإستفادة منها فى ذلك الوقت ، لأن الأمم تحصل على النصر إذا كانت قواتها تقاد على كل المستويات بكفاءة ولديها التجهيزات الجيدة ويتمتع الجنود بالضبط والربط العالى واللياقة البدنية والتدريب والروح المعنوية العالية .

وهذه العوامل تمثلت تماما فى حالة فرنسا ، فقد رأينا الجنود الفرنسيين يقاتلون ببساله بالرغم من تكبدهم الخسائر الجسيمة من السرطان الأسبانى . . علاوة على الضربة الرهيبة لتقهقرهم من موسكو .وعلى كل حال كان « رجال الحرس القدامى » جنوداً رائعين كما كان أحفادهم الشبان أيضاً فى « الفردان » « وديان بيان فون » و « الجزائر » .

وقد حاربت أنا شخصيا جنبا إلى جنب مع الجيش الفرنسى ، ووجدت أن الجندى الفرنسى لو توفرت له قيادة شجاعة وخاصة على المستويات الصغرى[1] لا يبارية أحد فى القتال ، وإنى أحبيه .

وأخيراً إنتهى القتال ، ليس لحصول الجميع على السلام ولكن فقط لمجرد كسب الحرب. وقامت ألمانيا بمناورة أخيرة ضد فرنسا وإنجلترا بأنها أرسلت طلب الهدنه إلى الرئيس ويلسون رئيس الولايات المتحدة ، لأنها تعلم أن ويلسون يتخيل نفسه منذ مدة طويلة كوسيط للعالم . وفى يناير ١٩١٨ قدم ويلسون ١٤ نقطة[2] لإقرار سلام مثالى وتتضمن إحترام حق الدولة فى تقرير مصيرها ، وإنشاء عصبه الأمم التى ستجعل قيام الحرب فى المستقبل مستحيلا . وأعتبرت دول الوسط هذه النقط أحسن فرصة لتقليل خسائرهم فى القتال ، إلا أن فرنسا وبريطانيا لم توافق عليها . وعلى كل حال لم تمثل قوى الوسط فى مناقشات شروط السلم والتى تمت فى باريس بين يناير ويونيه ١٩١٩ ، وعلى كل حال أخلت ألمانيا مكانها لمصالح القوى المنتصرة

(١) أنها ضرورية لكل الجيوش حتى تحصل على النصر .

(٢) لقد علق كليمنصور على هذه النقط بقوله « الرب لديه عشرة فقط »

فى ٢٨ يونية أملى السلام من فرساى ، وأعيدت الألزاس واللورين إلى فرنسا وحصلت الأمبراطورية البريطانية وفرنسا على مناطق كثيرة مختفية تحت أسم « الأنتداب » ، وخلفت بولندا جديدة وأعطى لها ممراحراً إلى البحر ، وأزيلت الأمبراطورية النمساوية والأمبراطورية التركية بإعتراف الحلفاء بدول وطنية جديدة . وقد خسرت ألمانيا أرضا صغيرة نسبياً فى أوروبا ، ولكن تم نزع سلاحها وأمرت بدفع تعويضات . أما روسيا فبعد الثورة البولشيفية فلم تقبل فى المجمع الدولى للأمم المتمدينة ، وتركت التسوية الأقليمية التى تمت فى معاهدة « برست ليتوفسك » كما هى . وأقيمت عصبة الأمم ولم يسمح لألمانيا لعدة سنوات بدخولها . وكانت نتيجة حرب ١٤ — ١٩١٨ أخطار مستمرة التأثير منها ألمانيا المذلولة الحانقة وروسيا المشكوك فى أمرها الغير مقبولة قانونا ، فى نفس الوقت لم يعد الثبات الإقتصادى إلى ما كان يتميز به العالم قبل عام ١٩١٤ .

وأخيراً فقد ثبت أن شروط صلح فرساى لم ترض الكثير .

هكذا ينتهى الجزء السادس من الكتاب، أما الجزء السابع والأخير فضمنه مونتجمرى الآتى :ـ

* الفوهرر أدولف هتلر . . .
* الحرب الخاطفة . . .
* روميل وحرب الصحراء . . .
* محاولة إغتيال هتلر . . .
* الأسلحة السرية . . .
* إنتحار هتلر . . .
* كارثة بيرل هاربور . . .
* الهزيمة المهينة . . .
* الألغام البشرية . . .
* ضرب هيروشيما بالقنبلة الذرية . . .
* الحرب فى العصر النووى . . .
* الحرب البكترولوجية القديمة . . .
* السلوك الإنسانى القديمة . . .
* العالم الممزق . . .
* الحرب الكورية . . .
* تكنولوجية السلاح النووى . . .
* الصراع النووى بين الشرق والغرب . . .
* الحرب تحت البحر . . .
* العودة إلى الهمجية الكاملة . . .
* عالم الراحة والسلام . . .

العميد فتحى عبد الله النمر

فإلى اللقاء مع مونتجمرى على صفحات الجزء السابع والأخير ؟

عميد

فتحى عبد الله النمر

مسابقة القراء

الجائزة	القيمة	عدد
الجائزة الأولى :—	١٠ جنيهات مصرية	١
الجائزة الثانية :—	٣ جنيهات مصرية	٢
الجائزة الثالثة :—	٢ جنيه مصرى	٣

١ — طريقة حل المسابقة : يوجد عدة أسئلة ومدون لكل سؤال ثلاثة أجابات أحداها صحيح ، فعلى القارىء أن يضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة مع كتابة اسمه وعنوانه بالكامل .

٢ — بعد أن يتم أختيار الأجابات الصحيحة تنزع ورقة الأسئلة والإجابات من الكتاب وتوضع فى مظروف عليه طابع بريد وترسل فى بحر شهر من صدور الكتاب على العنوان التالى :—

مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد / القاهرة

مسابقة « الحرب عبر التاريخ »

٣ — سيتم فرز الإجابات الصحيحة وعمل قرعة لأختيار الفائزين وأولوياتهم .

٤ — سيتم نشر أسماء الفائزين فى الجزء التالى للكتاب والذى يظهر فى أول كل شهر .

٥ — لقد رصد الفيلد مارشال مونتجمرى الجوائز المالية السابقة للقراء وعن كل جزء من الأجزاء السبعة التالية لكتابه

الحرب عبر التاريخ

أسماء الفائزين فى مسابقة الجزء الخامس

حل المسابقة :ـ

ج ١ : ١ — المركيز دي ساكس .

ج ٢ : ٢ — نابليون .

ج ٣ : ١ — ٦١ر٠٠٠ مقاتل + ١٣٩ مدفعاً .

ج ٤ : ٢ — ووترلو .

ج ٥ : ٣ — وحدة تتكون من ١٠ر٠٠٠ رجل .

ج ٦ : ٣ — الصين .

ج ٧ : ١ — ١ر٦٠٠ ميل .

ج ٨ : ٢ — الهند .

ج ٩ : ٣ — كوتيليا .

ج ١٠ : ١ — إلقاء الضحية أرضا وسحقها بالقدمين .

الجوائز :ـ

الجائزة الاولى وقدرها ١٠ جنيهات

فازت بها استمارة المسابقة رقم ٤٠٢٩

باسم : وفيق يحيى

العنوان : مؤسسة مصر للطيران — مطار القاهرة الدولى

الجائزة الثانية وقدرها ٣ جنيهات وعددها ٢

١ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٦٢١

باسم : بيومى حسن بيومى

العنوان : ٣ ميدان ابن سندل — القاهرة

٢ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٢١١٠

باسم : كمال وهبه العطار

العنوان : ١٤ ش الجراج حدائق القبة — القاهرة

الجائزة الثالثة وقدرها ٢ جنيه وعددها ٣

١ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٣٠٠٢

باســـم : مصطفى الشـــامى

العنوان : ٢٢٢ ص . ب طرابلس — ليبيا

٢ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٢١٠٩

باســـم : أبو العـــلا عبد الحميد

العنوان : ٤٣ ش الشهيد فـكرى زاهر — دمياط

٣ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٣٥٢٥

باســـم : محمـــد اسامة

العنوان : ١٠٠ ص . ب بيروت

* نرجو من الفائزين الحضور إلى مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ ش محمد فريد (عماد الدين) القاهرة لاستلام جوائزهم .

* ونظراً لوجود بعض القراء خارج جمهورية مصر العربية سيتم إرسال جوائزهم عن طريق البريد الموصى عليه .

* هذا الـكتاب يقع فى سبعة أجزاء رصد الفيلد مارشال مونتجمرى لـكل جزء مسابقة وجوائز مالية لها ، فمن لم يسعده الحظ فإلى اللقاء مع مسابقة جديدة فى الأجزاء التالية التى تظهر فى أول كل شهر .

* ترقبوا المسابقة الجديدة والجوائز الماليـة فى الـكتاب الجديد « القرارات المميتة » والذى يقع فى ستة أجزاء ، وسيتم نشر هذا الـكتاب بعد الجزء السابع من « الحرب عبر التاريخ » مباشرة .

نمرة ٥١١١٢٠٠

المسابقة

١ — صدرت الطبعة الأولى من كتاب « فى الحرب » لفون كلاوزفتز عام

١ — ١٨٥٠

٢ — ١٨٣٢

٣ — ١٨٣٧

٢ — « الاسيجارى » عبارة عن

١ — رمح رفيع تستعمله القبائل الأفريقية .

٢ — قائد الزولو .

٣ — اسم مدفع خفيف .

٣ — كان تعداد اليابان فى عام ١٩٠٣ حوالى

١ — ٥٠ مليون نسمة .

٢ — ٦٠ مليون نسمة .

٣ — ٣٥ مليون نسمة .

٤ — فى فبراير ١٨٦١ تم انتخاب أول رئيس للولايات الامريكية الكندفدرالية فى الجنوب وكان

١ — لينكولن .

٢ — جيفرسون دافيز .

٣ — جاكسون .

٥ — « ان الماضى مفيد لى عندما افكر فى الغد حتى أرسم مستقبل » من قال هذا ؟

١ — ميترلنك .

٢ — كريسوت .

٣ — ستينمتز .

٦ — المنطاد « زبلن » صنعته

١ — بريطانيا .

٢ — ألمانيا .

٣ — فرنسا .

٧ — برتا الكبير

١ — اسم قائد معركة فردان .

٢ — اسم كتاب ألفه فوش .

٣ — مدفع من عيار ١٧ بوصة .

٨ — فى عام ١٩١٦ التقى الادميرال الألمانى « سيشر » مع الادميرال البريطانى « جليكو » فى

١ — الأركينيس .

٢ — جوتلاند .

٣ — جزر فولكلاند .

٩ — نشبت الثورة العربية فى مكة

١ — فى يونية ١٩١٦

٢ — فى يولية ١٩١٧

٣ — فى يناير ١٩١٧

١٠ — دخل الانجليز بيت المقدس فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ بعد أن حكمها الاتراك

١ — ثلاثة قرون .

٢ — ٥٠ عاماً .

٣ — أربعة قرون .

الاسم ______________________

العنوان ______________________

____

____